

شرف الأئمة الملاحك

لسليل بيت العلم والتقى

الدكتور محمد علوى المالكى الحسنى

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

الناشر: دار جوامع الكلم - القاهرة - الدراسة

١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى - ت: ٢٥٨٩٨٠٢٩

Mingool.com

شرف الأئمة المحمديّة

تأليف

محمد بن جبريل الأبي الحسني

خادم العلم بالحررين الشريفين

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة بخصائص وشرفها بمزايا . منها ما انفردت به عن الأمم السابقة — فلم يشاركها فيه مشارك ولم ينافسها منافس ، ومنها ما شاركها فيه غيرها ، ولكنها متميزة عنهم بالكمال والتمام . وعلى هاتين القاعدتين تنبني كل المزايا والفضائل . وقد جمعنا هذا الموضوع في هذا السفر المبارك الذي نرجو به القرب من الله سبحانه وتعالى والرفق لديه والمشاركة في الدعوة إلى الخير وتقريبه إلى العاملين وحثهم عليه .

وأول مزية بل هي أم المزايا والفضائل رصيد هذه الأمة من الايمان وكإل يقينها بالله .

رصيد الأمة المحمدية من الايمان .

أما رصيد هذه الأمة من الايمان فعظيم ونصيبتها منه كبير وذلك لأنها تؤمن بكل كتاب انزله الله وبكل رسول ارسله الله وبكل ملك خلقه الله بلا تفريق بين احد . وهذا مصداق قول الله تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْهُ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وقد أمرنا بالاقرار بهذه الحقيقة الايمانية الاعتقادية قولاً واعتقاداً من قوله سبحانه : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

فرصيدنا من الايمان أكبر من غيرنا من الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولهذا المعنى كانت قيمة المسلم في الموازنة أعلى من قيمة غيره لأن التفاضل انما هو بالايمان . ومن هنا جاز للمسلم أن يتزوج بالكتابية ولم يجز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم لأنها أفضل منه بايمانها . أما ايمانه فأنقص منها . وهناك معنى آخر في هذا الباب وهو أن المسلم إذا تزوج بالنصرانية أو باليهودية وذكرت نبيها فانه يصلى ويسلم عليه مع الاحترام والتعظيم والتكريم ، بخلاف ما إذا تزوجت المسلمة يهودى أو نصرانى فإنها إذا ذكرت نبيها محمداً ﷺ لا يبعد أن يسبه أو يشتمه زوجها أو على الأقل أن لا يرضى بذلك ولا يقع منه موقع الرضا والقبول .

كَمَالُ يَقِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ

ومن شرف هذه الأمة أن الله تعالى وفر حظها من اليقين بشهادة المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال : « مَا أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَتْ أُمَّتِي ^(١) » .

أي ما ملاً الله قلوب أمة نورا شرح به صدورها لمعرفة تعالى ومجاهدة أنفسهم على سبيل الاستقامة عليها بحيث تصير الآخرة لهم كالمعينة أفضل مما أعطيت أمتي ولا مساويا لها فإن الأولين لم ينالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد وقد حبا الله سبحانه هذه الأمة بمزيد التأدب وقرب منازلهم غاية التقرب وسماهم في التوارة صفوة الرحمن وفي الإنجيل حلماء علماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء فالفضل الذي أعطيته هذه الأمة النور الذي به انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معانية ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ ﴾ قالوا : واليقين يتفاوت على ثلاث مراتب : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدة عيان وحق اليقين هو المشاهدة مع شدة الالتصاق والامتزاج .

قال السرى السقطى : واليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حزنك منها لا ينفعلك ولا يرد عنك مقضيا .

وسنذكر في أول هذا الكتاب الخصائص العامة التي من الله بها على هذه الأمة . ثم نذكر بعد ذلك الخصائص التفصيلية للأعمال التعبدية وغيرها .

خصائص عامة للأمة الحمديّة

وأول تلك الخصائص

أولا - رفع الإصر

وذلك بنص القرآن قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ

(١) رواه الحكيم عن سعيد بن مسعود الكندى .

الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿٤٠﴾ .

والإصر أصله الثقل الذى يأصر صاحبه فلا يقدر على التحرك ومعنى ذلك
أن الله تعالى لم يوجب على هذه الأمة أمة محمد ﷺ — شيئاً فوق طاقتهم ولم
يجعله من شرعهم كما كان ذلك على من قبلهم من الأمم .

وذلك كبنى اسرائيل مثلا الذين كلفوا بجملة من الأعمال الصعبة
والتكاليف الشاقة هى أشبه ما يكون بأطواق الحديد التى تحيط بالاعناق (وهى
الأغلال) .

تلك الاغلال والانتقال كثيرة فمنها :

١ — قطع موضع النجاسة .

فإذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم فانه عليه أن يقطعه ليظهره ولا يكفى
غسله كما أخرجه البخارى فى صحيحه (باب البول عند سبابة قوم كتاب
الوضوء) وقد زعم بعضهم انه كان يجب قطع ما أصابته النجاسة ولو كان من
الجسم اعتمادا على ظاهر رواية أبى داود وفيها :

« كانوا إذا أصاب البول جسدهم قطعوا ما أصابه البول منهم » .

(باب الإستبراء من البول) .

ورواية مسلم وفيها : جلد أحدهم ، وأول القرطبي هذا بأن المراد بالجلد واحد
الجلود التى كانوا يلبسونها (قال الحافظ) ورواية البخارى صريحة فى الثياب فلعل
بعضهم رواه بالمعنى (كذا فى الفتح ١/٣٣٠) أما هذه الأمة فإنه يكفى فى
شرعها فى مثل ذلك اراقة الماء وغسل المحل فقط سواء كان ذلك مسجدا أو ثوبا
أو بدنا — كما فصلته كتب السنة .

٢ — عدم مؤاكلة الحائض .

وذلك أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يخالطوها ولم
يساكنوها فى بيت واحد بل يتركوها فى البيت منفردة .

كما ثبت في الحديث الصحيح (الذي رواه مسلم وأحمد) ابن كثير ٢٦٨
أما هذه الأمة فقد أبيع لها في دينها معاشره الحائض في المأكل والمشرب والمضاجعة
ونهى عن النكاح والاستمتاع بما بين السرة والركبة إحتياطاً . (اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ
إِلَّا التَّكَاحَ رواه مسلم) .

وهكذا راعى الإسلام بهذا الحكم ميول الإنسان وبشريته بجانب نورانيه
وروحانيه فيربط بين نزوه الجسد العارضة وغاية الروح . وهذا المنهج الراقى في
معاملة الإنسان هو الذى يتلاءم مع الفطرة كلها لانه من صنع خالق هذه الفطرة .

٣ — تعيين القصاص فى العمد والخطأ .

فقد كان متحتماً على بنى اسرائيل القصاص حتى فى الخطأ ولم تكن فيهم
الدية فى نفس أو جرح . كما جاء فى الصحيح (بخارى الديات باب من قتل له
قتيل فهو بخير النظرين ٢٠٥/١٢) .

وهو معنى قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) .

فخفف هذه الأمة بمشروعية الدية بدلا عن القتل لمن عفا من الأولياء بقوله
تعالى لهذه الأمة : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ إِلَى قَوْلِهِ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ
أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَرَحْمَةٌ) .

٤ — قتل النفس بالتوبة .

وذلك أنهم لما عبدوا العجل بين لهم موسى عليه السلام طريق التوبة بعد
العزم عليها وهو أن يقتل البريء منهم المجرم « فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ » .

وذلك أيضا هو طريق التوبة فى جملة من المعاصى يكون بقطع الاعضاء
الخطائة كاللسان فى الكذب والذكر فى الزنا وفقاً العين فى النظر للأجنبية
(المواهب ٣٨١/٥) .

أما الأمة المحمدية فإن الله سبحانه سهل لها طريق التوبة واخبر أنه يقبلها
ويعفو عن السيئات وأنه يفرح بها أشد من فرح الأم بولدها الرضيع الغائب عنها
(وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً) .

٥ - افتتاح أصحاب المعاصي منهم :

فقد كان بنو اسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أو فعل معصية فإنه إذا أصبح يجد مكتوباً على باب داره فلان فعل كذا وكذا . وكفارتها كذا وكذا ويرى ذلك الخاص والعام (الخصائص ٢٠٤/٣) .

أما الأمة المحمدية فإن الله تفضل عليها بالستر كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ » . متفق عليه .

٦ - المؤاخذة بحديث النفس مما لم تعمله الجوارح

وذلك أن الله تعالى ما بعث من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليه الكتاب إلا أخبره أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم — فكانت الأمة تأتي على أنبيائها ورسالتها ويقولون نؤاخذ بما تحدث به انفسنا ولم تعمله جوارحنا فيكفرون ويقولون سمعنا وعصينا ولما قال المؤمنون من هذه الأمة سمعنا وأطعنا وأسلمنا وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسوله — طمأنهم الله تعالى بأنه تجاوز عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ — من خير — وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ — من شر ﴾ .

٧ - المؤاخذة على الخطأ والنسيان

وذلك بتعجيل عقوبته من تحريم شيء من مطعم أو مشرب عقوبة على حسب ذلك الذنب من كبر وصغر (مواهب ٣٨٤) .

أما الأمة المحمدية فإن الله وضع عنها الخطأ والنسيان وما استكثروا عليه كما ثبت في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان والحاكم وابن ماجه والطبراني والدارقطني بأسانيد جيدة وحسنه النووي (مواهب ٣٨٤) (الخصائص ٢٠٢/٣) .

٨ - تحريم اشتغالهم يوم عيدهم

وهو يوم السبت — إذ أخذ عليهم العهد والميثاق بتعظيم يوم السبت والقيام بامرهم وعدم إشتغالهم وعملهم فيه ولذلك لما خالفوا وتحيلوا على اصطبياد الحيتان

فيه قال الله لهم عقابا : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (بقرة ٦٥ والأعراف ١٦٣) .

أما الأمة المحمدية : فان الله تعالى رفع عنهم هذا الإصر : فهم يتعاملون حتى في يوم عيدهم يوم الجمعة قبل الصلاة وبعدها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

٩ - الطاعون عذاب على الأمم السابقة

وقد أخبرنا ﷺ أنه كان رجسا وعذابا — أرسل على طائفة من بنى إسرائيل وغيرهم أما هذه الأمة فان الله جعله رحمة بهم وشهادة لهم (كذا في الصحيح مواهب ٣٩١/٥) (والخصائص ٢/٣ ٢٢١) .

١٠ - تحريم بعض الطيبات من الأطعمة

وهذا كان من العقوبات التي عاقب بها الله بنى إسرائيل بسبب بغيتهم وظلمهم وتلاعبهم بشرائع الله وأشرتهم التي جعلتهم يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا — قال الله تعالى ﴿ فَيُظْلَمُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (النساء ١٦٠) .

وقد بين الله تعالى أنواع ما حرمه عليهم . وهو :—

١ — كل ذى ظفر أى ما ليس بمنفرج الأصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط فهي عليهم حرام .

٢ — الشحم أى المادة الدهنية التي تكون في الحيوان فهو عليهم حرام في البقر والغنم وابعاح لهم منها الشحوم المختلطة بالعظم وكذا ما تحويه البطن وكذا ما عليه بالظهر من الشحوم كما في أية الأنعام (ابن كثير ٢٠٠/٢) .

أما الأمة المحمدية فان الله تعالى أباح لها كل طيب — (أَيُّومٌ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ) (يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) وحرم عليها كل خبيث (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) .

١١ - تحريم الغنائم عليهم

فكانوا إذا اغتنموا شيئا من أعدائهم لم يحل لهم أن يأخذوه ويتصرفوا فيه بل يجمعونها وتنزل نار من السماء فتحرقه فيكون ذلك علامة قبول غزوتهم (مواهب ٣٦٤) كما قال الله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَٰنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ .

أما الأمة المحمدية فان الله لشرف نبيها عنده أحل لهم الغنائم كما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه وجعلها حلالا مباركا ﴿ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ .

١٢ - تحريم الصلاة عليهم إلا في مواضع مخصوصة

وذلك أن من مضى من الأمم كانوا لا يصلون إلا في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع والكنائس فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له أن يصلى في غيره من بقاع الأرض حتى يعود إليه ثم يقضى كل ما فاته (فتح ٤٣٦/١) .
وعند البزار من حديث ابن عباس : ولم يكن أحد من الأنبياء يصلى حتى يبلغ محرابه (فتح ٤٣٨/١) .

أما الأمة المحمدية : فان الله جعل لها الأرض مسجدا أى موضع صلاة لا تختص الصلاة منها بموضع دون غيره كما ثبت في الصحيح (البخارى التيمم أوله) .

١٣ - تخصيص الطهارة بالماء

وذلك أن من مضى من الأمم كان في شرائعهم وجوب الإقتصار على الماء في الطهارة وعدم جواز الإكتفاء بغيره فإذا عدم أحدهم الماء لم يصل حتى يجده ثم يقضى ما فاته .

أما الأمة المحمدية : فان الله تعالى جعل لها الأرض طهورا فأبما رجل أتى الصلاة ولم يجد ماء وجد الأرض طهورا كما ثبت في الصحيح (فتح ٤٣٨/١) (ومواهب ٢٦٤/٥) .

ثانياً — الاكرام بالرحمة الخاصة

ومن خصائص هذه الأمة : إكرامهم في الآخرة بالرحمة الخاصة وذلك بنص القرآن الكريم .

فقد وصف القرآن الكريم هذه الأمة المحمدية بأنه جعل السابق منهم سابقاً والمقتصد لاحقاً والظالم لنفسه مغفوراً له . قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ .

ومعنى هذا أن الحق سبحانه وتعالى قسم هذه الأمة إلى ثلاثة أنواع :

الأول : أشار إليه بقوله فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المنهيات وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

الثاني : أشار إليه بقوله ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات .

الثالث : أشار إليه بقوله ومنهم سابق بالخيرات وهو الفاعل للواجبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات .

قال ابن عباس رضي الله عنه « السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَالْمُقْتَصِدُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ » وكذا روى عن غير واحد من السلف وجاء ما يؤيده في السنة بطرق جيدة ثابتة فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فَأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون

حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يجسبون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون بعد ذلك ﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ﴾ . صدق الله العظيم .

قلت هو المناسب لسياق الآية الشريفة ولحال الظالم لنفسه . فانه إذا حبس في المحشر لنقصان حاله عن السابق والمقتصد اصابه حينئذ الهم والحزن والغم فإذا تداركه الله برحمته ودخل الجنة تذكر ما كان فيه فقال الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن لأن الله تعالى بعد أن ذكر الأصناف الثلاثة وذكر أنهم يدخلون الجنة ذكر بعد ذلك أنهم يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن . ولا يتصور أن يصيب السابق أو المقتصد حزن لانهم لا يجزئهم الفرع الأكبر فبقى الصنف الثالث وهو الظالم لنفسه ، ولهذا كانت هذه الأمة أمة مرحومة ، كما قال محمد بن الحنفية رضى الله عنه إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات والسابق في الدرجات . رواه الثوري وغيره . وهذا كله من محض فضل الله سبحانه وتعالى الذى شمل الأنواع الثلاثة إذ كلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم على تفاوت في الدرجات وهو يشهد بكرامة هذه الأمة على الله وهذه الكرامة ليست رخيصة أو سهلة لأن الله سبحانه أخبر قبل ذلك أنه اصطفاه هذه الأمة لوراثته الكتاب والقيام به فقال : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا . فجعل في مقابلة هذه الكرامة الاخروية العظمى التبعة الكبرى والمسئولية الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة وهى تبعة ضخمة ذات تكاليف والزامات .

فهو إذن إكرام بالفضل في الجزاء حتى لمن أساء وتقليد بأمانة الوراثة للكتاب والاصطفاء .

ثالثا — جعلهم أمة وسطا

ومن خصائص هذه الأمة : انهم هم الأمة الوسط ، وأنهم هم الشهداء على الناس : بنص القرآن ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

وقد جاء ذكر هذه المنقبة والخصوصية في أثناء الكلام عن القبلة كما قال

تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَن قِبَلْتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ثم قال بعدها ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ الآية .

وحاصل الأمر انه قد كان ﷺ يستقبل في المدينة المنورة بيت المقدس وكان يكثر الدعاء والابتهاج أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ولما وقع هذا التحويل حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتياب وزيف عن الهدى وتخبط وشك وقالوا ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ﴾ فأنزل الله جوابهم في قوله ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

ثم بين لهم أنه كما أنعم عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم كذلك أنعم عليهم بأن جعلهم أمة وسطا والوسط أيضا هو الخط المستقيم والطريق المستوي وهذا ما تقتضيه الحكمة من كونه سبحانه هداهم إلى الصراط المستقيم وجعلهم أمة (وسطا) أى على صراط مستقيم أى عدولا خيارا لأن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديئان فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيدا عن الطرفين فكان معتدلا فاصلا .

وهكذا يحدثنا القرآن من حقيقة هذه الأمة في الكون وعن وظيفتها في هذه الأرض وعن مكانها العظيم في هذه البشرية وعن دورها الأساسي في حياة الناس مما يقتضى أن تكون لها قبلتها الخاصة وشخصيتها الخاصة وذاتيتها المستقلة . إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا في الدنيا والآخرة .

فاما في الدنيا فانها سمعت أخبار كل الأمم السابقة في كتابها الأكبر الذي هو القرآن أو عن نبيها المصطفى ﷺ فيما جاء عنه فتسمع من أخبار العصاة والطيعين والمصدقين والمكذبين وجزاء كل وتسمع أخبار الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وأعمالهم وجهادهم وتضحيتهم ومالاقوا من عنت وتعب ومشقة ثم تبدي رأيها فيهم وتزن قيمتهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفضل في أمرها وتقول : هذا حق منها وهذا باطل .

وأما في الأخرة فإنه إذا كان يوم القيامة ووقف الناس للسؤال يقال لكل أمة هل بلغكم رسولكم فيقولون لا فيقال للرسول الذي أرسل اليهم : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم فيقال من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمه فيدعى محمد وأمه فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال لهم وما أدراكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فاخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .

رابعاً — يسر الشريعة المحمدية

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعتها أيسر الشرائع — وذلك بنص القرآن

فما من فريضة من الفرائض إلا ويسرها الله سبحانه وتعالى بفتح باب الرخصة والعذر فيها فخذ مثلاً الصلاة وهي أهم واعظم الفرائض بل هي عماد الدين واساسه المتين . فإنها مع ذلك ، جعل الله تعالى لها أحكاماً خاصة تختلف عن الحكم الأصلي لها . مراعاة لظروف خاصة في احوال خاصة كالمرض والسفر والحرب وفي حالة عدم وجود اللباس الساتر أو عدم معرفة القبلة أو نسيانها أو النوم عنها .

وهذا التيسير هو الصفة العامة لهذه الشريعة المطهرة قال تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ .

وقال ﷺ : **إِنَّ اللَّهَ رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ** (رواه الطبراني برجال الصحيح) .

وروى أحمد في مسنده عن حذيفة قال : سجد ﷺ فلم يرفع رأسه حتى ظننا أن نفسه قبضت فلما فرغ قال : **رَبِّي اسْتَشَارَنِي (الحديث) وفيه : وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَيَّ مَنْ قَبْلُنَا وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ حَرَجٍ فَلَمْ أَجِدْ شُكْرًا إِلَّا هَذِهِ السَّجْدَةَ** (مواهب ٣٨٢) .

وكان ﷺ يفتخر بهذه النعمة تحدثاً بنعمة الله ويقول : **إِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ** . (رواه أحمد بسند حسن) (كشف الخفاء ٢١٧) .

ويوصى بذلك بعوثة ورسله فيقول لهم : بَشُرُوا وَلَا تُنْفَرُوا وَيَسْرُوا
وَلَا تُعَسِّرُوا . رواه أحمد والشيخان .

وهذه هي القاعدة الكبرى في تكاليف هذه العقيدة كلها فهي مسيرة
ولا عسر فيها وهي توحى للقلب الذى يتذوقها بالسهولة واليسر فى أخذ الحياة
كلها وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التى لا تكلف فيها ولا تعقيد
مما كان على من قبلهم من الأمم .

خامسا — كمال الشريعة المحمدية

ومن خصائص هذه الأمة

أن شريعته أكمل الشرائع — وذلك بنص القرآن
قال تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وهذا اعلان صريح من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة وإكمال الشريعة
فلا نقص يستدعى الكمال ولا قصور يستدعى الاضافة ولا محلية أو زمانية
تستدعى التطوير أو التحوير وهذا الكمال هو من حتميات العمومية المكانية
والزمانية فى هذه الرسالة وذلك لأن كل رسول قبل خاتم النبيين إنما أرسل لقومه
فى عصره فهى رسالة خاصة لمجموعة خاصة فى بيئة خاصة فى زمن محدود —
فكانت أحكامها وشرائعها متكيفة ومحكومة بتلك المقتضيات والظروف لتناسب
حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان .

لكن لما كان (النبى ﷺ) سيدنا محمد أرسل لكافة الناس فهى رسالة
الإنسان فى كل زمان وفى كل مكان التى تخاطب فطرته التى لا تتبدل ولا تتحور
ولا يناها التغيير فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فصل فى هذه الرسالة شريعة
تتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها وفى كل جوانب نشاطها وتضع لها المبادئ
الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وجعلها
محتوية على كل ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات
وتنظيمات لكى تستمر وتنمو وتتطور وتتجدد حول هذا المحور وداخل هذا
الاطار .

سادسا — نورهم يسعى بين أيديهم

ومن خصائص هذه الأمة

أن نورهم يسعى بين أيديهم يوم القيامة بنص القرآن
قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورُنَا ﴾ أى إلى الجنة .

وقد وضحت السنة المشرفة هذه الخصوصية كما ثبت في الحديث أن النبي
ﷺ قال : إِنِّي لِأَعْرِفُ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ أَعْرِفُهُمْ يُوتُونَ كُتُبَهُمْ
بِأَيْمَانِهِمْ وَأَعْرِفُهُمْ بِسِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ وَأَعْرِفُهُمْ بِنُورِهِمْ يَسْعَى
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ (رواه أحمد باسناد صحيح) .

سابعا — كونهم خير أمة

ومن خصائص هذه الأمة الخيرية بنص القرآن

قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ ﴾ وبنص السنة كما قال ﷺ : أَنْتُمْ تَوْفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً خَيْرَهَا وَأَكْرَمُهَا
عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه — وقال ﷺ أيضا
أُعْطِيَتْ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُوَ ؟ قَالَ نُصِرْتُ
بِالرُّغْبِ وَأُعْطِيَتْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَسُمِّيَتْ أَحْمَدَ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهْرًا
وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الْأُمَمِ . رواه أحمد واسناده حسن ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى
من أوصافهم المحمودة إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الخاص والعام
فقال تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا أيضا بمثابة الشرط الذى يؤهل
للاتصاف بتلك الخيرية كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خطبة له فى الحج
وقد قرأ هذه الآية كنتم خير أمة أخرجت للناس — قال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ
هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا .

وهذه المنقبة الجليلة أشار إليها ﷺ فى الحديث المشهور : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ
مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ — فهو
بيان لإبقاء هذه الشعيرة فى الأمة المحمدية ولو على صورة ضيقة .

وهذه بخلاف أهل الكتاب فانهم أهملوا هذه الشعيرة وتناسوها مجاملة ورياء أو نفاقا واستبدالا للذى هو أدنى بالذى هو خير ولذلك ذمهم الله تعالى فى كتابه العزيز فقال : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

فظهر أنهم بتركهم هذه الشعيرة استحقوا اللعنة من النبى داود وعيسى عليهما السلام وسمى فعلهم معصية وعدوانا وهو بئس الفعل والعياذ بالله .

وتتضح صورة هذه الخيرة الإلهية فى الأمة المحمدية فى جلالته أكثر وعظمت أكبر عند ذكر ما يقابلها بالنسبة لغير هذه الأمة كاليهودية مثلا . فان الله تعالى لما امتدح الأمة المحمدية بانها خير أمة اخرجت للناس ووصفها باوصاف كريمة هيأتهم لهذه الخيرية ذم اليهود بأقبح الصفات وتوعدهم سوء المصير وضرب الذلة عليهم والمسكنة لكفرهم باياته سبحانه وقتلهم لانبيائه وتعددهم حدوده فقال كنتم خير أمة اخرجت للناس . وبجانب هذه الخصوصية الجليلة التى دلت عليها هذه الآيات المباركات فانها تحمل هذه الأمة بشارته صادقة — صدق القرآن — بأن هذه الكثرة من اعدادهم لن يضروهم ضررا بليغا ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ أى لا يضروكم إلا ضررا يسيرا كأن يؤذوكم بألستهم ويلقوا الشبه بينكم ليصدوا من ضعف إيمانه عن الحق وهو الأذى من قوله ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ وهذا الضرر فى الواقع لا يؤدى إلى هدم كيان الأمة ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها فهو ضمان حق ووعد صدق من الحق سبحانه وتعالى أكده بوعده ثان وهو أن أهل الكتاب لوقاتلوا المؤمنين الصادقين فان المؤمنين سيكون لهم النصر عليهم فقال ﴿ وَإِنْ يَقَاتِلُوكُمْ يُؤْتُواكُمُ الْأُدْبَارَ ﴾ .

ثم ختم هذا بوعده ثالث وهو انهم بعد نصرهم عليهم لن تكون لأهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود قوة أو شوكة للأخذ بثأرهم بعد ذلك ﴿ ثُمَّ هُمْ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ . إلا أن هذه الضمانات العظيمة التى هى بشارات كريمة — مشروطة بمحافظه الأمة الإسلامية على أصلين عظيمين أشارت إليهما الآية الأولى الايمان بالله ﴿ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الثانى : الدعوة إلى الخير ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ فاذا ارادت الأمة المحمدية أن لا تصاب من جهة اليهود بما يأتى على كيانها

فعلينا باخلاص العبادة لربها والعمل بسنة نبيها والتقيّد بأحكام كتابها واعداد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها فإذا لم تلتزم بذلك أصابها الضرر من جهة أعدائها وأثر في كيانها ومكن عدوها منها .

إن وعد الله تعالى ما تخلف ولن يختلف وقد حققه سبحانه لاسلافنا الصالحين الذين آمنوا بالله حقا وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولكن المسلمين هم الذين تغيرت أحوالهم فقد فرطوا في دينهم واضاعوا الصلاة وأكلوا الربا وانغمسوا في الشهوات واتبعوا خطوات الشيطان وتفرقوا شيعا وأحزابا وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يكونوا أشداء على الكفار رحماء بينهم ولم يعدوا ما استطاعوا من قوة لقتال عدوهم كما كان اسلافهم من قبل ولم يحسنوا الشعور بالمسؤولية كما تريدها تعاليم الإسلام .

أكثر حكاهم يحكمون بغير ما أنزل الله وسنة رسول الله ﷺ . وأكثر علمائهم غلب عليهم الحرص على الدنيا فناقضوا وجاملوا أو سكتوا فسلط عليهم الحكام فلا كلمة حق تقال ولا حدود تقام ولا ضرب على أيدي الفساد والمخرين ولا غيرة على الحرمات أو المقدسات .

فلما فعلوا ذلك تبدل حالهم من الخير إلى الشر وسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم لأنه سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم — ولئن عادوا إلى منهج الحق يعود إليهم كل ما فقدوه ولئن صدقوا الله يصدقهم — ولئن نصره ينصرهم ولئن وفوا بعهد امانة ما ورثهم يحقق لهم ما وعدهم — ومن أصدق من الله قيلا .

وإنّ العرب في حربهم اليوم مع اعداء انبيائه وملائكته وكتبه لما تذكر معظمهم ربهم فرجعوا إليه ذاكرين داعين مصلين خائفين راجين معترفين بأن النصر منه ثبتهم الله بقدر رجعتهم تلك مع ما هم عليه في مجتمعاتهم من مخالفة الله ومحاربة لاحكامه ومجاهرة بمعاصيه .

أقول إنّ العرب — مع ما هم عليه — لما تذكروا الله سبحانه وتعالى ولجرد تذكركم فقد تحقق لهم خير كبير ونصر كثير واندفع عنهم عار خطير ووقفت معهم الدنيا محاربة ومانصرة ومؤيدة إما بالفعل أو بالقول .

وإنَّ الأمل يملأ القلوب في أن يتم البعث الایمانی الاسلامی فیربط الحاضر بالماضی ویروی حدیث المجد العزیز المشهود متصلاً مسنداً مرفوعاً .

ثامنا — كون المسيح عيسى من أفراد هذه الأمة

أن من أفراد هذه الأمة نبيا عظيما من أولى العزم وهو المسيح عيسى عليه السلام فانه حين ينزل يكون من هذه الأمة اتفاقا مع بقاءه على نبوته بل ذهب جمع من العلماء إلى أنه صحابي لاجتماعه بالنبي ﷺ وهو حي مؤمنا به ومصداقا .

وإذا نزل فانما يحكم بشريعة نبينا ﷺ فهو تابع لنبينا ﷺ ولذلك فانه يصلى مأموما مع جماعة المسلمين كما جاء في الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : كَيْفَ أَنتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ . وفي صحيح مسلم : كَيْفَ بِكُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فَيُقَالُ صَلِّ بِنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَّرَاءُ تُكْرِمُهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وفي مسند أحمد : فإذا بعيسى فيقال تقدم فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم .

وفي سنن ابن ماجه : إن عيسى يقول للامام صل فإنها أقيمت لك . والحاصل أن الأخبار تواترت بأن عيسى يصلى مأموما يوم ينزل خليفة في الأمة المحمدية وهو وان كان واحدا من أفرادها ومن أتباع نبيا محمد ﷺ إلا أنه رسول ونبي كريم لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحداً من هذه الأمة بدون نبوة ورسالة ويجهل أنهما لا يزولان بالموت فكيف بمن هو حي وقد جاء في الصحيحين : لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، ويزيد هذا المعنى وضوحا حديث عبد الله بن مغفل : يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ عَلَى مِلَّةِهِ (رواه الطبراني) (ونقله الزرقاني ٣٤٩/٥) .

وليس في الرسل من يتبعه رسول عاملا بشريعته تاركا للشرع الذى أوحى إليه به إلا نبينا ﷺ لأنه نبي الانبياء .

تاسعا — ثبوت البشارة بالجنة لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

جاء في الحديث عن أبي امامة الباهلي انه صلى الله عليه قال : طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمِنَ بِي وَطُوبَى سَبْعَ مَرَّاتٍ لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمِنَ بِي . أخرجه أحمد والبخارى في التاريخ وابن حبان والحاكم بلفظ : طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمِنَ بِي مَرَّةً وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرِنِي وَأَمِنَ بِي سَبْعَ مَرَّاتٍ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَتَعَقَّبَ لَكِن لَه شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَرَوَى الطَّيَالِسِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه فَقِيلَ أَرَأَيْتَ مَنْ آمَنَ بِكَ وَلَمْ يَرَكَ وَصَدَّقَكَ وَلَمْ يَرَكَ قَالَ أُولَئِكَ إِخْوَانِي أُولَئِكَ مَعِيَ طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمِنَ بِي وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرِنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

وروى الطبراني برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن بسر مرفوعا طُوبَى لِمَنْ رَأَى وَأَمِنَ بِي وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مِنْ رَأَى وَأَمِنَ بِي وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مِنْ رَأَى طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَأَبٍ .

وجاء في حديث أخرجه أحمد وابن حبان زيادة وهي أنه سئل صلى الله عليه وما طوبى فقال شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ .

وبهذا ثبت فضل الايمان به صلى الله عليه أولا واخرا لهذه الأمة .

عاشرا — ثبوت الفضل لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها

ثبتت بالاتفاق افضلية عصره صلى الله عليه ويدل على ذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما : خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ .

قال العلماء المقصود بذلك عصر الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة أو دونها بقليل أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة آخر الصحابة موتا أبي الطفيل .

وقوله ثم الذين يلونهم أى القرن الذين بعدهم وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة وقوله ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين نحواً من خمسين إلى حدود عشرين ومائتين وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل من كل من يأتي بعده وذهب أبو عمر بن عبد البر انه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضل ممن كان في جملة الصحابة .

جاء عن عمر بن الخطاب قال كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال
 أَتَدْرُونَ أَيُّ الْخَلْقِ أَفْضَلُ إِيمَانًا قُلْنَا الْمَلَائِكَةُ قَالَ وَحَقُّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُمْ قُلْنَا الْانْبِيَاءُ
 قَالَ وَحَقُّ لَهُمْ بَلْ غَيْرُهُمْ .

قال ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ
 يَرَوْنِي فَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا .
 رواه الطبرانى باسناد حسن وأبو داود الطيالسى وحسنه ابن عبد البر .

وأيضاً جاء فى الحديث عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال
 يا رسول الله : هَلْ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا أَسْلَمْنَا مَعَكَ وَجَاهَدْنَا مَعَكَ قَالَ قَوْمٌ يَكُونُونَ مِن
 بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي رواه أحمد والطبرانى وصححه الحاكم .

ونحن لا نحب أن نتعرض إلى الخلاف الجارى بين العلماء فى قضية التسوية
 بين أول هذه الأمة وآخرها فى فضل الأعمال غير أن ذلك لا يمنعنا من القول بان
 مشاهدة رسول الله ﷺ ورؤيته لا يعدلها شىء .

الحادى عشر وجود قبر نبينا ﷺ بالتعيين

ومن فضل الله الذى شرف به هذه الأمة فامتازت به على من سواها من
 الأمم هو أن قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ معلوم عندنا بيقين وتواتر لا شك فى ذلك
 ولا ريب فترد الناس فى كل وقت وحين وتتكدب مشاق السفر وعناؤه إلى قبره
 الشريف مع امتلاء قلوبهم بالعلم التام واليقين الكامل على أنه ﷺ فى هذا المكان
 المشهود وهذه حجراته المعروفة ومساكن زوجاته وهذه روضته المطهرة .

هذا الشرف والفضل لم يثبت لنبي غيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا لأمة غير الأمة المحمدية .

وفي هذا يقول ابن حجر :

ولم تعلم مقابرهم بأرض يقينا غير ما سكن الرسول

وقال الامام مالك رضى الله عنه للمهدى يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم اولاد المهاجرين فسلم عليهم فانه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة فقال له ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله قال لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن قبر محمد عندهم فينبغى أن يعلم فضلهم على غيرهم .

(كذا في المدارك)

فالقبر الشريف موضع تنزل الرحمة الإلهية كما جاء في الحديث عن كعب رضى الله عنه « مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلَّا وَيَنْزِلُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يَحْفُوا بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفًا حَتَّى يَحْفُوا بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ فَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ سَبْعُونَ أَلْفًا بِاللَّيْلِ وَسَبْعُونَ أَلْفًا بِالنَّهَارِ » رواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الثانى عشر

ذكر الأمة المحمدية فى الكتب السابقة

قال الله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَتَّبِعُونَ فُضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ الآية .

وأخرج الدارمي فى مسنده وابن عساكر عن كعب قال فى السطر الأول محمد رسول الله عبدى المختار لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسبيطة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام . وفى الثانى محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى السراء والضراء يحمدون الله فى كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة

إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة^(١) ويأتزون^(٢) على أوساطهم ويوضؤون أطرافهم وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل .

وفي رواية أخرى عند الدارمي وابن سعد وابن عساكر زيادة وهي :—
يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدويّ النحل يسمع مناديبهم في جو السماء .

وفي رواية عند الزبير بن بكار وأبي نعيم زيادة :— أناجيلهم في صدورهم قربانهم الذى يتقربون به إلىّ دماؤهم رهبان بالليل ليوث بالنهار .

وفي رواية عن أبي هريرة عند أبي نعيم جاء في أوصافهم هذه الأمة في التوراة أنهم الآخرون السابقون المستجيبون المستجاب لهم ، أناجيلهم في صدورهم يقرؤونه ظاهرا ، يأكلون الفىء يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها إذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت له عشر حسنات وإذا هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة يؤتون العلم الأول والآخر فيقتلون قرون الضلالة والمسيح الدجال .

وفي رواية عن كعب الأخبار عند أبي نعيم أيضا جاء في وصف هذه الأمة أنها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، إذا اردوا أمرا قالوا نفعله إن شاء الله ، الصعيد لهم ظهور والأرض لهم مسجد عُرِّ محجلون من آثار الوضوء أمة مرحومة ضعفاء يؤتون الكتاب اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق للخيرات لا يدخل النار منهم إلا من برىء من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر ، وفي رواية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن كعب أخرجها أبو نعيم أيضا وفيها إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد وان حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظللا .

(١) مزبلة .

(٢) يشدون الأزر .

وفي رواية عن أنس مرفوعاً أخرجها أبو نعيم في الحلية وفيها : إن الجنة محرمة على جميع الخلق حتى يدخلها (أى محمد ﷺ) وأمه صائمون بالنهار رهبان بالليل أقبل منهم اليسير وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله .

وفي رواية عن وهب بن منبه أخرجها ابن أبي حاتم وأبو نعيم جاء في وصف الأمة المحمدية ما يأتي أن الله جل جلاله قال لهممهم التسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم هم أوليائي وانصاري أنتقم بهم من اعدائي عبدة الاوثان يصلون لي قياما وقيودا وركعا وسجودا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي الوفا ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزحواً ثم قال أجعلهم أفضل الأمم واجعلهم أمة وسطا شهداء على الناس إذا غضبوا هللوني وإذا قبضوا كبروني وإذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه والاطراف ويشدون الثياب إلى الانصاف ويهللون على التلال والأشرف .

وروى البيهقي عن وهب بن منبه وفيه ان الله سبحانه وتعالى قال : أمته ﴿ يعنى محمدا ﷺ ﴾ مرحومة اعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسول حتى يأتي يوم القيامة ونورهم مثل نور الانبياء .

الثالث عشر

ان هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة

اختص الله هذه الأمة بان لا تجتمع على ضلالة ونشأ من ذلك أن اجماعهم حجة وبأن اختلافهم رحمة فكان اختلاف من قبلهم عذابا .

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بصرة الغفاري عن رسول الله ﷺ قال : سألت الله أن لا يجمع أمتي على الضلالة فأعطانيتها وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً فأعطانيتها . الحديث .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبداً .

وأخرج الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجّة قال رسول الله ﷺ :
اِخْتِلافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ .

وهذا الحديث رواه أيضا الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عباس
مرفوعا .

وروى الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : إِنْ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ
أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيُدُّ اللَّهَ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدَّ فِي النَّارِ .
وروى أبو داود عن ابى مالك الاشعري عن رسول الله ﷺ قال : قَدْ
أَجَارَكُمُ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالَ ذِكْرِهَا وَأَنْ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ .

الرابع عشر

ان الله لا يهلك هذه الأمة بجوع ولا غرق

اختص الله هذه الأمة بأن لا يهلكها بجوع ولا بغرق ولا يعذبون بعذاب
عذب به من قبلهم ولا يسلط عليهم عدوا غيرهم يستبيح بيضتهم .

أخرج مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : إِنْ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ
فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَعَارِبَهَا وَإِنْ مُلِكَ أُمَّتِي سَيِّلُ مَازَوِي لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَثْرَيْنِ
الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَةٍ وَلَا يُسَلِّطَ
عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ فَأَعْطَانِي .

وأخرج ابن أبى شيبه عن سعد أن النبى ﷺ قال : سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ
لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا
وَسَأَلْتُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّتْ عَلَيَّ .

وأخرج الدارمى وابن عساكر عن عمرو بن قيس أن رسول الله ﷺ قال :
إِنَّ اللَّهَ أَدْرَكَ بِي الْأَجَلَ الْمَرْحُومَ وَاخْتَارَنِي اخْتِيَارًا فَنَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَإِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا غَيْرَ فَخْرٍ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ وَمُوسَى صَفِيُّ اللَّهِ وَأَنَا حَبِيبُ
اللَّهِ وَمَعِيَ لِيَوْمِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي فِي أُمَّتِي وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْصِيهِمْ بِسَنَةِ وَلَا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ وَلَا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ .

وعند أبي داود من حديث أبي مالك الأشعري قَدْ أَجَارَكُمُ اللَّهُ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالِ أَنْ لَا يَدْعُو عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيعًا وَأَنْ لَا يَظْهَرُ أَهْلُ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ وَأَنْ لَا تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ .

شرف الوضوء وفضله

ومن الشرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما اعده الله من الثواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء .

فمن ذلك .

أن الوضوء يطهر الإنسان من الخطايا وينظف جوارحه واحدة واحدة فكلما غسل جارحه خرجت منها الخطايا التي اقترفتها . قال ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ وَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ (١) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ . فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ . فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ (٢) .

وفي رواية عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَمْضُضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَسْتُرُّ إِلَّا جَرَتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا جَرَتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لَحْيَيْهِ مَعَ الْمَاءِ . ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلَّا جَرَتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنْامِلِهِ مَعَ

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

الماء ، ثم يَمْسُحُ رَأْسَهُ إِلَّا جَرَّتْ حَظَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكُعْبَيْنِ إِلَّا جَرَّتْ حَظَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ حَظِيئَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ^(١) .

ومن ذلك :

أن الوضوء على المكراه يرفع الدرجات .

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ قَالُوا : بَلَى يَا سَوْءَ مَا قَامَ بِصَلَاتِكَ إِسْبَاحٌ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ^(٢) .

ومن ذلك :

ان الشهادة بعد الوضوء سبب دخول الجنة .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ . فَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُهَا مِنْ أَيِّهَا شَاءَ^(٣) .

فضل الاذان وشرف المؤذنين

ومن شرف الأمة المحمدية أن الله اختصها بالاذان . وقد جاء في فضله وفضل المؤذنين أحاديث كثيرة تبين شرفهم وما اختصهم الله تعالى به من مناقب ومزايا .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم والترمذى بمعناه ولم يذكر مسلم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين .

فمنها : ان المؤذن يشهد له كل من يسمع صوته بالاذان كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ أنه قال : **لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جَنًّا وَلَا إِنْسًا وَلَا شَيْءًا إِلَّا يَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** (١) . وفي رواية : أنه يشهد له كل رَطْبٍ وَيَابِسٍ (٢) .

ومنها : ان للأذان فضلا خفياً لا يعلمه إلا الله ، فقد جاء في الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ** (٣) . والمراد بالنداء الاذان . وقوله استهموا أى اقترعوا . ومعناه : أنهم لو علموا فضيلة الاذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقا يحصلونه لضيق الوقت عن أذان بعد اذان ، أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد لاقترعوا فى تحصيله .

ومنها أن رفع الصوت بالاذان لتحصيل ثواب الله وشهادة كل شىء بالتوحيد للمؤذن أمر محبوب يستحق أن يتقاتل عليه الناس بالسيوف .

فعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي التَّأَذِينَ لَتَضَارَبُوا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ** (٤) . أى لحصل نزاع شريف وتقاتل بسيط على النصر والفوز فى المنافسة الخيرية . وهذا من باب الترغيب وإلا فإن المقاتلة لا تجوز . بل الخلاف على ذلك لا يجوز .

ومنها : أن المؤذن معه رحمة الله وعونه ومساعدته وإحسانه وفى أى مكان سار ووصل تحيط به رحمة الله تعالى . **رُوي عن أنس رضى الله عنه قال :** قال رسول الله ﷺ : **يُدُّ الرَّحْمَنُ فَوْقَ رَأْسِ الْمُؤَذِّنِ ، وَإِنَّهُ لَيَغْفُرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ أَيْنَ بَلَغَ** (٥) .

ومنها : أن المؤذن أمين وهو محل ثقة الناس يعتمدون عليه فى معرفة وقت إفتارهم إن صاموا ، أو يقبلون على الصلاة المكتوبة ، فعن أبى هريرة رضى الله

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أحمد وفى اسناده ابن لهيعة .

(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط .

عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الإمام ضامنٌ والمؤذنٌ مؤتمنٌ . اللهم أرشدِ الأئمةَ واغفرْ للمؤذنين^(١) .

وهذا دعاء عظيم من الرسول الكريم ﷺ للمؤذنين فهنيئاً لهم بهذه الدعوة النبوية المحابة .

ومنها : ان المؤذن يطرد بأذانه الشيطان . فعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون مكان الروحاء . قال الراوى : والروحاء من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً^(٢) . وهى التى تعرف اليوم ببيير الراحة بعد المسيجيد .

قال النووي : إنما يدبر الشيطان لعظيم أمر الأذان لما اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الاسلام واعلانه . وقيل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الاعلان بالتوحيد . إهـ .

والمؤذنون هم من أحب العباد إلى الله تعالى .

روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ ، إِنْ أَحَبَّ عِبَادُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ لِرِعَاةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَعْنِي الْمُؤَذِّنِينَ ، وَإِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِطَوْلِ أَعْنَاقِهِمْ^(٣) .

ومن مزايا المؤذنين — أن إتمام غفران الله للمؤذن ودرك رحمته تعالى له بقدر الفراغ الذى يملؤه صوته . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يُعْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أُذَانِهِ وَيَسْتَعْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ^(٤) .

ومنها : أن المؤذن سبع سنين إحْتساباً لله تعالى تكتب له برآة من النار .

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما إلا أنها قالوا — فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين . ولابن خزيمة رواية كرواية أبى داود .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط . وقوله رعاة الشمس والقمر أى الذين يترقبون حركات الكواكب لترشدهم إلى اوقات عبادة الله عز وجل من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء . كما أن الراعى يراقب حركات الماشية .

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح .

كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ان النبی ﷺ قال : مَنْ أذَّنَ سَبْعَ سِنِينَ مُحْتَسِبًا كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ (١) .

ومنها : أن المؤذن محفوظ من أهوال القيامة في مكان بارز متميز عن غيره من أهل الموقف ، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : الْمُؤذِّنُونَ أطولُ الناسِ عُناقاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢) .

ومنها : أن من أذنتي عشرة سنة وجبت له الجنة .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً ، وَلِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً (٣) .

والمؤذنون هم من خيار عباد الله . جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : إِنَّ خِيَارَ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ يُرَاعُونَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ لِذِكْرِ اللَّهِ (٤) .

والمؤذنون يحشرون يوم القيامة على حالهم الذي ماتوا عليه ، فالناس في هلع وخوف وجزع وهم مشتغلون بالأذان . روى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إِنْ الْمُؤذِّنِينَ وَالْمَلْبِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَئِذٍ الْمُؤذِّنُ وَيُلْبِي الْمَلْبِي (٥) .

والمؤذنون يوم القيامة على كتبان من مسك يراهم الناس فيتمنى كل واحد مقامه ، لا يهولهم الفرع الأكبر ولا يفزعون يوم يفزع الناس .

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ثَلَاثَةٌ عَلَى كُتُبَانِ الْمِسْكِ وَأَرَاهُ قَالَ : يَوْمَ الْقِيَامَةِ . زَادَ فِي رِوَايَةٍ : يَعْبُطُهُمُ الْاَوَّلُونَ

(١) أخرجه الترمذى وقال حديث غريب .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه .

(٤) رواه الطبرانى واللفظ له . واليزارُ والحاكم وقال صحيح الاسناد . ثم رواه موقوفاً وقال : هذا لا يفسد

الأول لان ابن عينية حافظ وكذلك ابن المبارك إهـ . ورواه أبو حفص ابن شاهين وقال : تفرد به ابن

عبيدة عن مسعر وحدث به غيره وهو حديث غريب صحيح .

(٥) رواه الطبرانى في الاوسط .

والأخرون : عبد أدى حقَّ الله وحقَّ موالِيه ، ورجُلٌ أمَّ قوماً وهم به راضون ،
ورجُلٌ يُنادى بالصَّلواتِ الحَمْسِ في كُلِّ يومٍ وليلة^(١) .

وفي رواية عند الطبراني في الأوسط والصغير بإسناد لا بأس به « لا يَهْوُلُهُمُ
الْفَرْعُ الأَكْبَرُ ولا يَنالُهُمُ الحِسابُ ، هُم على كُتُبٍ مِنْ مِسْكِ حتَّى يُفَرِّغَ مِنْ
حِسابِ الخَلائِقِ .

وفي رواية أخرى عند الطبراني في الكبير : عن ابن عمر رضی الله عنهما
قال : لو لم أسمع من رسول الله ﷺ إلا مرة ومرة ومرة حتى عدَّ سبع مرات لما
حدَّثتُ به : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ثلاثة على كُتُبِ المِسكِ يومَ القِيامَةِ
لا يَهْوُلُهُمُ الفَرْعُ ولا يَفْرَعُونَ حين يَفْرَعُ الناسُ .

والمؤذن المحتسب كالشهيد ، جاء في الحديث عن ابن عمر رضی الله عنهما
قال : قال رسول الله ﷺ : المؤذِّنُ المُحتَسِبُ كالشَهِيدِ المُتَشَحِّطِ في دِمِهِ يَتَمَنَّى
على الله ما يَشْتَهُي بَينَ الأذانِ والإقامة^(٢) .

والمؤذن المحتسب إذا مات فإن جسمه محفوظ لا يأكله الدود ، فعن عبد الله
بن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : المؤذِّنُ المُحتَسِبُ كالشَهِيدِ
المُتَشَحِّطِ في دِمِهِ إذا مات لم يُدَوِّدَ في قَبْرِه^(٣) .

وهذه مكافأة من الله تعالى للمؤذن الذى يحافظ على ايقاظ الناس أن يحيا في
قبره ويشعر بنعيم ربه وينقى ويطهر جسمه ولا يتنن ولا يقذر ويسلم من الدود
الذى ينشأ من عفونة الجسم لكن الشرط أن يكون محتسبا . أما إذا كان مؤذنا
فاسقا وطمّاعا ومخاتلا فيطلق الله عليه الحشرات في قبره تنهشه نهشا ويبلى جسمه
ويعذب عذابا ألما .

ومن فضائل الاذان أنه أمان لأهله .

(١) رواه أحمد والترمذى من رواية سفيان عن أبى اليقظان عن زاذان عنه وقال حديث حسن غريب .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط .

ومعنى المحتسب : هو يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثوابا من المؤجر ومعنى المتشحط : أى المتخبط فيه
يعنى المضطرب المتمرغ .

(٣) رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمى : وفيه محمد بن الفضل القطاني ولم اجد من ذكره .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أُذِّنَ في قريةٍ أَمَّنَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من عذابه ذلكَ اليومَ (١) .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : أيما قوم نُودِيَ فيهمُ بالاذانِ صباحاً إلا كانوا في أمانِ اللهِ حتى يُمَسُّوا وأيما قوم نُودِيَ فيهمُ بالاذانِ مساءً إلا كانوا في أمانِ اللهِ حتى يُصْبِحُوا (٢) .

ومن فضائل الأذان ما جاء في الحديث عن هلال بن يساف رضى الله عنه أنه سمع معاوية يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : مَنْ سَمِعَ الْمُؤذِنَ فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ (٣) .

ومن فضائل الاذان أن من أجابه فله بكل حرف ألف درجة وهذا روى في الحديث عن السيدة ميمونة رضى الله عنها مرفوعاً وهو وإن كان ضعيفاً إلا أنه تثبت بمثله الفضائل (٤) .

ومن خصائص الاذان أن من خرج من المسجد بعد سماعه الاذان من غير عذر أو إرادة الرجوع إليه مرة أخرى — فهو منافق .

روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَدْرَكَهُ الْأُذَانُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ فَهُوَ مُنَافِقٌ (٥) .

فضل إجابة المؤذن

ومن شرف الأمة المحمدية ما جاء في فضل إجابة المؤذن من الفضل العظيم والاجر الكريم .

فمن ذلك — أن النبي ﷺ بشره بالجنة : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قال المؤذنُ اللهُ أكبرُ فقال أحدكم اللهُ أكبرَ ثم

(١) رواه الطبراني في معاجمه الثلاث .

(٢) رواه الطبراني في الكبير من حديث معقل بن يسار .

(٣) رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين لكن متنه حسن وشواهده كثيرة .

(٤) وقد رواه الطبراني في الكبير .

(٥) رواه ابن ماجه .

قال أشهدُ ان لا اله الا الله قال أشهد أن لا اله إلا الله ثم قال أشهد أن محمداً رسولُ الله قال أشهدُ أن محمدا رسول الله ثم قال حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ قال لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله ثم قال حَيَّ عَلَى الفلاح قال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال الله اكبر قال الله اكبر ثم قال لا اله إلا الله قال لا اله إلا الله مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ (١) .

وفي رواية عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادى فلما سكت قال رسول الله ﷺ : من قال مثل ما قال هذا يقيناً دخل الجنة (٢) .

وفي رواية : ان النبي ﷺ لما سمع بلالا يُؤذِنُ قال : من قال مثل مقالته وشهد مثل شهادته فله الجنة .

ومن ذلك أن النبي ﷺ بشرَ مَنْ أجاب المؤذن بالمغفرة إذا قال : وأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله رضيْتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً (٣) .

ومن ذلك أن النبي ﷺ بشره بالشفاعة يوم القيامة . وينال هذه الشفاعة إذا أجاب المؤذن وصلى على النبي ﷺ ويسأل له الوسيلة . وبهذا تعلم أن الفوز بشفاعته الخاصة مشروط بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له . فعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : إذا سمعتمُ المؤذِنَ فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهُ لِي الوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَبْغَى إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ (٤) .

وينال هذه الشفاعة أيضا إذا قال : اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو عبد الرحمن النسائي في سننه .

(٣) رواه مسلم والترمذى واللفظ له .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائي .

فقد جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان النبي ﷺ قال : من قال حين يسمع النداء — الحديث — ثم قال « حَلَّتْ لَه شِفَاعَتِي » (١) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا سمع المؤذّن : اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على مُحَمَّدٍ وأعطه سُؤاله يوم القيامة وكان يُسمِعُهَا مَنْ حَوْلَهُ وَيُحِبُّ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعُوا المؤذّن قال : ومن قال مِثْلَ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ المؤذّن وَجَبَتْ لَهُ شِفَاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢) .

وفي رواية أن النبي ﷺ كان إذا سمع النداء قال : اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على عبدك ورسولك واجعلنا في شفاعته يوم القيامة . ويقول : مَنْ قَالَ هَذَا عِنْدَ النَّدَاءِ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي شِفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) .

وفي رواية : من سمع النداء فقال : اشهد ان لا الله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله : اللهم صلّ على محمدٍ وبلّغهُ درجةَ الوسيلةِ عندك واجعلنا في شفاعته يوم القيامة ، وجبت له الشفاعة (٤) .

وقد بشر نبينا ﷺ من أجاب المؤذّن بأن دعوته مستجابة .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ قَالَ حِينَ يُنَادَى المُنَادَى : اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة صلّ على مُحَمَّدٍ وارضَ عَنِّي رِضاً لَا سَخَطَ بَعْدَهُ — اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ دَعْوَتَهُ (٥) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله إن

(١) رواه البخارى ورواه البيهقى وزاد في آخره : انك لا تخلف الميعاد .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وفى إسنادها صدقة بن عبد الله السمين

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٥) رواه أحمد والطبرانى فى الاوسط وفيه ابن لهيعة .

المؤذنين يفضّلوننا « أى يزيدون علينا فى الثواب » فقال رسول الله ﷺ : قُلْ كما يقولون فإذا اتّبهيت فسَلْ تُعْطَهُ (١) .

ومن فضائل الاذان — ان بينه وبين الاقامة دعوة مستجابة .

فعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ساعتان لا تُرَدُّ على داعٍ دعوته : حين تُقَامُ الصلاةُ ، وفى الصّفِّ فى سبيلِ الله (٢) .

وفى رواية : عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا نادى المُنَادى فُتِحَتْ ابوابُ السَّماءِ واستجيبَ الدُّعاءُ فمن نَزَلَ به كَرَبٌ أو شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنِ المُنَادِي فاذا كَبَّرَ كَبَّرْ وإذا تَشَهَّدَ تَشَهَّدْ واذا قال حَيَّ على الصلاةِ ، قال : حَيَّ على الصلاةِ وإذا قال حَيَّ على الفلاحِ قال حَيَّ على الفلاحِ . ثم يقول اللهم رَبِّ هذهِ الدَّعوةُ التَّامةُ الصَّادِقَةُ المُستجابةُ ، المُستجابُ لها دعوةُ الحَقِّ وكلمةُ التَّقوى أُحِينا عَلَيْها وأَمِننا عَلَيْها وابْعَثْنَا عَلَيْها واجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِها أَحياءَ وأمواتاً . ثم يَسْأَلُ اللهَ حاجَتَهُ (٣) .

فضل بناء المساجد والمشي إليها والجلوس فيها

ومن شرف الأمة المحمدية ، اختصاصها بالمساجد وقد جاء فى فضل بنائها وفضل السعي إليها عن النبى ﷺ أحاديث كثيرة .

فمنها ما يدل على فضل بناء المسجد وأنه مضمون له بيت مثله فى الجنة .

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ بَنَى مسجداً يَبْتَغى به وَجْهَ اللهِ ، بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فى الجَنَّةِ (٤) .

(١) رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واهد وقال صحيح الاسناد . وقوله : فليتحين المنادى أى ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيبه ثم يسأل الله حاجته .

(٤) اخرج به البخارى ومسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
من بنى مسجداً يُذكر فيه اسمُ الله ، بنى الله له بيتاً فى الجنة (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : من بنى
مسجداً كمفحصِ قِطَاةٍ أو أصغرَ بنى الله له بيتاً فى الجنة (٢) . وقوله كمفحص
قِطَاة : القِطَاة طائر معروف أى مقدار عُشها ومأواها .

وفى رواية : بنى الله له بيتاً أوسعَ منه (٣) . وفى رواية : أفضلَ منه (٤) . وفى
رواية : من بنى بيتاً يُعبدُ الله فيه من مالٍ حلالٍ بنى الله له بيتاً فى الجنة من دُرٍّ
وياقوتٍ (٥) .

وفى رواية من بنى مسجداً لا يُريدُ به رياءً ولا سُمعةً بنى الله له بيتاً فى
الجنة (٦) .

وثواب بناء المسجد باق وأجره جار لصاحبه حتى بعد وفاته فعن أبى
هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ
وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، أو ولدًا صالحًا تركه أو مُصْحَفًا ورثه أو
مسجداً بناه أو بيتاً لابنِ السَّبِيلِ بناه أو نَهْرًا أَجْرَاهُ أو صدقةً أخرجها من ماله فى
صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلَحُّقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ (٧) .

ومنها ما يدل على فضل من كس المسجد ونظفنه .

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه أيضا .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه أحمد والطبرانى .

(٥) رواه الطبرانى فى الاوسط والبخارى دون قوله من در وياقوت .

(٦) رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٧) رواه ابن ماجه واللفظ له .

وابن خزيمة صحيحه والبيهقى واسناد ابن ماجه حسن .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عُرِضَتْ عَلَى أَجُورِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَدَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ . وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أَوْ يَهِيَ الرَّجُلُ فَنَسِيَهَا . والقداة مفرد قذى . وهى ما يقع فى العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك والمعنى يخرج الرجل كل قدر وإن قل .

وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ أَخْرَجَ أَدَىً مِنَ الْمَسْجِدِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ (١) .

ومنها ما يدل على فضل المشى إلى المساجد وفضل الجلوس فيها .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة الرجل فى جماعة تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَسُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ . فاذا صَلَّى لَمْ تَنْزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّيْ عَلَيْهِ مَاذَامَ فِي مُصَلَّاهُ ، تَقُولُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ (٢) .

وعن أبى بن كعب رضى عنه ، قال : كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتَ لَهُ : لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَاراً تَرَكْتَهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ ، قَالَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمَشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي . فقال رسول الله ﷺ : قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ (٣) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : كانت ديارنا نائية من المسجد

(١) رواه ابن ماجه وفى اسناده احتمال للتحسين .

(٢) رواه البخارى ومسلم بنحوه .

(٣) رواه مسلم .

فَارَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بِيوتَنَا فَتَقَرَّبَ مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَنهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ لَهٗ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تُحِطُّ خَطِيئَةً وَالْآخَرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً (٢) .

وعنه عن النبي ﷺ قال : مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ (٣) .

وعن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُتَطَهِّرًا إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لَا يَنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ . وَصَلَاةٌ عَلَى أَثَرِ صَلَاةٍ لَا لَعْوَ بَيْنَهُمَا كِتَابٌ فِي عِلِّيِّينَ (٤) .

وعن بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ الْأَسْلَمِيِّ رضى الله عنه . عن النبي ﷺ قال : بَشِّرِ الْمَشَائِئِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٥) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الْمَشَاوُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ ، أَوْلَئِكَ الْخَوَاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لِيُشِيرَ الْمَشَاوُونَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِنُورٍ تَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦) .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه أبو داود والترمذى .

وقال حديث غريب . وعن أنس بن مالك مثله رواه ابن ماجه .

(٦) رواهما ابن ماجه .

فضائل الصلاة

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضائل على اداء الصلوات والمحافظة عليها .

فمن ذلك :

ان الصلاة تكفر الخطايا . قال الله تعالى : وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَاً مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ .

روى الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قالوا : لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ — أَى وَسَخِهِ — شَيْءٌ فَقَالَ ﷺ : فَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا — أَى الصَّغَائِرَ — أما الكبائر فلا يد لها من توبة كما دل على ذلك حديث مسلم والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصَّلَاةُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ — وفى رواية — : وَرَمْضَانٌ إِلَى رَمْضَانٍ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُعْشَرَ الْكَبَائِرُ . وفى رواية — : إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا يُنَادَى عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ : يَا بَنَى آدَمَ قُومُوا إِلَى نَيْرَانِكُمْ الَّتِي أَوْقَدْتُمُوهَا فَأَطْفِئُوهَا . والمراد بالنيران هنا الذنوب (١) .

وعن أبى مسلم التلعبى قال : دخلت على أبى أمامة رضى الله عنه وهو فى المسجد فقلت : يا أبا أمامة إن رجلا حدثنى عنك أنك سمعت رسول الله ﷺ يقول : من توضأ فأَسْبَغَ الوُضوءَ فغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ثُمَّ قَامَ إِلَى صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ فى ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا مَسَّتْ إِلَيْهِ رِجْلَاهُ وَقَبِضَتْ عَلَيْهِ يَدَاهُ وَسَمِعَتْ إِلَيْهِ أَذُنَاهُ وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ عَيْنَاهُ وَحَدَّثَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ سَوْءٍ .

(١) رواه الطبرانى وقال المنذرى : رجاله كلهم محتج بهم — فى الصحيح .

فقال أبو أمامة : والله قد سمعته من رسول الله ﷺ مرارا (١) .

وعن أبي ايوب الانصارى رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : إنَّ كُلَّ صلاةٍ تُحُطُّ ما بين يديها من خطيئةٍ (٢) .

ومن ذلك :

أن الصلاة ترفع الدرجات . روى مسلم عن معدان بن أبي طلحة رضى الله عنه قال : لَقِيتُ ثوبانَ مولى رسول الله ﷺ فقلت : أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ — أَوْ قَالَ : أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَسَكَتَ . ثُمَّ سَأَلْتَهُ فَسَكَتَ ، ثُمَّ سَأَلْتَهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ ثوبان : سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ فَانَكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ بِهَا عَنْكَ خَطِيئَةٌ .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما مِنْ عِبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً فَاسْتَكْبَرُوا مِنَ السُّجُودِ (٣) .

ومن ذلك :

أن الصلاة خير موضوع شرعه الله تعالى . روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر .

ومن ذلك :

أن الصلاة خير الأعمال : عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : استقيموا ولن تحصوا — وفى رواية : استقيموا تُفلحوا — واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن (٤) .

(١) رواه أحمد وله شواهد .

(٢) قال الهيثمى رواه أحمد وسنده حسن .

(٣) رواه ابن ماجه باسناد صحيح .

(٤) رواه الامام أحمد وابن حبان فى صحيحه .

ومعنى لن تحصوا : اى لن تحسوا ثناء عليه سبحانه . أو لن تحسوا مراتب الاستقامة

ومن ذلك :

أن الصلاة شفاء للأرواح والأشباح . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الصلاة شِفَاءً » (١) .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها اتِّخَاذُ عَهْدٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : خمسُ صلواتٍ كتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ وَلَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذِّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ (٢) .

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر ، فقال ﷺ : ما أَجَلَسَكُمُ ؟ قلنا : جَلَسْنَا نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ . قال : فَأَرَمَ — أَى سَكَتَ — قَلِيلاً ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : هَلْ تَذَرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ ؟ قلنا لا ، قال : فَإِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهَا فَلَهُ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَمْ يَصَلِّهَا وَلَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهَا فَلَا عَهْدَ لَهُ عَلَيَّ ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ (٣) .

ومنها : أن الصلاة تمنح المصلى عفو الله تعالى ورحمته ورضوانه — فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : الوقتُ الأوَّلُ من الصلاةِ رِضْوَانُ اللَّهِ وَالْآخِرُ عَفْوُ اللَّهِ (٤) .

وجاء أن النبي ﷺ قال : أوَّلُ الوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ وَوَسَطُ الوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَآخِرُ الوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٥) .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائي .

(٣) قال المنذرى : رواه الطبراني وأحمد بنحوه .

(٤) رواه الترمذي .

(٥) رواه الدارقطني .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها مباحاة رب العزة ملائكته بالمصلى فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ — وفي رواية أحمد : إن الملائكة يتعاقبون فيكم : أى يتناوبون — ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَأَثُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ — وهو أعلم بهم — فيقول : كيف تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فيقولون : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ (١) .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها صلة العبد بربه ، ترفع الحجب بين المصلى وبين ربه عز وجل . عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن العبد إذا قام في الصلاة فُتِحَتْ لَهُ الْجَنَانُ ، وَكُشِفَتْ لَهُ الْحُجُبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَاسْتَقْبَلَتْهُ الْحَوْرُ الْعَيْنُ مَا لَمْ يَمْتَخِطْ أَوْ يَتَنَحَّعْ (٢) .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها الاقتراب من حضرة رب الارباب . قال تعالى ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَكثروا الدُّعَاءَ » (٣) .

وانما كان فى السجود قرب خاص لما فيه من محض ذل العبودية لمقام عزة الربوبية .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها مناجاة رب العزة . عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلَا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ » (٤) .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلا فيأخذه بيده اليسرى كما نص عليه .

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى وغيره .

عن أنى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : إذا قامَ أحدكم إلى الصلاة فلا يَبْصُقْ أمامه فإنما يُناجى الله مادامَ في مُصَلَّاهُ ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً وليَبْصُقْ عن يساره أو تحتَ قدميه فيذْفِنُها (١) .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها التوجه والاقبال على الله تعالى — عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إذا كانَ أحدكم يُصَلِّي فلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إذا صَلَّى (٢) .

ومن ذلك :

ان الصلاة فيها ذكر العبد ربه تعالى وذكره تعالى لعبده — قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ أى لذكرك لي وذكركى لك ، فان كل نوع من الذكر يتقرب به العبد لربه مقابل بذكر منه سبحانه .

عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال تعالى : ﴿ فَسَمَّتِ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإذا قال العبدُ : « الحمد لله رب العالمين » ﴿ قال الله تعالى : ﴿ حَمِدَنِي عَبْدِي ﴾ وإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ﴾ وإذا قال : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال تعالى : ﴿ مَجَّدَنِي عَبْدِي ﴾ وقال مرة : فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي — فإذا قال ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال : هذا بينى وبين عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فإذا قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال تعالى : ﴿ هذا لعبدى ولعبدى ما سَأَلَ ﴾ (٣) .

وجاء في رواية أخرى زيادة في أوله : فإذا قال العبد : « بسم الله الرحمن الرحيم » يقول الله تعالى : ﴿ ذَكَرَنِي عَبْدِي ﴾ (٤) .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) قال النووى فى المجموع ولكن اسنادها ضعيف . وهى عند الدارقطنى والبيهقى .

ومن ذلك :

أن الصلاة فيها تأمين الملائكة أى : تقول لقراءة الفاتحة آمين . فمن وافق تأمينهم غفر له ما تقدم من ذنبه ، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أَمَّنَ الإمامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وافقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينِ الملائكةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة فى السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ (٢) .

ومن ذلك :

ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر قال الله تعالى : ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ .

فقد أمر سبحانه باقامة الصلاة وبين أثر الصلاة فيمن أقامها أنها تنهى عن الفحشاء — أى المحرمات الفعلية — والمنكر القولى ، والفواحش الفعلية والمنكرات القولية هما مجمع الآثام والذنوب .

ومن ذلك :

ان الصلاة تهذب العبد من الصفات الذميمة — قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لُخْلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ . الايات . يعنى الانسان إذا مسه الشر اشتد جزعه وضجره وإذا مسه الخير من الله تعالى شح ومنع حق الله تعالى فى ذلك ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحُّ هَالِعٍ وَجُبْنٌ خَالِعٌ (٣) .

ولم يبرأ من تلك الصفات الذميمة إلا المصلون الدائمون على صلاتهم فى أوقاتها الملازمون لها فانها حولتهم من الطباع السيئة إلى الطباع الحسنة وطورتهم فى أطور الكمالات والفضائل .

(١) (٢) فى الصحيحين .

(٣) رواه أحمد فى المسند .

ومن خصائص الصلاة أن البر الآلهي يتناثر فيها على المصلي . روى محمد بن نصر عن الحسن البصرى مرسلًا أن النبي ﷺ قال : لِلْمُصَلِّي ثَلَاثُ خِصَالٍ يَتَنَازَرُ الْبُرْمَانُ عَنَانَ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ وَتُحْفُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ وَيُنَادِيهِ مَنَادٍ : لَوْ يَعْلَمُ الْمُصَلِّي مَنْ يُنَاجِي مَا انْقَتَلَ .

ومن خصائص الصلاة أن الملائكة تصلي على المصلي مادام في مصلاه . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ . مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ مُصَلَّاهُ أَوْ يُحْدِثْ (١) .

ومن ذلك :

أن الصلاة نور للمؤمن في الدنيا والآخرة — عن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الطَّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَانِ — أَوْ تَمَلُّ — مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ . الحديث (٢) . فهي نور للمصلي في قلبه وبصيرته وعقله ووجهه . قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ .

عن عبادة بن الصامت مرفوعاً « إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها ورُكوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي وَصَعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ وَلَهَا نُورٌ » الحديث (٣) .

وهي نور للمؤمن في حشره وعلى الصراط وجميع برآزخ الآخرة . عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبِرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الحديث (٤) .

ومن خصائص الصلاة في عالم القبر انها تحوط المصلي وتحفظه كما حفظها . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال ﷺ : « إِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَإِنَّهُ

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه أحمد في المسند وهو في صحيح ابن حبان .

يَسْمَعُ خَفَقَ نِيعَالِهِمْ حِينَ يُؤَلُّونَ مُذْبِرِينَ فَاِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عَنِ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الرَّكَاعَةُ عَنِ شِمَالِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاتِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَيُوتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ — : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الرَّكَاعَةُ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ ثُمَّ يُوتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قَبِلِي مَدْخَلَ فَيَقَالُ لَهُ : اجْلِسْ . فَيَجْلِسُ قَدْ مُتَّلتُ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ دَنَّتْ لِلْغُرُوبِ فَيَقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : دَعَوْنِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَيَقُولُونَ إِنَّكَ سَتَفْعَلُ . أَخْبَرَنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . فَيَقَالُ لَهُ : عَلِيٌّ ذَلِكَ حَيِّتَ وَعَلِيٌّ ذَلِكَ مُتَّ وَعَلِيٌّ ذَلِكَ ثُبُعْتُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا « الْحَدِيثُ (١) .

وَمِنْ خِصَائِصِ الصَّلَاةِ أَنْ مِنْ حَافِظِ عَلَى صَلَوَاتِهِ فِي الدُّنْيَا مَتَعَشِقًا بِهَا فَانَّهُ لَا يَزَالُ يَصَلِّي فِي قَبْرِهِ مَتَمَعًا بِصَلَاتِهِ وَهَذَا مَقَامُ اعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِجَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَقَدْ يَكْرَمُ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ . وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ يَصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ مَارِوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَابْنُ بَيْهَقِي فِي جُزْءِ « حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ » عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ » .

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : أُتِيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلِيٌّ مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ عِنْدَ الْكَنْثِيبِ الْأَحْمَرِ (٢) .

وَأَمَّا الذَّلِيلُ عَلَى صَلَاةِ الصَّالِحِينَ فِي قُبُورِهِمْ فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ : دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَيَقُولُونَ : « إِنَّكَ سَتَفْعَلُ » الْحَدِيثُ وَقَدْ تَقَدَّمَ .

(١) قَالَ الْمُنْذَرِيُّ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ .

وأَسَدُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنْ يَسَارِ بْنِ جَيْشٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَنَا وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَدْخَلْتُ ثَابِتَا الْبِنَانِي فِي لِحْدِهِ وَمَعِيَ حَمِيدٌ وَرَجُلٌ غَيْرُهُ فَلَمَّا سَوَّيْنَا عَلَيْهِ اللَّيْلِينَ سَقَطَتْ لَبْنَةٌ فَآذَا بِهِ يَصِلُ فِي قَبْرِهِ فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِيَ : أَلَا تَرَاهُ ؟ قَالَ : أَسَكْتُ فَلَمَّا سَوَّيْنَا عَلَيْهِ وَفَرَعْنَا أَتَيْنَا ابْنَةَ ثَابِتٍ فَقُلْنَا لَهَا : مَا كَانَ عَمَلُ ثَابِتٍ ؟ قَالَتْ : وَمَا رَأَيْتُمْ ؟ فَاخْبِرْنَاهَا فَقَالَتْ : كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ خَمْسِينَ سَنَةً فَآذَا كَانَ السَّحَرُ قَالَ فِي دَعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَعْطَيْتُ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطَيْتَهَا . فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُردَ ذَلِكَ الدَّعَاءَ . اهـ .

وَنظِيرُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَكْرَمَ بَعْضَ عِبَادِهِ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي قَبْرِهِ كَمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ : ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَبَاءً عَلَى قَبْرِ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ فَآذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ حَتَّى خْتَمَهَا . فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ — فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .

وَرَوَى ابْنُ مَنْدَهٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ قَالَ : أَرَدْتُ مَالِي بِالْعَابَةِ فَادْرَكَنِي اللَّيْلُ فَأَوَيْتُ إِلَى قَبْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَزَامٍ فَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ مِنَ الْقَبْرِ مَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا . فَجِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَهُمْ فَجَعَلَهَا فِي قَنَادِيلَ مِنْ زَبْرُجِدٍ وَيَاقُوتٍ وَعَلَّقَهَا وَسَطَ الْجَنَّةِ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى مَكَانِهَا الَّتِي كَانَتْ . كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيُّ .

ومن ذلك :

أَنَّ الصَّلَاةَ تَحْفَظُ عَلَى الْمُصَلِّيِ أَعْضَاءَ السُّجُودِ مِنَ النَّارِ جَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْتِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ . وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : فَأَنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ

غير أنه لا يعلم قدر عظيمها إلا الله تعالى تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق — أى يهلك — بعلمه ومنهم من يُخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان يعبد الله فيعرفونهم بأثار السجود وحرّم الله تعالى على النار أن تأكل موضع السجود فيخرجون وقد امتحشوا — أى احترقوا — فصب عليهم ماء الحياة فينبئون نبات الحبة في حميل السيل . الحديث (١) .

ومن ذلك :

أن الصلاة تهيء المصلّي وتعدّه للسجود يوم تدعى الخلائق للسجود لرب العالمين . قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ .

فقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان المكلفين بالسجود يوم القيامة وذلك أنه سبحانه يكشف عن نور عظيم يتجلى به على أهل الموقف ويدعوهم إلى السجود له تعالى ، كما جاء عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقول : يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقٍ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَتَّقَى مِنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمِعَةَ فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا (٢) .

وفي رواية قال ﷺ : فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَتَّقَى مِنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالسُّجُودِ وَلَا يَتَّقَى مِنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً — أى خوفاً من الناس ونفاقاً — إلا جعل الله ظهره طبقاً واحداً كلما أراد أن يسجد خراً على قفاه (٣) .

(١) رواه الشيخان .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

والكشف عن الساق الوارد في الآية والحديث يفسره ما جاء عن أنى موسى
عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ قال : عن نورٍ عظيم
فيخرون له سجداً^(١) .

وجاء من طريق ابراهيم النخعي في قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن
ساق ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى يكشف عن أمر عظيم ثم قال : يقال
قامت الحرب على ساق يعنى إذا اشتدت وعظمت اهـ^(٢) .

ومن فضائل الصلاة في الآخرة أن لها بابا خاصا من أبواب الجنة يدخل منه
المصلي .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال : « من أتق
زوجين في سبيل الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يا عَبْدَ اللَّهِ هذا خيرٌ فمن كان مِنْ
أهلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصلاة . ومن كان مِنْ أهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بابِ
الجِهَادِ . ومن كانَ مِنْ أهلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الرِّيَّانِ . ومن كانَ مِنْ أهلِ
الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدَقَةِ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأى أنت وأمى
يا رسولَ اللَّهِ ما على مَنْ دُعِيَ مِنْ تلكَ الأبوابِ مِنْ ضرورةٍ فهل يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ
تلكَ الابوابِ كُلِّها فقال ﷺ : نعم وأرجو أن تكونَ منهم^(٣) .

(١) رواه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .
(٢) رواه سعيد بن منصور وابن منده والبيهقى في كتاب الاسماء والصفات .
(٣) رواه البخارى .

مرافقة النبي ﷺ في الجنة

ومن ذلك :

ان الصلاة تمهيء المصلى وتعدده لمرافقة النبي ﷺ في الجنة .

عن ربيعة بن كعب الاسلمى رضى الله عنه قال : كنتُ أُحَدِّثُ النَّبِيَّ ﷺ نهارى فاذا كان الليلُ أُويْتُ إلى رسولِ الله ﷺ فَبِتُّ عِنْدَهُ فلا ازالُ أُسْمِعُهُ ﷺ يقولُ : « سبحانَ الله سبحانَ الله سبحانَ رَبِّي » حتى أَمَلُ أو تَعْلِبُنِي عَيْنِي فَأَنَامُ فقال يوما : يا ربيعةُ سَلْنِي فَأَعْطِيكَ فَقُلْتُ أَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ ، وَتَذَكَّرْتُ ان الدُّنْيَا فَايَةً مُنْقَطِعَةً . فَقُلْتُ يا رسولَ الله أسألكَ أنْ تَدْعُوَ اللهَ أنْ يُنَجِّبَنِي مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ . ثم قال : مَنْ أَمَرَكَ بهذا ؟ قلت : ما أَمَرَنِي به أحدٌ ولكن عَلِمْتُ أنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ فَايَةً وانْتِ مِنَ اللهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُ فَأَحْبَبْتُ أنْ تَدْعُوَ اللهَ لِي . فقال ﷺ : إني فاعلٌ فأعني على نفسك بكثرة السُّجُودِ (١) .

عن ربيعة بن كعب انه قال : كنتُ أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي ﷺ : سَلْنِي . فَقُلْتُ : أسألكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنةِ . قال : أو غير ذلك ؟ قلت : هُوَ ذاك قال ﷺ : فَأَعِنِّي على نفسك بكثرة السُّجُودِ (٢) .

وجاء عن أبى فاطمة رضى الله عنه قال : قال لي نبي الله ﷺ : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَانِي فَأَكْثِرِ السُّجُودَ (٣) .

رؤية رب العزة

ومن فضائل الصلاة في المصلى انها تقوي استعداده لرؤية رب العزة جل وعلا .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الأمام أحمد .

جاء عن جرير — رضى الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة — وفي رواية: ليلة البدر — فقال : إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ . فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها — زاد مسلم : يعنى العصر والفجر — فافعلوا، ثم قرأ : وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ^(١) . وقوله « لا تضامون » يروى مخففا من الضيم — أى لا ينال أحدكم ضيم ولا حرمان بل كلكم ترون ربكم . ويروى مشددا فهو ينفى الازدحام .

قال العلامة الخطاى : هذا يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين أى صلاة العصر والفجر اهـ . قال الحافظ ابن حجر : وقد يستشهد لذلك بما أخرجه الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى جَنَانِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَنَعِيمِهِ وَتَحَدِّمِهِ وَسُرْرِهِ مَسِيرَةَ الْفِ سَنَةِ . وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ تَعَالَى غَدَوَةً وَعَشِيَّةً ثُمَّ قَرَأَ ﷺ « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » .

اقول : هذا الحديث رواه ايضا الإمام أحمد وابن أبى الدنيا مختصرا إلا أنه قال فى روايته قال ﷺ : إِنَّ أَفْضَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ .

تحية رب العالمين

والصلاة فيها تحية رب العالمين وتحية إمام الانبياء والمرسلين وتحية جميع عباد الله الصالحين : عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده . السلام على فلان وفلان . وفى رواية : السلام على جبريل وميكائيل فقال النبي ﷺ : لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام . ولكن قولوا : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ . السلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فانكم إذا قلتم ذلك أصاب كل عبد فى السماء والأرض — وفى رواية — فانكم

(١) رواه الشيخان .

إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (١) .

اشتمال الصلاة على الصلاة على النبي ﷺ

والصلاة لله تعالى فيها الصلاة على النبي ﷺ وهي من أعظم القربات التي شرعها الله تعالى . قال الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

عن أبي مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله عز وجل ان نُصَلِّيَ عليك يا رسول الله فكيف نُصَلِّيَ عليك ؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ أَيُّ فِي الشَّهَادَةِ (٢) .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها لقي الله تعالى وهو عليه غضبان .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قام بصرى — أى ذهب بصره — قيل نداويك وتدع — أى تترك — الصلاة أياما ، قال : لا — أى لا أترك الصلاة أبدا — أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ (٣) .

ومن خصائص الصلاة أن من تركها فقد برئت منه ذمة الله تعالى .

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : أوصانى خليلي ﷺ أن لا تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِعَتْ وَإِنْ حُرِّقَتْ وَلَا تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّئْتُ مِنْهُ الذِّمَّةَ وَلَا تَشْرَبَ الْخُمْرَ فَانْهَ عَنْهُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ (٤) .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه البيهقي والطبراني واسناده حسن كما في الترغيب .

(٤) رواه ابن ماجه والبيهقي .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أتى رسول الله رجل فقال : يا رسول الله علّمني عملاً إذا عمِلته دخلت الجنة قال : لا تشرك بالله شيئاً وإن عُدْبْتَ وحرقت وأطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هولك ولا تترك الصلاة متعمداً فإن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمّة الله تعالى (١) .

وان من تركها ذهب نوره وانقطع برهانه وفقد النجاة فى الآخرة فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ » (٢) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » (٣) .

شرف صلاة الجماعة

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على صلاة الجماعة .

فمنها أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الرجل منفرداً بخمس وعشرين ضعفاً كما صح ذلك فى الحديث عن النبى ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه وفى رواية عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : صلاة

(١) قال المنذرى : رواه الطبرانى ولأبأس باسناده فى المتابعات إهـ . وقد ورد مثل هذا الحديث فى المسند وغيره .

(٢) قال المنذرى : رواه أحمد باسناد جيد والطبرانى فى الكبير والوسط وابن حبان فى صحيحه .

(٣) قال المنذرى : رواه أحمد ومسلم وقال : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ورواه أبو داود والنسائى ولفظه : ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة . ورواه الترمذى ولفظه « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

الجماعة أفضل من صلاة الفد بسبع وعشرين درجة . وفي رواية بخمس وعشرين درجة (١) .

وقد أجاب النووي عن هذا الخلاف بين الروایتين بأن ذلك يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة ، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ، وبعض سبع وعشرون بحسب كمال الصلاة ، ومحافظته على هيأتها وخشوعها وكثرة جماعتها وفضلها وشرف البقعة .

ومنها مغفرة الذنوب : عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا مَعَ الامامِ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ (٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أتانى الليلة آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ لِي : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ . قال : هل تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الاعْلَى ؟ قلت لا أعلم فوضع يده بين كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ تَدْيِي أَوْ قال : فِي نَحْرِي فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، أَوْ قال : مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ . قال يا محمد : أتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الاعْلَى ؟ قلتُ نعم . فِي الدَّرَجَاتِ وَالكُفَرَاتِ وَنَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ (٣) . الحديث .

ومنها : أن من حافظ على الجماعة نال جائزتين :

أولاً : العتق من النار والنجاة منها .

ثانياً : السلامة من النفاق ، والتذبذب في آداب الدين وطهارة القلب لله والاقبال على طاعة الله باخلاص ، ونور يودع في الصدر يستضيء به المؤمن . فيتخلى عن الرذائل ويترك صغائر الذنوب وكبائرها . فقد جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ صَلَّى لِي اللهُ اَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ : بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ (٤) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه الترمذى وقال لا أعلم احدا رفعه الا ماروى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو .

وجاء ايضا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه كان يقول : مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَا تُفَوِّتُهُ الرَّكْعَةُ الْأُولَى مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عِتْقًا مِنَ النَّارِ (١) .

ومن فضائل الجماعة أن ثوابها يحصل لمن عزم على حضورها ولو لم يدركها بنيته تفضلا من الله سبحانه وتعالى فالله تعالى يسوي ثوابه بثوابهم وحسناته بحسناتهم تكرما منه وخزائنه لا تنفذ ورحمته تترى .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ ثُمَّ رَاحَ فَوَجَدَ النَّاسَ قَدْ صَلَّىوَا فَأَعْطَاهُ اللَّهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صَلَّىهَا وَحَضَرَهَا لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا (٢) .

وفي رواية سعيد بن المسيب عن رجل من الانصار قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : فذكر الحديث وفيه : « فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى فِي جَمَاعَةٍ غُفِرَ لَهُ ، فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّى بَعْضًا وَبَقِيَ بَعْضٌ صَلَّى مَا أَدْرَكَ وَأَنْتُمْ مَا بَقِيَ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنْ أَتَى الْمَسْجِدَ وَقَدْ صَلَّى فَأَتَمَّ الصَّلَاةَ كَانَ كَذَلِكَ .

ومن فضائل الجماعة أنها محبوبة إلى الله تعالى وكلما كانت كثيرة كانت أحب إليه ، فصلاة الثلاثة أفضل من الإثنين والأربعة أفضل من الثلاثة — وهكذا كلما كثر الناس كان ادعى إلى القبول وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى :

عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ فَقَالَ : أَشَاهِدُ (٣) فَلَانَ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَنْثَلُ (٤) الصَّلَاةِ عَلَى الْمُتَنَافِقِينَ وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لِأَتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْوًا (٥) عَلَى الرُّكْبِ وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلَائِكَةِ وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَا يَتَدَرَّثُمُوهُ وَإِنَّ

(١) رواه ابن ماجه والترمذى .

(٢) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) قوله : « أشاهد » أى أحضر .

(٤) قوله « أنثل الصلوات » أى إن ادراكهن صعب على من نقص إيمانه واشتهر بين المسلمين بتزحزح

العقيدة وتباعده عن اتباع الكتاب والسنة وتقصيره عن درك الثواب الجزيل .

(٥) « حبوا » أى زاحفين أى تحرصون على الحضور ولو أعيامكم المشى فتزحفون .

صلاة الرجل مع الرجل أزكى^(١) من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وكل ما كثر أحب إلى الله عز وجل^(٢) .

وعن قباث بن أشيم الليثي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة الرجلين يوم أحدهما صاحبه أزكى عند الله من صلاة أربعة تترى ، وصلاة أربعة أزكى عند الله من صلاة ثمانية تترى ، وصلاة ثمانية يوم أحدهم أزكى عند الله من صلاة مائة تترى^(٣) .

ومن فضائل الجماعة أن المصلى ينال بركة التأمين والتسميع والتحميد ، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفي رواية : « إذا آمن الإمام فأمّنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية « إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافق إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية « إذا قال القارى غير المعضوب عليهم ولا الضالين فقال من خلفه آمين فوافق قوله قول أهل السماء غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٤) .

وقوله ﷺ : من وافق قوله قول الملائكة ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة معناه : وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم فهذا هو الصحيح والصواب . وحكى القاضى عياض قولاً إن معناه وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص ، واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقليل هم الحفظة وقيل غيرهم لقوله ﷺ : فوافق قوله قول أهل السماء ، وأجاب الاولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماء .

(١) « ازكى » أنقى واطهر .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقد جزم يحيى بن معين

والذهلى بصحة هذا الحديث .

(٣) رواه البزار والطبراني باسناد لا بأس به .

(٤) روى جميع ذلك مسلم في صحيحه .

ومن فضائل الجماعة أن في الصف الأول فضلا عظيما لو علمه الناس لاقتتلوا عليه ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : لو يَعْلَمُ الناسُ ما في النداءِ والصفِّ الأوَّلِ ثم لم يَجِدُوا إلا أن يَسْتَهْمُوا عليه لَأَسْتَهْمُوا ، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لَأَسْتَبْقُوا إليه ، ولو يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا ولو حَبِوًّا (١) .

ومعناه : لو يعلمون ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاءوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه . وقوله : لو يعلمون ما في التهجير، التهجيرُ : التذكير إلى الصلاة أى صلاة كانت : قوله : لو يعلمون ما في العتمة والصبح : العتمة : العشاء .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : لو تَعْلَمُونَ أو يَعْلَمُونَ ما في الصَّفِّ الْمُقَدِّمِ لَكَانَتْ قُرْعَةٌ وقال ابن حرب : الصَّفِّ الأوَّلِ ما كانَتْ إلا قرعة (٢) .

والصف الأول هو خير الصفوف ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أوَّلُهَا وشرُّها آخِرُهَا وخيرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وشرُّها أوَّلُهَا (٣) .

والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء اقلها ثوابا وفضلا وابعدها من مطلوب الشرع ، وخيرها بعكسه وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك . ودم أول صفوفهن لعكس ذلك . والله اعلم .

واعلم أن الصف الأول الممدوح الذى قد وردت الاحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذى يلي الامام سواء جاء صاحبه متقدما أو متأخرا وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا . هذا هو الصحيح الذى يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون .

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

ومن فضائل الجماعة أن من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صَلَّى الصُّبْحَ في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله . كذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

ومن خصائص الجماعة أن من سمع نداءها ولم يجب بالحضور والمشاركة مع خلوه من الاعتذار فإن صلاته ناقصة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ آتِيَاةِ عُدْرٍ . قالوا : وما العدرُ ؟ قال : خوفٌ أو مرضٌ لم تُقبَلْ منه الصَّلَاةُ التي صَلَّى (٢) .

ومن خصائص الجماعة أنها تدفع الوسواس ، وتحفظ من الشيطان ، وأن القوم الذين لا تقام فيهم الجماعة يستحوذ عليهم الشيطان ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : ما مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لِاتِّقَامِ فِيهِمُ الصَّلَاةِ إِلَّا وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْعَنَمِ الْقَاصِيَةَ (٣) .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه : ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم (٤) . الحديث .

ومن خصائص المحافظة على الجماعة أنها علامة الإيمان والمواصلة مع الله سبحانه وتعالى . وفي تركها والاعراض عنها صورة من صور الجفاء والكفر والنفاق .

فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انه قال : الجفاء كلُّ الجفاء والكفر والنفاق : مَنْ سَمِعَ مَنَادِيَ اللَّهِ يُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ (٥) .

وفي تركها أيضا علامة الشقاء والحية . فقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِحَسَبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْحَيَّةِ أَنْ يَسْمَعَ الْمُؤَدَّنَ يَثُوبُ بِالصَّلَاةِ فَلَا يُجِيبُهُ .

(١) رواه مالك ومسلم وأبو داود . ولفظه : من صلى العشاء والفجر في جماعة ، ، الحديث .

(٢) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه بنحوه .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم . وزادزين في جامعه :

« وان ذئب الانسان الشيطان إذا خلا به اكله .

(٤) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٥) رواه أحمد والطبراني من رواية زبان بن فائد .

والمراد بالتثويب هنا إقامة الصلاة .

ومن خصائص الجماعة ان النبي ﷺ توعده تاركها بأن يحرقه بالنار ، عن أنى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لقد هممت أن أمر فتيتي فَيَجْمَعُوا لِي حُزْماً مِنْ حَطَبٍ ، ثُمَّ آتَى قَوْماً يَصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَ بِهِمْ عِلَّةٌ فَأَحْرَقَهَا عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لِيَزِيدُ هُوَ ابْنُ الْأَصَمِ ، الْجُمُعَةُ عَنِّي أَوْ غَيْرَهَا قَالَ : صَمْتًا أَذْنَابِي إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَأْتِرُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَذْكَرْ جُمُعَةً وَلَا غَيْرَهَا (١) .

ويكفى أن ابن أم مكتوم وهو أعمى يقول : قلت : يا رسول الله أنا ضريّر شاسع (٢) الدار ، ولي (٣) قائد لا يلايمنى فهل تجد لي رخصة أن أصلى في بيتي . قال : أتسمع النداء ؟ قال نعم . قال : ما أجد لك رخصة (٤) .

فضل الصف الأول وما يتعلق بالصفوف

ومن فضائل هذه الأمة ، ما جاء في فضل الصف الأول .

فمنها : أن فيه ثوابا مدخرا عند الله تعالى أخفاه عنا ، ولو كشف عنه لتسابق الناس اليه حتى يضطروا إلى ضرب القرعة لفصل المنازعة في شأنه . وهو معنى قوله ﷺ : لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهْمُوا (٥) .

وفي رواية لمسلم : لو تعلمون ما في الصف المقدم لكانت قرعة والصف الأول هو خير صفوف الرجال ، قال ﷺ : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها .

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذى مختصرا .

(٢) قوله شاسع الدار : بعيد الدار .

(٣) قول : ولي قائد لا يلايمنى أى مرشد لا يرفق بى . ولا يقودنى بسهولة .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستغفر لأهل الصف الأول ويصلى عليهم ، فعن العرياض بن سارية رضى الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستغفر للصفِّ المقدمِّ ثلاثا وللثاني مرة (١) .

بل الله تعالى وملائكته الكرام يدعون لأهل الصف الأول بالغفران والرضوان ثلاث مرات .

فمن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن الله وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . قالوا : يا رسول الله وعلى الثاني . قال : إن الله وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ . قالوا : يا رسول الله وعلى الثاني ؟ قال : وعلى الثاني وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَوِّوا صُفُوفَكُمْ وَحَادُّوا بَيْنَ مَنْكِبَيْكُمْ ، وَلْيُنَوِّا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَسُدُّوا الْحَلَلَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ ، يَعْنِي أَوْلَادَ الصُّبَّانِ الصَّغَارِ (٢) .

وتسوية الصفوف من تمام الصلاة ، وقد أمرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فقال : سَوِّوا صُفُوفَكُمْ فَان تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ (٣) .

وفي رواية للبخارى : فان تسوية الصفوف من إقامة الصلاة .

ورواه أبو داود ولفظه : إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : رُصُّوا صُفُوفَكُمْ (٤)

(١) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجوا للعرياض ، وابن حبان في صحيحه ولفظه : كان يصلى على الصف الأول ثلاثا . وعلى الثاني واحدة .

ولفظ النسائي كابن حبان إلا أنه قال : كان يصلى على الصف الأول مرتين .

(٢) رواه أحمد بإسناد لأبأس به والطبراني وغيره .

قوله : « ان الله وملائكته يصلون الخ ، اى يدعون بالغفران والرضوان لمن سبق فادرك أول صف في المسجد .

وقوله : « ولينو في ايدي اخوانكم » أى اتبعوا إشارة اخوانكم ورأى اصحابكم ويكون المؤمن هينا ليينا سهلا متواضعا قابلا للارشاد .

وقوله : « وسدوا الخلل » أى املأوا الفرجة وسدوا الثغرة في صفوفكم .

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم .

(٤) وقوله : « رصوا صفوفكم » أى ضموا إلى بعض وتقاربوا وتحادوا جنب .

والخلل : بفتح الخاء المعجمة واللام أيضا : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص .

وقاربوا بينها وحاذوا بالأغناق ، فوالذى نفسى بيده إني لأرى الشيطانَ يَدْخُلُ مِنْ
خَلَلِ الصَّفِّ كأنَّهَا الحَدْفُ .

ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما نحو رواية أبى داود .
وفى وصل الصفوف ، والانقياد لسد الفرج ثواب عظيم .

قال رسول الله ﷺ : أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا
الحلل ، وليثبوا بأيدي إخوانكم ، ولا تدرؤا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفاً
وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله (١) .

وقال ﷺ : ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، فقال الصحابى
الراوى : يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف
الأول ويتراصون فى الصف (٢) .

والحريص على وصل الصف هو من خيار الأمة ، فعن ابن عباس رضى الله
عنهما أن رسول الله ﷺ قال : خياركم أئبتكم مناكب فى الصلاة (٣) .

(١) رواه أحمد وأبو داود وعند النسائي وابن خزيمة آخره .

الفرجات : جمع فرجة . وهى المكان الخالى بين الأبتين .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه أبو داود .

قوله : أئبتكم مناكب فى الصلاة أى الزمكم السكينة والوقار والخشوع ويحتمل أن يكون معناه أى
لا يمتنع على من يريد الدخول بين الصفوف لسد الحلل ، ولضيق المكان بل يمكنه من ذلك
ولا يدفعه بمنكبه أو أنه يطاوع من جره ليصطف معه إذا لم يجد فرجة إهـ . الجامع الصغير
ص ٢٤٢ .

فتجد الحديث يشمل ثلاثة :

أولاً — التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانياً — إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصاً ، فجاء شخص ضم نفسه ، ولين
منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر
والترحيب بالطائع والمشاركة فى الخير والتحمل والصبر ، وأن تحب لأختيك
ماتحب لنفسك .

ثالثاً — إذا جره شخص ليصطف معه لين منكبه وطاقعه . تلك خلال المؤمنىن [هينونه
لينون أيسار ذوو كرم] .

والحريص على وصل الصفوف وسد الفرج هو ممن يصلى عليه الله وملائكته .

فمن السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : إن الله وملائكته يُصَلُّون على الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ (١) .

والخطوة التي يخطوها المسلم لوصل الصف هي اعظم الخطوات أجراً ، وهي أحبها إلى الله . ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة وغفر له وذرت عليه الملائكة من البر ، وهذا كله أخبرنا عنه ﷺ بقوله : وَمَا مِنْ خَطْوَةٍ أَكْبَرُ أَجْرًا مِنْ خَطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةٍ فِي الصَّفِّ فَسَدَّهَا (٢) .

فضل الامامة

من فضائل الامام أنه كفيل بحسن الصلاة وأدائها فهو يحفظ على القوم صلاتهم ، ولذلك فإن النبي ﷺ جعله ضامناً .

ومن فضائله أنه إن أحسن في صلاته كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : مَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلَيَتَّقِ اللَّهَ وَلَيَعْلَمَنَّ أَنَّهُ ضَامِنٌ مَسْئُولٌ لِمَا ضَمِنَ ، وَإِنْ أَحْسَنَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا ، وَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَهُوَ عَلَيْهِ (٣) .

(١) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . زاد ابن ماجه : « ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة » .

(٢) رواه البزار باسناد حسن .

وقوله : « من سد فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة » رواه الطبراني في الأول .

وقوله : « من سد فرجة في الصف غفر له » رواه البزار باسناد حسن .

وقوله : « ولا يصل عبد صفّاً الا رفعه الله به درجة وذرت عليه الملائكة من البر » رواه الطبراني في الاوسط .

(٣) رواه الطبراني في الاوسط من رواية معارك بن عباد .

ومن فضائله أنه يوم القيامة على كتيب من مسك لا يهوله الفزع الأكبر ولا يناله الحساب كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة على كُتبانِ الْمِسْكِ ، أراه قال — يوم القيامة : عبدٌ أدّى حقَّ الله وحقَّ موالِيه ، ورجُلٌ أمَّ قوماً وهم به راضُونَ ، ورجُلٌ ينادى بالصلواتِ الخمسِ في كلِّ يومٍ وليلةٍ » (١) .

ومما خص الله به هذه الأمة التأمين ، ومعناه اللهم استجب ، أو كذلك فافعل ، أو كذلك فليكن ، وهي من خصائص هذه الأمة التي تحسد عليها .

فعن السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : ما حسدتكم اليهودُ على شيءٍ — ما حسدتكم على السلام والتأمين (٢) .

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال : إنهم لم يَحْسُدُونَا على شيءٍ كما حَسَدُونَا على الْجُمُعَةِ التي هَدَانَا اللهُ لها وَضَلُّوا عنها ، وعلى الْقِبْلَةِ التي هَدَانَا اللهُ بها وَضَلُّوا عنها . وعلى قولنا خَلْفَ الْإِمَامِ آمِينَ (٣) .

وفي رواية : إن اليهودَ قد سَمُوا دينهم ، وهم قومٌ حَسَدُوا ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث : ردُّ السلام وإقامة الصُّفوفِ وقولهم خَلْفَ إِمَامِهِمْ في المكتوبة آمين (٤) .

وقد كان ﷺ يفتخر بهذه العطية ويقول : إن الله قد أعطاني حصلاً ثلاثة : أعطاني صلاةً في الصُّفوفِ وأعطاني التَّحِيَّةَ إنها لتحية أهل الجنة ، وأعطاني التَّأْمِينَ ، ولم يُعْطِه أحدٌ من النَّبِيِّينَ قَبْلِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أعطاهُ هَارُونَ يَدْعُو مُوسَى وَيُؤْمِنُ هَارُونَ (٥) .

(١) رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن . ورواه الطبراني في الصغير والاوسط باسناد لا بأس به . ولفظه : —

« قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب وهم على كتيب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون » الحديث .

(٢) رواه ابن ماجه باسناد صحيح ، وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه أحمد في المسند .

(٤) رواه الطبراني في الاوسط باسناد حسن .

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه من رواية زري مولى آل المهلب ، وتردد في ثبوته .

والتأمين باب من أبواب المغفرة ، كان النبي ﷺ يقول : إذا قال الامامُ :
غير المغضوبِ عليهم ولا الضالِّينَ فقولوا : آمين ، فإنه من وافق قوله قولَ
الملائكةِ ، غفر له ما تقدَّم من ذنبه (١) .

معناه : وافقهم في وقت التأمين فأمن مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح
والصواب ، وحكى القاضى عياض قولاً : إن معناه وافقهم في الصفة والخشوع
والاخلاص .

واختلفوا في هؤلاء الملائكة ، ف قيل : هم الحفظة ، وقيل غيرهم لقوله
ﷺ : فوافق قوله أهل السماء . وأجاب الاولون بأنه اذا قالها الحاضرون من
الحفظة قالها من فوقهم حتى ينتهى إلى أهل السماء . إهـ .

بل إن هذه المغفرة تشمل حتى أهل المسجد ، فقد جاء في رواية النسائي :
فأنه من وافق كلامه كلام الملائكة غُفِرَ لِمَن في المسجدِ .

وهذه المغفرة شاملة لما تقدم من الذنوب ، كما جاء عنه ﷺ : أنه إذا قال
العبدُ : آمين ، التقت من أهل السماء وأهل الارض ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ،
وهذا يعنى الصغار .

وقد وعد ﷺ من قال : آمين ، بالاجابة بقوله : فقولوا : آمين يجبكم .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحرصون على ختم دعائهم بلفظ آمين .
ويقول لهم الصحابي الجليل أبو زهير النخعي : إن آمين مثل الطابع على
الصحيفة ، فكان إذا دعا أحدهم في المجلس يقول له : اختمه بآمين . ويقول
لهم : خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة نمشى فأتينا على رجل قد ألحَّ في المسئلة
فوقف النبي ﷺ يستمع منه ، فقال النبي ﷺ : أوجب إن ختم ، فقال رجل
من القوم : بأى شيء يَحْتَمُ فقال : بآمين ، فانه إن ختم بآمين فقد أُوجِبَ ،

(١) رواه مالك والبخارى ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

فانصرف الرجل الذى سأل النبي ﷺ فأتى الرجل فقال : إِيْحْتِمُ يَا فُلَانُ يَا آمِينَ وَأُبَشِّرُ (١) .

والمؤمن على دعاء أخيه شريك له فى توجهه وإقباله وإجابته .

قال ﷺ : لا يجتمع ملاً فيدعوا بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله (٢) .

ومن هنا كان التارك لهذا اللفظ الجليل محروماً ، يقول ﷺ : ومثل الذى لا يقول آمين كمثلي رجل غزا مع قوم فافترعوا فخرج سبهمهم ، ولم يخرج سهمه فقال : ما لسبهمي لم يخرج ؟ قال : إنك لم تقل آمين (٣) .

وفى هذا الحديث يشبه ﷺ الذى غفل عن ذكر آمين مع الامام وسها واشتغل بغير مراقبة الامام بجنود حاربوا ففازوا ، وغزوا فانتصروا ، ثم اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز ، إلا جندي واحد لم يخرج سهمه فى القرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئاً من الغنائم ، فسأل قائده — لماذا لم يخرج سهمي ؟ فقال لأنك لم تطلب ولم تتضرع إليه مع المأمومين ، فلم تقل « آمين » إن هذا مثل محسوس لمن قال ففاز ومن لم يقل فلم يفز .

ومن هنا كان ﷺ يأمرنا باكثر التأمين فيقول : أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ آمِينَ (٤) .

(١) رواه أبو داود .

قوله : الح أى أقبل على الطلب مواظباً ، وأكثر من الرجاء فى اتمام مسئلته يقال : الح السحاب دام مطره ، والح الرجل على شىء الحف .

وقوله : أوجب أى صارت إجابته محققة وقضاء وطره مأمولاً .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبى سليم .

(٤) رواه ابن مساجه .

فضائل صلاة الجمعة

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة أنه اختصها بيوم الجمعة وجعله عيداً عظيماً وجعل من الخصائص والفضائل له ولصلاته ما يرتفع به قدره ويعظم أمره . فمن ذلك تكفيرها للذنوب . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا (١) .

قال النووي : وفى هذا الحديث النهى عن مسّ الحصى وغيره من أنواع العبث فى حالة الخطبة . وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخطبة . والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود .

وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ وَلَيْسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ ثُمَّ حَرَجَ حَتَّى يُصَلِّيَ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى (٢) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَرَ وَابْتَكَّرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا .

وعنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : الصَّلَاةُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الكِبَائِرَ (٣) .

ومن ذلك أن صلاة الجمعة تضيء الطريق لأهلها يوم القيامة

عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : تُحْشَرُ الأَيَّامُ عَلَى هَيْبَتِهَا وَتُحْشَرُ الجُمُعَةُ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً ، أَهْلِهَا يَحْفُونَ بِهَا كَالْعُرُوسِ تُهْدَى إِلَى خِدْرِ لَهَا تُضِيءُ لَهُمْ يَمْشُونَ فِي ضَوْءِهَا ، أَلْوَانُهُمْ كَالثَلْجِ بَيَاضاً وَرِيحُهُمْ كَالْمِسْكِ يَحْوِضُونَ فِي جِبَالِ الكَافُورِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ لَا يَطْرُقُونَ

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الامام أحمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه مسلم .

تَعْجَبًا — أى من حسن منظر أهل الجمعة — حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ .

ومنها : أن درجات الثواب تتفاوت بحسب التذكير إلى حضور صلاة الجمعة فكلما بكر بالحضور نال أجرا أكبر وأعظم .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، ومن رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبِشًا أَقْرَنَ ، ومن رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، ومن رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ (١) .

وفي رواية لهما : إذا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ ، وَمِثْلُ الْمَهْجَرِ — أى الميكر — كَمِثْلِ الذِّى يُهْدَى بَدَنَةً ، ثُمَّ كَالذِّى يُهْدَى بَقْرَةً ثُمَّ كَبِشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً ، فإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ .

وجاء فى رواية أحمد : قيل لأبى أمامة رضى الله عنه يا أبأ أمامة ليس لِمَنْ جَاءَ بَعْدَ خُرُوجِ الْإِمَامِ جُمُعَةً ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس مِمَّنْ يُكْتَبُ فى الصُّحُفِ . يعنى أن الكتابة فى الصحف على مراتب مختلفة ، كما هى أيضا مختلفة فى رفعها ومنزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفة التى يكتب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأن ورفع خاصان .

ومنها أن فى يوم الجمعة ساعة هى أفضل ساعاتها وفيها الاجابة :

فعن أبى بردة بن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال لى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : سمعت أبأك يحدث عن رسول الله ﷺ فى شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : هى ما بين أن يجلس الإمام — يعنى على المنبر — إلى أن تقضى الصلاة (٢) .

(١) رواه الشيخان وأصحاب السنن .

(٢) رواه مسلم وغيره .

قال المنذرى : وإلى هذا القول ذهب طوائف من أهل العلم إهـ . يعنى أن تعيين ساعة الاجابة قد اختلف فيه العلماء ولكل دليله وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك الأقوال مفصلة .

ومن أقواها أنها حين تقام صلاة الجمعة إلى الانصراف منها كما تقدم ، وقد روى الترمذى وابن ماجه عن عمرو بن عوف رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن فى الجمعة ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه . قالوا : يا رسول الله أي ساعة هي ؟ قال : هي حين تقام الصلاة إلى الانصراف .

ومنها : أنها بعد صلاة العصر لما ورد عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إلتمسوا الساعة التى تُرجى فى يوم الجمعة بعد العصر إلى غيوبة الشمس (١) .

ومنها : أنها تبدأ من حين تدلّى الشمس للغروب إلى أن يتكامل غروبها ، قال المنذرى فى الترغيب : قال الحافظ أبو بكر ابن المنذر : إختلفوا — أى الصحابة والتابعون فمن بعدهم — فى وقت الساعة التى يستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ، فروينا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : هي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس وقال الحسن البصرى وأبو العالية : هي عند زوال الشمس ، وفيه قول ثالث وهو أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة ، روى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

ومن فضائل الجمعة أن الصلاة والسلام على النبى ﷺ يزداد فضلها ويعظم أجرهما .

فعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ . قالوا : وكيف تُعرضُ صلواتنا عليك وقد أُرمتْ ؟ — أى بليت بعد الموت — فقال ﷺ : إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء (٢) .

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٢) قال المنذرى : رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وأحمد .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أكثرُوا من الصلاة عليَّ كلَّ يوم الجمعة فأنه مشهودٌ تشهدُهُ الملائكةُ ، وإنَّ أحدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عَرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا . قال قلت : وبعد الموت ؟ — أى هل تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ الْمَوْتِ — فقال : إنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .^(١)

وروى البيهقى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : أكثرُوا الصلاة عليَّ في الليلةِ الغراءِ واليومِ الأزهَرِ ليلةِ الجمعةِ ويومِ الجمعةِ . قال بعضُ العارفين رضى الله عنهم : أقل حد الأكتار ثلاثمائة أو اربعمائة .

ومن فضائل يوم الجمعة ما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال : من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضَاءَ له من النورِ ما بين الجمعتين .

ورواه الدارمى في مسنده موقوفا على أبى سعيد ولفظه : قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضَاءَ له من النورِ ما بينه وبين البيتِ العتيق .

وقال ﷺ : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سَطَعَ له نورٌ من تحتِ قدميه إلى عَنَانِ السَّمَاءِ يُضِيءُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ^(٢) .

ومنها : أن يوم الجمعة سيد الايام وخيرها : قال رسول الله ﷺ : إن يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر ، وفيه خمسٌ خِلال ، خلقَ اللهُ فيه آدَمَ وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، وفيه توفى اللهُ آدَمَ ، وفيه ساعةٌ لا يسألُ اللهُ فيها العبدُ شيئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً ، وفيه تقومُ الساعةُ ، ما مِنْ مَلَكٍ مَقْرَبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا بَحْرٍ إِلَّا وَهَنْ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خيرُ يومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ^(٤) .

(١) رواه ابن ماجه باسناد جيد .

(٢) رواه النسائى والبيهقى مرفوعا .

(٣) قال المنذرى : رواه ابن مردويه باسناد لا بأس به .

(٤) رواه أحمد وابن ماجه .

(٥) رواه مسلم وأصحاب السنن .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : لا تطلُع الشمسُ ولا تغربُ على أفضل من يوم الجمعة ، وما من دابةٍ إلا وهي تفرعُ يومَ الجمعة إلا هذين الثقلين الجنَّ والانسَ (١) .

ويوم الجمعة هو يوم المزيّد الذى يتجلى فيه ربّ العزة بالتجلى العام على أهل الجنة بالرؤية فينظرون إليه : قال الله تعالى : ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ .

روى البزار وغيره بالسند عن أنس رضى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال : يَظْهَرُ لَهُمْ — أى يتجلى عليهم — الربُّ عز وجل فى كل يوم جمعة .

ومنها : أن صباحها أفضل الصلوات عند الله .

ومنها : أنها تعدل حجة . اخرج حميد بن زنجويه فى فضائل الأعمال والحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال : قال رسول ﷺ : « الجمعةُ حَجُّ الْمَسَاكِينِ » . وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيب قال : الجمعة أحبُّ إليّ من حجةٍ تطوُّع .

ومنها : استحباب الغسل لها لما روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما . وأخرج الحاكم عن أبى قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَانََ فِي طَهَارَةٍ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَةِ (٣) .

وأخرج بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة — رضى الله عنه — عن النبى

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما وأبو داود .

(٢) قال العراقى : وسنده ضعيف .

(٣) اورده الهيثمى فى المجمع ولفظه : عن عبدالله بن قتادة قال : دخل على أبى وأنا اغتسل يوم الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة أو للجمعة قلت : من جنابة . قال اعد غسلا آخر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من اغتسل يوم الجمعة كان فى طهارة إلى يوم الجمعة الأخرى) رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه هارون بن مسلم قال أبو حاتم فيه لين وثقه الحاكم وابن حبان وبقية رجاله ثقات ج ٢ ص ١٧٤ .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أنه) قال: «إن الغسل يوم الجمعة ليسل^(١) الخطايا من أصول الشعر استيلاً^(٢)» .

ومنها استحباب الطيب والدهن والسواك وإزالة الشعر والظفر .

أخرج البخارى عن سلمان — رضى الله عنه — قال : قال النبی صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا^(٣) اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنٍ وَيَمَسُّ مِنْ طِيبٍ بَيْتَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفْرَقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ الْآ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى »^(٤) .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَلَّمَ أَظْفَارَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقِيَ مِنَ السَّوْءِ إِلَى مِثْلِهَا »^(٥) .

ومنها استحباب لبس أحسن الثياب . أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة — رضى الله عنهما — أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده وليس من أحسن ثيابه ثم قال : كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة الأخرى^(٦) .

(١) أى يخرج الذنوب من غصون الشعر اخراجاً . يقال : سل الشيء انتزعه وفى حديث عائشة رضى الله عنها : فانسلت من بين يديه أى مضيت وخرجت بتأن وتدرج . من نهاية ابن الأثير ج ٢ ص ١٩١ .

(٢) قال المنذرى فى الترغيب : رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات ج ١ ص ٤٩٦ .

(٣) يريد تطهير ثيابه .

(٤) رواه البخارى ورواه مسلم بإجاز — هدية البارى ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥) قال الهيثمى فى الجمع : رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أحمد بن ثابت ويليقب [فرجونة] وهو ضعيف — ج ٢ ص ١٧١ .

(٦) أورده الحاكم فى المستدرک وزاد وعن أبى سلمة وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى فى التلخيص ج ١ — ص ٢٨٣ . وأورد فى الفتح الكبير وقال رواه الامام أحمد فى مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد وأبى هريرة . ج ٣ ص ١٣٦ . وأخرج أحمد نحوه عن أبى أيوب الانصارى وأبى الدرداء .

ومنها تضعيف أجر الذهاب إليها بكل خطوة أجر سنة أخرج أحمد والاربعة
والحاكم عن أوس بن (أبي) أوس الثقفي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من
غَسَلَ وَاغْتَسَلَ ثَمَّ بَكَرَ وَابْتَكَّرَ ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يُلْغُ
كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلٌ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا . وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فِي حَدِيثٍ « وَإِذَا أَخَذَ فِي الْمَشْيِ إِلَى
الْجُمُعَةِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلٌ عَشْرِينَ سَنَةً » (١) وسنده ضعيف .

ومنها الامان من عذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها . أخرج أبو يعلى عن
أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ « مَنْ مَاتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَوُقِيَ
عَذَابَ الْقَبْرِ » (٢) وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن عكرمة بن خالد
الخزومي قال : من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة حُتِمَ بِخَاتَمِ الْإِيمَانِ وَوُقِيَ عَذَابَ
القبر .

ومنها أن للجماع فيه أجرين . أخرج البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن
أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَجَامِعَ أَهْلَهُ
فِي كُلِّ جُمُعَةٍ ، فَانَ لَهُ أَجْرَيْنِ اثْنَيْنِ . أَجْرَ غُسْلِهِ وَأَجْرَ غُسْلِ امْرَأَتِهِ » (٣) . وأخرج
سعيد بن منصور في سننه عن مكحول أنه سئل عن الرجل يغتسل من الجنابة يوم
الجمعة قال من فعل ذلك كان له أجران .

(١) ورد الحديث بلفظ [من اغتسل يوم الجمعة غفرت له ذنوبه وخطاياها وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان
له بكل خطوة عمل عشرين سنة . فاذا فرغ من صلاة الجمعة أجزى بعمل مائتي سنة] رواه الطبراني في
الأوسط عن أبي بكر رضى الله عنه وفيه عباد ابن عبد الصمد . أبو معمر : ضعفه البخاري وابن
حبان . مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٧٤ طبع القدسي .

(٢) اورده المتقي في منتخب كنز العمال ولفظه [من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أجزى من عذاب القبر
وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء] وقال : رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر — ج ٣ — ص ٢٨٦
— وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي ففيه روايات مختلفة : ص ٤٢ .

(٣) قال في الراموز : رواه البيهقي في الشعب وضعفه والديلمي عن أبي هريرة ص ١٧٢ وقال في شرح
الراموز : له شواهد . ج ٢ — ص ٢٤٦ .

ومنها الأمان من فتنة القبر لمن مات يومها أوليتها فلا يسأل في قبره . أخرج الترمذى وحسنه والبيهقى وابن أبى الدنيا وغيرهم عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر » (١) وفى لفظ « إلا برى من فتنة القبر » وفى لفظ « إلا وقى الفتنة » قال الحكيم الترمذى وحكمته انكشف الغطاء عماله عند الله لان جهنم لا تسجر فى هذا اليوم وتغلق فيه أبوابها ولا يعمل فيه سلطانها ما يعمل فى سائر الايام فاذا قبض الله فيه عبدا كان دليلا لسعادته وحسن مآبه فانه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب له السعادة عنده فلذلك يقية فتنة القبر . لان سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمن .

ومنها أنه مذكور فى القرآن ذكر تشرىف دون سائر أيام الاسبوع . قال تعالى : ﴿ إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ .

ومنها أنه الشاهد والمشهود فى الآية : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ وقد أقسم الله به .

ومنها أنه اليوم المدخر لهذه الأمة . روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناها من بعدهم ثم هذا يومهم » (٢) الذى قرضه الله عليهم فاختلقوا فيه ، فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ » (٣) .

(١) قال المناوى فى الفيض : رواه الامام أحمد والترمذى من حديث ربيعة بن يوسف عن أبى عمرو اهـ . ولكن وصله الطبرانى فرواه من حديث ربيعة عن عياض بن عقبه عن ابن عمرو فذكره وهكذا أخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذى متصلا وخرجه أبو نعيم من حديث جابر ج ٥ — ص ٤٩٩ .

(٢) وردت عدة روايات فى السنن للبيهقى وفى بعضها [هذا يومهم الذى افترض عليهم ج ٤ ص ١٧١ .

(٣) اورده النبهانى فى الفتح الكبير وقال : رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه ج ٣ ص ٢٦١ .

ومسلم عن أبي هريرة وحذيفة (رضى الله عنهما) قالوا قال رسول الله ﷺ « أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا (اللَّهُ) لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ » .

شرف القائمين بالليل وفضلهم

ومن الشرف الذي أعده الله لهذه الأمة ذلك الثواب الكبير الذي أعده للقائمين بالليل وما خص به هذه العبادة الكريمة من مزايا ومناقب عظيمة نجملها فيما يأتي :

صلاة الليل هي أفضل الصلاة بعد الفريضة . روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية .

وروى الطبراني عن سمرة رضي الله عنه قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نُصَلِّيَ مِنَ اللَّيْلِ مَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ وَنَجْعَلَ آخِرَ ذَلِكَ وَتَرَا .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ — أَى تَتَشَقَّقُ وَتَتَوَرَّمُ — فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ تَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا » .

ومن واطب على قيام الليل يدخل الجنة بغير حساب روى البيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : يُحَشِّرُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنَادِي مُنَادٍ فَيَقُولُ : أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ؟ فَيَقْدَمُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بغير حسابٍ ثُمَّ يُؤَمَّرُ بِسَائِرِ النَّاسِ إِلَى الْحِسَابِ .

وقيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفر للسيئات . روى الترمذى عن أبى أمامة
رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين
قبلكم ، وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم .

وقيام الليل صحة للجسد . روى الطبرانى عنه ﷺ أنه قال : عليكم بقيام
الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة
عن الاثم ومطرودة للداء عن الجسد .

ومن واطب على قيام الليل دخل غرف الجنة بسلام . روى الترمذى عن
عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل
الناس إليه — أى أسرعوا إليه — فكنت فيمن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته
عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه ﷺ
أن قال : أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل
والناس نيامً تدخلوا الجنة بسلام .

وروى الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى
ﷺ قال : فى الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنُها من ظاهرها . فقال
أبو مالك الأشعري : لمن هى يا رسول الله ؟ فقال : لمن أطاب الكلام وأطعم
الطعام وبات قائما والناس نيامً .

وروى ابن حبان وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول
الله إني إذا رأيتك طابت نفسى وقرت عيني أُنبتنى عن كل شيء فقال : كل شيء
يخلق من الماء . فقلت أخبرنى بشيء إذا عملته دخلت الجنة فقال ﷺ : أطعم
الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيامً تدخل الجنة بسلام .

وقيام الليل فيه شرف المؤمن فى الدنيا والاخرة . روى الطبرانى باسناد
حسن عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يا
محمد عيش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وأحِب من

شئت فانك مُفَارِقُهُ وأَعْلَمُ أن شَرَفَ المؤمن قِيَامُهُ بالليل وعِزَّهُ إِسْتِغْنَاؤُهُ عن الناس .

روى البيهقي أن النبي ﷺ قال : أشرف أمتي حَمَلَةُ القرآن وأصحابُ اللَّيْلِ . أى قَوَامُ اللَّيْلِ .

ومن قام فصلى في الليل لا يخب . روى الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما خيَّبَ الله امرأةً قامَ في جَوْفِ اللَّيْلِ فافتتح سُورَةَ البقرة وآل عمران .

ومن قام يصلى في الليل فقد تعرض لنفحات القرب الربانى . روى الترمذى عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : اقربُ ما يكونُ الرَّبُّ من العبدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فإن استطعتَ أن تكونَ ممن يذكُرُ اللهَ تعالى في تلك الساعةِ فكنُ .

وفي الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يَنْزِلُ رَبُّنا كُلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يَبْقَى ثلثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فيقولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ .

وقائم الليل يكتب في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات . روى أبو داود عن أبى هريرة وأبى بن كعب رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إذا أيقظ الرجلُ أهله من الليل فصلياً أو صلى ركعتين جميعاً كُتِبَا من الذاكرين والذاكراتِ .

ومن قام الليل وأيقظ أهله للصلاة في الليل وجبت لهما الرحمة وثبت لهما المغفرة . روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح — أى رش — في وجهها الماء ورحم الله امرأةً قامت في الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضح في وجهه الماء .

وروى الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما من رجلٍ يَسْتَيْقِظُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُوقِظُ امْرَأَتَهُ فَإِنْ غَلَبَهَا النَّوْمُ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ فَيَقُومَانِ فِي بَيْتِهَا فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا غَفَرَ لَهَا .

وروى الحاكم وصححه عن أبي عبيدة رضى الله عنه قال : قال عبد الله بن سلام : مكتوبٌ في التوراة : لقد أعدَّ اللهُ للذين تتجافى جنوبُهم عن المضاجع ما لم ترعين ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على قلب بشرٍ ولا يعلمه ملكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌ مُرْسَلٌ . قال عبد الله : ونحنُ نقرؤها — أى القرآن الكريم — ﴿ فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعينٍ ﴾ الآية .

ومن فضائل صلاة الليل أن المشتغل بقراءة القرآن فيها موفقٌ توفيقاً عظيماً يغبطه عليه كل من عرف فضله وشرفه وأنه يدخل في هذا الفضل العظيم كل من شارك في هذا الخير ولو بقراءة عشر آيات إذ يحى عنه بها إسم الغفلة فلا يكتب في ديوان الغافلين فإن أكثر من القراءة وأطالها إرتفع إلى مقام القانتين فإذا زاد إرتفع إلى ديوان المقنطرين والقنطار كجبل أحد .

روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا حسدَ إلا في إثنين رجلٌ آتاه اللهُ القرآن فهو يَقُومُ به آناً الليل وآناً النهار ، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً فهو يُنْفِقُه آناً الليل وآناً النهار » .

وروى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آياتٍ لم يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، ومن قام بمائة آية كُتِبَ مِنَ الْقَائِتِينَ ، ومن قام بألف آية كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ » . وروى الطبراني عن النسي ﷺ قال : « من قرأ عشر آيات في ليلة كُتِبَ له قنطارٌ ، والقنطارٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها فإذا كان يومُ القيامة يقول ربُّك عز وجل : إقرأ وأرق بكل آية درجة حتى ينتهي إلى آخر آية معه . يقول الله عز وجل للعبد : اقْبِضْ ، فيقول العبدُ بيده : ياربِّ انت أعلمُ يقول : بهذه الخلد وبهذه النعيم » .

وروى الطبراني عن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشر آياتٍ في ليلةٍ لم يُكْتَبْ من العَافِلين ، ومن قرأ مائة آية كُتِبَ له قُنُوتُ ليلةٍ ومَن قرأ مائتِي آية كُتِبَ من القانِتين ، ومَن قرأ أربعمِائة آية كُتِبَ من العابِدين ومن قرأ خمسمِائة آية كُتِبَ من الحافِظين ، ومن قرأ سِتِّمِائة آية كُتِبَ من الخاشِعين ومن قرأ ثمانمِائة آية كُتِبَ من المُحِبِّين ، ومن قرأ الفَ آية أُصْبِحَ له قِنطَارٌ ، والقنطارُ الفَ ومائتا أُوقية ، والأوقيةُ خيرٌ مما بين السماء والأرض — أو قال : خيرٌ مما طلعت عليه الشمسُ — ومن قرأ الفَي آية كان من المُوجِبين » .

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب لمن نام طاهراً ناوياً القيام .

فمن ذلك أنه يبيت بجواره ملك الرحمة يدعو له بالمغفرة والحفظ قال ﷺ : من بات طاهراً باتَ في شعاره مَلَكٌ فلا يستيقظُ إلا قال الملك : اللهم اغفِرْ لعبدِكَ فلانٍ فانه باتَ طاهراً^(١) .

وفي رواية : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال : طَهَّرُوا هذه الأَجْسادَ طَهَّرَكُم اللهُ فانه ليس من عبدٍ يَبِيتُ طاهراً إلا باتَ معه في شعاره مَلَكٌ ، لا يَتَقَلَّبُ ساعةً من الليلِ إلا قال : اللهم اغفِرْ لعبدِكَ فانه باتَ طاهراً^(٢) .

ومن ذلك أنه تستجاب دعوته إذا قام من ليلته تلك . فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما مِنْ مسلمٍ يَبِيتُ طاهراً فَيَتَعَارَّ من الليلِ فيسألُ اللهَ خيراً من أمر الدنيا والآخره إلا أعطاه اللهُ إِيَّاهُ^(٣) .

وفي رواية عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

الشعار بكسر الشين المعجمة : هو ما يلي بدن الانسان من ثوب وغيره .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط باسناد جيد .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .

يقول : من أوى إلى فراشه طاهراً يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل ، يسأل الله خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه (١) .

ومن ذلك أن له ثواب قيام تلك الليلة ولو غلبت عيناه ، ولم يقم ، يقول صلى الله عليه : ما من إمريءٍ تكون له صلاةٌ بليلٍ فيعمله عليها نومٌ إلا كتب الله له أجرَ صلاته . وكان نومه عليه صدقةً (٢) .

وفي رواية : كان نومه صدقةً عليه من ربه (٣) .

وفي رواية : يقول صلى الله عليه : ما من عبدٍ يحدث نفسه بقيام ساعةٍ من الليل فينام عنها إلا كان نومه صدقةً تصدق الله بها عليه ، وكتب له أجر ما نوى (٤) .

فضل المحافظة على ثنتي عشرة ركعة من السنن والرواتب

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على فعل النوافل .

والحكمة في شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص كما ثبت في الحديث في سنن أبي داود وغيره ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة ولهذا يستحب أن يفتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين .

وقد جاء في فضلها مزايا كثيرة ومناقب عظيمة

فمنها : أن من حافظ على ثنتي عشرة ركعة في اليوم واللييلة بنى الله له بيتاً في الجنة . وفي رواية : دخل الجنة .

(١) رواه الترمذى عن شهر بن حوشب عن أنى أمانة وقال : حديث حسن .

(٢) رواه مالك وأبو داود والنسائى .

(٣) رواه النسائى باسناد جيد وابن خزيمة .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه مرفوعاً ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه موقوفاً لم يرفعه .

عن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد مسلم يُصَلِّيَ اللهُ تعالى في كلِّ يومٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً غيرَ فريضةٍ إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الْجَنَّةِ ، أو إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ في الْجَنَّةِ (١) .

أربعاً قَبْلَ الظُّهْرِ وركعتين بعدها وركعتين بعدَ المغربِ وركعتين بعدَ العشاءِ .
وركعتين قَبْلَ صَلَاةِ الْعُدَاةِ (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من ثابَرَ على ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةَ دَخَلَ الْجَنَّةَ : أربعاً قَبْلَ الظُّهْرِ وركعتين بعدها وركعتين بعدَ المغربِ وركعتين بعدَ العشاءِ وركعتين قَبْلَ الفَجْرِ (٣) .

ومن ذلك أن ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها .

عن عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها (٤) . وفي رواية لمسلم : لهما أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً .

قوله خير من الدنيا : أى من متاعها وزهرتها لأن ثوابها باق . والاضطجاع سنة بعد الفجر لقوله ﷺ : إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتِي الفَجْرِ فَلْيَضْطَجِعْ على يَمِينِهِ . وركعتا الفجر فيهما فضيلة عظيمة وثواب جليل . روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رجل يا رسول الله : دُلَّنِي على عَمَلٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهِ . قال : عليك بركعتي الفجر فإن فيهما فضيلة (٥) .

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وأبو داود .

(٢) ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم إلا أنهم زادوا : وركعتين قبل الظهر وركعتين أظنه قبل العصر ، ووافق الترمذي على الباقي .

(٣) رواه النسائي وهذا لفظه والترمذي وابن ماجه .

(٤) رواه مسلم والترمذي .

(٥) رواه الطبراني في الكبير .

وفي رواية له أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تدعوا الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ . وروى أحمد منه : ورُكْعَتِي الْفَجْرِ حَافِظُوا عَلَيْهِمَا فَإِنَّ فِيهِمَا الرَّغَائِبَ .

قوله : فان فيهما الرغائب : أى ما يرغب فيه من الثواب العظيم ، وبه سميت صلاة الرغائب ، واحدها رغبة .

ورُكْعَتَا الْفَجْرِ فِيهِمَا الْغَنِيمَةُ كُلُّ الْغَنِيمَةِ وَهِيَ رَأْسُ الْمَالِ : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ وَكَانَ يَقْرَأُهُمَا فِي رُكْعَتِي الْفَجْرِ وَقَالَ : هَاتَانِ الرُّكْعَتَانِ فِيهِمَا رُغْبُ الدَّرِّ » (١) .

والمعنى والله أعلم ، أن هاتين الرُكْعَتَيْنِ يرغب الإنسان فيهما كما يرغب في جمع الدر ويود منه شيئا كثيرا ويطمع في وفرته ويميل إلى كثرته وأن ركعتي الفجر أولى من الحرص عليه لأن ثوابها أبقي وأجل فائدة فالدر فإن ومتاع الدنيا قليل ومتاع الآخرة نعيم مقيم .

ولذلك جاء أن النبي ﷺ كان يحافظ عليهما محافظة شديدة ، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتي الفجر (٢) . وفي رواية لابن خزيمة قالت : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ إلى شيء من الخير أسرَعَ منه إلى الرُكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَلَا إِلَى غَنِيمَةٍ .

وكان يوصي بهما . يقول أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه : أوصاني خليلي بثلاثٍ : بصومِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَالْوِتْرِ قَبْلَ النَّوْمِ وَرُكْعَتِي الْفَجْرِ (٣) .

(١) رواه أبو يعلى باسناد حسن والطبراني في الكبير واللفظ له .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه الطبراني في الكبير باسناد جيد وهو عند أبى داود وغيره خلا قوله ورُكْعَتِي الْفَجْرِ . وذكر مكانهما : ركعتي الضحى .

وكان ينهى عن تركهما ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تَدْعُوا رَكَعَتِي الْفَجْرِ وَلَوْ طَرَدَتْكُمُ الْخَيْلُ (١) .

ومن ذلك فضل الصلاة قبل الظهر وبعدها وان من واظب عليها حرم الله جسده على النار .

قال ﷺ : من يحافظ على أربع ركعاتٍ قبل الظهر وأربع بعدها حَرَّمَ اللهُ جسَدَهُ على النار (٢) .

وفى رواية : أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ (٣) .
وفى رواية : أنها تفتح لها أبواب السماء فلا يُعْلَقُ منها بابٌ (٤) .

وهذه الصلاة كان يحافظ عليها سيدنا رسول الله ﷺ ويطيل فيها القيام . ويقول . أُحِبُّ أَنْ يُصْعَدَ لِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ عَمَلٌ صَالِحٌ (٥) .

ومن فضائل هذه الأربع الركعات أنه كان يحافظ عليها الانبياء عليهم الصلاة والسلام . روى عن ثوبان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يَسْتَحِبُّ أَنْ يَصَلِّيَ بعد نصف النهار فقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله . إني أراك تَسْتَحِبُّ الصلاةَ هذه السَّاعَةَ ؟ قال : تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَنْظُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالرَّحْمَةِ إِلَى خَلْقِهِ وَهِيَ صَلَاةٌ كَانَ يَحْفَظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللهُ عَلَيْهِمْ (٦) .

ومن فضائل هذه الصلاة أن المحافظ عليها ينال ثواب تهجد ليلته تلك ، روى عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعَ

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذى .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط .

(٥) رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن غريب .

(٦) رواه البزار وسنده ضعيف .

رَكَعَاتٍ كَأَمَّا تَهَجَّدَ بِهِنَّ مِنْ لَيْلَتِهِ وَمَنْ صَلَّى بَعْدَ الْعِشَاءِ كَمِثْلِهِنَّ مِنْ لَيْلَةٍ الْقَدْرِ^(١) .

وفي رواية : عن عبد الرحمن بن حميد رضى الله عنه عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الهَجِيرِ مثل صلاة الليل . قال الراوى : فسألت عبد الرحمن بن حميد عن الهجير ؟ فقال : إذا زالت الشمس^(٢) .

وفي رواية : عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أربع قبل الظهر وبعد الزوال تُحَسَّبُ بِمِثْلِهِنَّ فِي السَّحَرِ وما من شيء إلا وهو يسبِّحُ الله في تلك الساعة ، ثم قرأ : ﴿ يَتَفَقَّهُوْا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ^(٣) .

ومن فضائل هذه الصلاة أن من صلاها كان كمن أعتق رقبة من بنى إسماعيل . عن بشير بن سليمان عن عمرو بن الانصارى رضى الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ قال : مَنْ صَلَّى قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا كَانَ كَعَدْلٍ عَتَقَ رَقَبَةً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ^(٤) .

وهذه الصلاة هي أفضل صلاة النهار ، عن الأسود ومرة ومسروق رضى الله عنهم قالوا : قال عبد الله : ليس شيء يعدل صلاة الليل من صلاة النهار إلا أربعاً قبل الظهر وَفَضْلُهُنَّ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ كَفَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدَةِ^(٥) .

ومن ذلك ما جاء في فضل الصلاة قبل العصر ، فقد دعا له ﷺ بالرحمة فقال : ﴿ رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا^(٦) .

(١) رواه الطبراني في الاوسط وسنده ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في الكبير . وفي سنده لين وجد عبد الرحمن هذا هو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

(٣) رواه الترمذى في التفسير من جامعه وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث على بن عاصم .

(٤) رواه الطبراني في الكبير ورواه إلى بشير ثقات .

(٥) رواه الطبراني في الكبير وهو موقوف لا بأس به .

(٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في الصحيح .

وجاء أن من حافظ عليها بنى الله له بيتاً فى الجنة (١) .

وجاء أن من حافظ عليها حرم الله بدنه على النار (٢) .

وفى رواية : لم تمسه النار (٣) .

وجاء أن من حافظ عليها فهو من المغفور لهم (٤) .

ومن ذلك ما جاء فى فضل الصلاة بين المغرب والعشاء

١ — أنها تساوى ثواب ثنتى عشرة سنة . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرَبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِسَوْءٍ عَدَلَنْ بِعِبَادَةِ ثِنْتَى عَشْرَةَ سَنَةً (٥) .

٢ — ان من حافظ عليها بنى الله له بيتاً فى الجنة . روى عن السيدة عائشة رضى

الله عنها عن النبى ﷺ قال : من صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرَبِ عَشْرِينَ رُكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ (٦) .

٣ — أنها سبب مغفرة الذنوب ، عن محمد بن عمار بن ياسر رضى الله عنهم

قال : رأيت عمار بن ياسر يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : رأيت حبيبي رسول الله ﷺ يصلى بعد المغرب ست ركعات وقال : مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرَبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ (٧) .

٤ — أن هذه الصلاة ترفع فى عليين ، عن مكحول رضى الله عنه يبلغ به

(١) رواه أبو يعلى .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) رواه الطبرانى فى الاوسط .

(٤) رواه الطبرانى فى الاوسط وهو غريب .

(٥) رواه ابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والترمذى كلهم من حديث عمر بن أبى خثعم عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عنه وقال الترمذى حديث غريب .

(٦) وهذا الحديث الذى أشار اليه الترمذى رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروة عن أبىه عن عائشة . ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

(٧) حديث غريب رواه الطبرانى فى الثلاثة وقال : تفرد به صالح بن قطن البخارى .

النبي ﷺ قال : من صَلَّى بعد المغرب قبل أن يتكلمَ رَكَعَتَيْنِ — وفي رواية — أربعَ رَكَعَاتٍ رُفِعَتْ صَلَاتُهُ فِي عَلِيٍّ (١) .

ومن ذلك ما جاء في فضل الصلاة بعد العشاء . فقد جاء أنها تساوى ثواب من صلاها ليلة القدر .

روى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أربعٌ قبلَ الظهرِ كأربعٍ بعدَ العشاءِ . وأربعٌ بعدَ العشاءِ كَعَدْلِهِنَّ من ليلةِ القدرِ (٢) .

وقوله كعدلهن : أى كمثل ثواب ومقدارهن .

وقوله من ليلة القدر : يريد النبي ﷺ أن يبين أن صلاة أربع ركعات بعد صلاة العشاء تساوى ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر . والركعة فيها تساوى ثواب الف ركعة في غيرها ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ أى العمل فيها يضاعف الله ثوابه ألف ضعف من ذكر وتسبيح وتحميد . وهكذا من أعمال البر يزداد أجرها ويعظم خيرها وتفتح لها أبواب القبول .

وفي رواية في الكبير من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فِي جَمَاعَةٍ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ كَانَ كَعَدْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ .

ومن ذلك ما جاء في المحافظة على صلاة الوتر وانه ينال أجر من مات في سبيل الله .

فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من صَلَّى الضُّحَى وصام ثلاثة أيام من الشهر ولم يترك الوتر في سفر ولا حضر كُتِبَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ (٣) .

ومن فضائل الوتر أن الله سبحانه وتعالى يحبه . فمن أتى به فقد أتى بما يحبه الله .

(١) ذكره رزين ولم أره في الاصول .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط .

(٣) رواه الطبراني في الكبير وفيه نكارة .

فمن على رضى الله عنه قال : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سنه رسول الله ﷺ . قال : إن الله وثر يحبُّ الوترَ فأوترُوا يا أهل القرآن^(١) .

وصلاةُ الوترِ أمَدُّنا اللهُ تعالى بها وهى خيرٌ لنا من حُمْرِ النَّعَمِ^(٢) .

ولذلك حذر ﷺ من تركه وتبرأ من تاركه بقوله : الوترُ حقٌّ فَمَنْ لم يوترْ فليسَ مِنَّا . الوترُ حقٌّ فَمَنْ لم يوترْ فليسَ مِنَّا . الوترُ حقٌّ فَمَنْ لم يوترْ فليسَ مِنَّا . ثلاثاً^(٣) .

وقد بلغت العناية من سيدنا رسول الله ﷺ بالوتر أنه أمر من خاف أن لا يقوم في آخر الليل أن يقدمه في أول الليل . كما جاء عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من خاف ان لا يقوم من آخر الليل فليوترْ أوله ومن طمِعَ أن يقومَ آخره فليوترْ آخرَ الليل فإنَّ صلاةَ آخرِ الليلِ مشهودةٌ وذلك أفضلُ^(٤) .

فضائل صلاة النافلة في البيت

ومن فضائل الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى جعل لها الثواب الكبير على صلاة النوافل في البيوت .

فمن ذلك أن الصلاة في البيت نور : قال رسول الله ﷺ : أما صلاةُ الرجلِ في بيته فنورٌ ، فنوروا بيوتكمُ .

ومعناها أنها ضياء القلوب لتخشع لله في خلوتها وخلاء عن الغفلة وانسراح

(١) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له . والنسأى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه وقال الترمذى : حديث حسن .

(٢) كذا يقول ﷺ فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

(٣) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له . وفي اسناده عبید الله ابن عبد الله أبو المنيب العتكى . ورواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٤) رواه مسلم وابن ماجه والترمذى وغيرهم .

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

بين العبد وربّه يناجيه خالياً من المظاهر فيشعر بجلال الله وعظمته ويقف ذليلاً أمام المعطى سبحانه فينشرح صدره بالايّمان والمناجاة وقد أمر ﷺ المسلمين أن يصلوا النافلة في البيت لتتفرّف على المصلّي رحمة الله ، ولتعمه أنواره الوضاءة وليشعر كل من في البيت بخوف الله تعالى . وأنه جدير بالثناء عليه والشكر له على ما أسبغ عليهم بنعمه .

قال ﷺ : إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فان الله جاعل في بيته من صلاته خيراً^(١) .

وقد شبه ﷺ البيت الذي فيه طاعة الله وذكره وعبادته وتسيّحه وقراءة القرآن فيه وأنه ملجأ الصالحين أنه حتى مملؤ عمرانا ومحاط بالسعادة والسعة والرضا . أما البيت الذي خلا من ذكر الله فمقفر وخاو وخرب وإن عمره أهله فلا فائدة في وجودهم وعليه شارة الغضب ويحوطه السخط والعصيان ويسرح ويمرح فيه الشيطان ويبيت فيه . قال النبي ﷺ : مثل البيت الذي يُذكرُ الله فيه والبيت الذي لا يُذكرُ الله فيه مثل الحيّ والميت^(٢) .

يقول ابن مسعود رضى الله عنه : سألتُ رسول الله ﷺ أيّما أفضل : الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد ؟ قال : الا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد فلأن أصلي في بيتي أحبُّ إليّ من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة^(٣) .

وقد أمر ﷺ باكرام البيوت فقال : اكرّموا بيوتكم ببعض صلواتكم^(٤) .

وفضّل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل الفريضة على التطوّع^(٥) .

(١) رواه مسلم وغيره ورواه ابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي سعيد .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه .

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٥) رواه البيهقي باسناد جيد .

ومعناه : أن صلاة النافلة أمام الناس مظنة الرياء ومدح الناس إياه انه عابد ناسك . ولكن في البيت أدمى إلى رحمت الله وأبعد عن ظنون النفاق وأعين الرائين المداحين إلا المفروضة ، فتؤدى في المسجد جماعة كما اراد ﷺ ويصلى الإنسان في بيته ما شاء من النوافل بتؤدة وطمأنينة ، والفرضة أكثر ثوابا من النافلة ، وحسناتها مضاعفة وأجرها جزيل .

فضل الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح والعصر

ومن شرف الأمة المحمدية ما جعل الله سبحانه وتعالى من الثواب لمن جلس في المصلى بعد صلاة الصبح .

فمن ذلك أن من صَلَّى الصُّبْحَ في جماعةٍ ثم قَعَدَ يذُكُرُ اللهَ حتى تَطْلُعَ الشمسُ ثم صَلَّى ركعتين كان له كأجرِ حجَّةٍ وعمرَةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ تامَّةٍ (١) . هكذا كررها ﷺ ثلاث مرات .

وفي رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الفجر لم يقُم من مجلسه حتى تُمَكِّنَهُ الصلاةُ وقال : من صَلَّى الصُّبْحَ ثم جَلَسَ في مجلسه حتى تُمَكِّنَهُ الصلاةُ كان بمنزلةِ عمرَةٍ وحجَّةٍ مُتَقَبَّلَتَيْنِ (٢) .

وفي رواية عن عبد الله بن غابر أن أمانة وعتبة بن عبد رضى الله عنهما حدثاه عن رسول الله ﷺ قال : من صَلَّى صلاةَ الصُّبْحِ في جماعةٍ ثم ثَبَّتَ حتى يُسَبِّحَ اللهُ سُبْحَةَ الضُّحَى كان له كأجرِ حاجٍّ ومُعْتَمِرٍ تامًّا له حجَّةٌ وعمرَةٌ (٣) .

ومن ذلك أن من جلس من بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ينال من الثواب مالا يخطر بباله . فهو كأنه أعتق أربع رقاب وكأنه أنفق في سبيل الله إثني عشر ألفا .

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب .

(٢) رواه الطبرانى في الاوسط ورواته ثقات إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام .

(٣) رواه الطبرانى وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَأَنْ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَأَنْ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً (١) . قال في الموضوعين : أحبُّ إليَّ من أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ دِيَّةً كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا (٢) .

وفي رواية عن أبي أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لَأَنْ أَقْعَدَ أَذْكَرَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَكْبَرَهُ وَأَحْمَدَهُ وَأَسْبَحَهُ وَأَهْلَلَهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنْ أَقْعَدَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَ رَقَابَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ (٣) .

ومن ذلك أنه تغفر خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر .

قال رسول الله ﷺ : من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفرت له خطاياها وإن كانت أكثر من زبد البحر (٤) .

ومن ذلك أنه يستحق دخول الجنة لما جاء في الحديث ، من صَلَّى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة (٥) .

ومن ذلك انه لا تمس جلده النار لما روى عن أبي أمامة رضى الله عنه يرفعه قال : من صَلَّى الْفَجْرَ ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لَمْ تَمَسَّ جِلْدَهُ النَّارُ وَأَخَذَ الْحَسَنُ بِجِلْدِهِ فَمَدَّهُ (٦) .

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بالشرط الأول إلا أنه قال : أحب الي مما طلعت عليه الشمس .

(٣) رواه أحمد باسناد حسن .

(٤) و (٥) رواهما أحمد وأبو داود وأبو يعلى .

ومعنى يسبح ركعتي الضحى : أى يصلى .

وزيد البحر : رغواته وفاقيعه .

(٦) رواه البيهقى .

ومن ذلك أنه لا يقوم من مصلاه إلا وصحائفه نقيه قد غفر الله له .

روى عن عمرة رضى الله عنها قالت : سمعت أم المؤمنين تعنى عائشة رضى الله عنها — تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ أَوْ قَالَ : الْعِدَاةَ فَقَعَدَ فِي مَقْعَدِهِ فَلَمْ يَلُغْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَيَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يَصَلِّيَ الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَلُغْ لَهُ (١) .

ومن ذلك أنه ينال من الثواب أكثر وأعظم مما يناله من رحاب الاعداء وفاز بالظفر وانتصر وكسب المغانم .

روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ بعث بعثاً قَبْلَ تَجْدِيدِ فَعَنِمُوا غَنَائِمَ كَثِيرَةً وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مَنَا لَمْ يَخْرُجْ : مَا رَأَيْنَا بَعَثًا أَسْرَعَ رَجْعَةً وَلَا أَفْضَلَ غَنِيمَةً مِنْ هَذَا الْبَعْثِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى قَوْمٍ أَفْضَلُ غَنِيمَةً وَأَسْرَعَ رَجْعَةً قَوْمٌ شَهِدُوا صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ جَلَسُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْلَئِكَ أَسْرَعُ رَجْعَةً وَأَفْضَلُ غَنِيمَةً (٢) .

ومن ذلك أن مَنْ قَالَ فِي دَبْرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَهُوَ ثَانِي رَجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كَلَّهُ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحَرَسَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَنْبَغِ لَذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى (٣) .

(١) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبراني .

(٢) رواه الترمذى فى الدعوات من جامعه ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بنحوه . وذكر البزار فيه أن القائل ما رأينا : هو أبو بكر رضى الله عنه وقال فى آخره : فقال النبى ﷺ يا أبابكر ألا ادلك على ما هو أسرع إيابا وأفضل مغنا من صلى الغداة فى جماعة ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس .

(٣) رواه الترمذى واللفظ له وقال : حديث حسن غريب صحيح . والنسائى وزاد فيه : بيده الخير ، وزاد فيه أيضا : وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة . ورواه النسائى أيضا من حديث معاذ وزاد فيه : من قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك فى ليلته .

وفي رواية : أن من قال هذا الدُّكْرَ عشرَ مرَّاتٍ بعد المغربِ بعَثَ اللهُ له مَسْلِحَةً يحفظونه من الشيطانِ حتى يُصْبِحَ وكتبَ اللهُ له بها عشرَ حسناتٍ موجباتٍ ، ومحا عنه عشرَ سيئاتٍ موبقاتٍ ، وكانت له بعدُ عشرُ رقباتٍ مؤمناتٍ^(١) .

وفي رواية : بزيادة « بيده الخيرُ » بعد قوله « وله الحمدُ » .

وفي رواية : وكان له بكل مرَّةٍ عتق رقبَةٍ من ولد إسماعيل ثمن كل رقبَةٍ اثنا عشر الفا .

وفي رواية أن من قال ذلك مائة مرَّةٍ كان يومئذٍ من أفضلِ أهلِ الارضِ عملاً إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال^(٢) .

وهذه الاحاديث تفيد أن بركة هذا الذكر ينالها المسلم بشرط أن يأتي به بعد صلاة الصبح والمغرب مباشرة وقبل أن يتكلم وهو جالس جلوس الصلاة فإذا أتى بهذه الشروط فإن الله تعالى تكفل له ان يعطيه سبع فوائد .

أولاً : كتابة حسنات : ثانياً : محو سيئات : ثالثاً : زيادة درجات : رابعاً : ثواب العتق : خامساً : الحفظ من الشيطان : سادساً : السلامة من المصائب : سابعاً : التنقية من العيوب والنجاة من العذاب .

فالذى يحافظ على قراءة هذا الورد كل يوم ، يتكرم الله عليه بزيادة حسنات مضاعفة ، وإزالة سيئات ماحقة ، وتحصن من المصائب ، ووقى شر الحوادث وبعد عن المكاره والوسواس الخناس ، فلا يجد الشيطان له فرصة يغويه ويضله ، هذا إلى سلامته من كل الذنوب مدة يومه إلا إذا أُلْحِدَ وأشرك بربه أحداً وهذا عمل يسير به ينال فضل الله الكبير .

ومن ذلك أن من قال بعد الفجر ثلاث مرات وبعد العصر ثلاث مرات :

(١) رواه النسائي والترمذي .

(٢) رواه الطبراني في الاوسط باسناد جيد . وهو عند أحمد بنحوه ورجاله رجال الصحيح .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومَ وَاتَّوْبُ إِلَيْهِ كَفَّرْتُ عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ (١) .

صلوات مخصوصة

١ — فضل صلاة الضحى .

ومن الشرف الذى جعله الله لهذه الأمة ما أعده من الثواب الجزيل ووعد به من الخير على صلاة الضحى والاستخارة وصلاة الحاجة وركعتى الوضوء وصلاة التسبيح .

صلاة الضحى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليل صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهرٍ وركعتي الضحى وأن أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ (٢) .

وفضائل صلاة الضحى كثيرة نذكر جملة منها :

١ — بها يغفر الله تعالى الذنوب . روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حافظ على شُفْعَةِ الضُّحَى — أى ركعتي الضحى — غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ .

وروى ابو يعلى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من قام إذا اسْتَقْبَلَهُ الشَّمْسُ أى بعد طلوعها وارتفاعها — فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام فصلى ركعتين غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .

٢ — بها يكون من الاوابين — روى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا يَحْفَظُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ . قال : وهى صلاة الأوابين . ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣ — بها ينال أجر المعتمر . روى أبو داود عن أبى أمامة رضى الله عنه أن

(١) رواه ابن السنى فى كتابه .

(٢) رواه الشيخان .

رسول الله ﷺ قال : من خرَج من بيته مُتَطَهَّرًا إلى صلاةٍ مكتوبةٍ — أى مفروضة يصليها في المسجد — فأجرُهُ كأجرِ الحاجِّ المحرِّم . ومن خرَج إلى تسبيح — أى صلاة الضحى — لا يَنْصِبُهُ إلا إِيَّاه — أى صلاة الضحى — فأجره كأجر المعتمر . وصلاة على أثرِ صلاةٍ لا لغوَ بينهما كتابٌ في عليين .

٤ — بها يكتب من العابدين ومن القانتين . روى الطبراني عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مَنْ صَلَّى الضُّحَى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . ومن صَلَّى أَرْبَعًا كُتِبَ مِنَ الْعَابِدِينَ ومن صَلَّى سِتًّا كُفِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ومن صَلَّى ثَمَانِيَا كُتِبَ اللَّهُ مِنَ الْقَانِتِينَ . ومن صَلَّى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ . وما مِنْ يَوْمٍ وَلَا لَيْلَةٍ إِلَّا اللَّهُ مَنْ يُمْنُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَصَدَقَهُ . وما مِنْ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ

٥ — بها يدخل الجنة من باب الضحى : روى الطبراني على النبي ﷺ أنه قال : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الضُّحَى فإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ : أَيُّ الَّذِينَ كَانُوا يُدِيمُونَ صَلَاةَ الضُّحَى ؟ هَذَا بِأَبْكُمْ فَادْخُلُوهُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

٦ — بها يكفى الله تعالى العبد ما أهمه في ذلك اليوم ويدخل في ضمان الله تعالى : روى الترمذى عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال : يَا ابْنَ آدَمَ لَا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ .

وروى الامام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل : يَا ابْنَ آدَمَ صَلِّ لِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ .

٧ — بها يؤدي العبد حقوق الصدقات عن أعضائه . فان العبد متى أصبح وجب أن يتصدق على أعضائه كلها . وإن صلاة الضحى تفى بذلك كله . روى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامَى — أى عضو — من أحدكم صدقة ، فكلُّ تسبيحةٍ صدقةٌ وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ وكلُّ تهليليةٍ صدقةٌ وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ ، وأمر بالمعروف صدقةٌ ونهْي عن المنكر صدقةٌ ويُجزئُ

من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى .

وروى الامام أحمد أن النبي ﷺ قال : في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة . قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : التخامة في المسجد تدفنها والشيء تُنحّيه عن الطريق فان لم تقدر فركعتا الضحى تُجزى عنك .

وصلاة الضحى أقلها ركعتان إلى ثمان ركعات .

وقتها إذا حلت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس إلى الزوال .

٢ — صلاة الاستخارة ودعاؤها .

ومن الشرف الذي جعله الله تعالى لهذه الامة ما أعده من الثواب الجزيل ووعده به من الخير الجليل على بعض الصلوات المخصوصة .

فمنها — صلاة الاستخارة .

في الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من سعادة ابن آدم كثرة استخارة الله ورضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله وسخطه بما قضى الله .

وعن جابر رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : إذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة . ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فإنت تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري — أو قال : عاجل أمري وآجله — فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري — أو قال : عاجل أمري وآجله — فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به « ويسمى حاجته » .

وفي سنن الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد الأمر قال : اللهم خِرْلى
واخْتِرْلى .

وهذا لاينافى الدعاء السابق بل يدعو به أيضا

ويستحب إفتتاح دعاء الاستخارة وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة كما هو سنة الدعاء وأن يقرأ فى الركعة الأولى فاتحة
الكتاب وسورة « الكافرون » وفى الثانية فاتحة الكتاب وسورة « الاخلاص »
واستحب جمع من المحدثين والصوفية رضى الله عنهم أن يقرأ فى الركعة الأولى قبل
سورة الكافرون آية القصص قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا
كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ
وَمَا يُعْلِنُونَ . وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴾ ويقرأ فى الركعة الثانية قبل سورة الاخلاص اية الاحزاب : ﴿ وَمَا
كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ .

قال الإمام الشيخ ابن عربى رضى الله عنه : يفعل ذلك أى الاستخارة على
الوجه السابق — فى كل حاجة مهمة يريد فعلها وقضاءها ثم يشرع فى حاجته .
فان كان له فيها خيرة عند الله تعالى يسرله أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها
محمودة وإن تعذر شىء من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بيسر فلا يضاد القدر
ويعلم أنه لو كان فيها خيرة عند الله تعالى ما تعذرت أسبابها فيعلم أن الله تعالى قد
اختار له تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبة تركها .

قال الامام النووى رضى الله عنه : وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرح له
صدره . والله أعلم وإذا لم يتضح له شىء يكررها فقد روى الديلمى وابن السنى
عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أنس إذا هممت بأمرٍ
فاستحِرْ رَبَّكَ فيه سبع مرات ثم انظرْ إلى الذى سبق إلى قلبك فان الخَيْرَ فيه .

ثم ان الاستخارة هي طلب الخيرة في الامر فقد يكشف الله تعالى لك الخير كشفاً قلبياً فينشرح صدرك لذلك الأمر . وقد لا يتجه قلبك لوجه من الوجوه بسبب شغله في أمور أخرى أو بسبب ضيق في الوقت أو عدم وجود المناسبات الكاشفة لقلبك عن الامر الذى استخرت الله تعالى فيه فحينئذ قد يجليه الله تعالى ويكشفه لك في عالم المنام . ولذلك قال صاحب شرعة الاسلام في فصل فضيلة النوافل : ثم إن المسموع من المشائخ أنه ينبغي أن ينام على الطهارة مستقبل القبلة بعد قراءة الدعاء المذكور فان رأى في منامه بياضا أو خضرة فذلك الأمر خير . وان رأى فيه سوادا أو حمرة فهو شر ينبغي أن يجتنبه إهـ .

قال الشيخ الأكبر رضى الله تعالى عنه : وينبغي لأهل الله تعالى أن يصلوا صلاة الاستخارة في وقت معين يعينونه من ليل أو نهار في كل يوم . فاذا قالوا الدعاء الوارد في الحديث كما تقدم يقولون في الموضع الذى أمر أن يسمى حاجته أى حينما يصل في الدعاء إلى قوله : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي — يقول : اللهم ان كنت تعلم أن جميع ما يتحرك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني خير لي في ديني ودنياي وعاجل أمرى وآجله من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر فيسره لي واقدره لي ورضنى به . وان كنت تعلم أن جميع ما يتحرك فيه في حقي وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شر لي في ديني ودنياي وعاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضنى به .

قال الشيخ رضى الله عنه : فاذا فعل ذلك فما يتحرك بحركة ولا يُتحرَك في حقه بحركة إلا كان فيها خير محقق فعلا أو تركا . جرّبت هذا إهـ .

فعليك يا أخى أن تعين وقتنا خصوصا أول النهار أو بعد صلاة الظهر أو بعد

صلاة المغرب أو بعد صلاة العشاء وتصلى ركعتى الاستخارة ثم تدعو بما تقدم
وواظب على ذلك كل يوم فان فيه خيرا كثيرا إله .

٣ — صلاة الحاجة ودعائها .

روى الترمذى وغيره عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه أن رجلا ضَرِيرا
أتى النبي ﷺ فقال : ادْعُ الله تعالى أن يُعافيني قال : إن شئت دعوتُ وإن شئت
صبرتُ فهو خيرٌ لك . قال فادعُه . أى ادع الله — فأمره أن يتوضأ فيحسن
وُضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجهُ اليك بنبيك محمدٍ ﷺ
نبيِّ الرحمةِ يا محمدُ إني توجَّهْتُ بك إلى ربِّي في حاجتى هذه لتُقضى لى . اللهم
فشفِّعْ فيَّ .

وفى رواية النسائى : فتوضأ ثم صلى ركعتين — أى ثم دعا .

وفى الترمذى وغيره عن ابن أبى أوفى رضى الله تعالى عنه قال : خرج علينا
رسولُ الله ﷺ يوما فقعَدَ وقال : من كانت له حاجةٌ إلى الله تعالى أو إلى احدٍ من
بنى آدم فليتوضأ وليُحسِنِ الوُضوءَ ثم ليصلُ ركعتين ثم ليُثنَّ على الله عزَّ وجل
وليصلُ على النبيِّ ﷺ ثم ليقلُ : لا اله إلا الله الحليمُ الكريمُ سبحانَ الله ربِّ
العرشِ العظيمِ الحمد لله رب العالمين أسألك موجباتِ رحمتك وعزائمَ مغفرتك
والغنيمَةَ من كلِّ برٍّ والسلامةَ من كلِّ إثمٍ لا تدعُ لي ذنباً إلا غفرتَهُ ولا همماً
إلا فرَّجتَهُ ولا حاجةً هي لك رضا إلا قضيتها يا ارحمَ الراحمين .

وفى سنن أبى داود عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله
ﷺ إذا حَزَبَهُ — أى نزل به هم أو غم — صلى أى لأن الصلاة تدفع النوائب
وترفع المصائب . « وحزبه بالباء أو بالنون كما فى فيض القدير » .

٤ — صلاة ركعتى الوضوء .

عن عقبه رضى الله عنه قال : كانت علينا رعايةُ الابلِ فجاءت نوبتى
أزعاها فروَّحْتُها بعشبي فادركتُ رسولَ الله ﷺ قائما يحدثُ الناس وادركت من

قوله : ما مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ يُقْبَلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلَّا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . فقلتُ : ما أَجَوَدَ هَذَا ! فإذا قاتل يقول بين يَدَيَّ : التي قَبَلَهَا أَجَوَدُ . فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال : إني رأيتُكَ قد جِئْتَ آفِئاً — أى الان — وما سمعتُ ما قاله قَبْلَهُ — قال ﷺ : ما منكم من أحدٍ يتوضأ فَيُتْبَلِّغُ أو فَيُسْبِغُ الوضوءَ ثم يقولُ : اشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له واشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتِحَتْ له ابوابُ الجنةِ الثمانيةِ يدخلُ من أيِّها شاء^(١) .

وعند الترمذى بعد قوله : ورسوله . اللهم اجعلنى من التَّوَّابِينَ واجعلنى من الْمُتَطَهِّرِينَ . فيندب صلاة ركعتين عقب الوضوء وكذا الغسل ويحسن أن يقرأ فيهما سورة ﴿ قل يا أيها الكافرون والاحلاص ﴾ .

٥ — صلاة التسييح .

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى خصها بصلاة التسييح .

روى أبو داود سليمان بن الأشعث وابن ماجه محمد بن يزيد في سننهما قالا : حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : يا عَبَّاسُ يا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ أَلَا أَمْنُحُكَ أَلَا أَحْبُوكَ أَلَا أَفْعَلُ لَكَ : عَشْرَ خِصَالٍ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ ، خَطَأَهُ وَعَمَدَهُ صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، عَشْرَ خِصَالٍ : أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةَ فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ . قلتُ : سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ حَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، ثم تَرَكَعُ فتقولُها وأنت رَاكِعٌ عَشْرًا ثم تَرْفَعُ رَأْسَكَ

(١) رواه مسلم .

من الركوع فتقولها عشراً ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً فذلك خمسن وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ، إن استطعت أن تصلّيها في كل يوم مرة فأفعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك مرة^(١) .

وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن عباس وأبو رافع الانصارى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمرو الانصارى .

قال المنذرى فى الترغيب والترهيب ، أمثلها حديث عكرمة هذا ، وقد صححه جماعة منهم الحفاظ ابو بكر الآجرى وأبو محمد عبد الرحيم المصرى وأبو الحسن القدسى . وقال أبو بكر بن أبى داود سمعت أبى يقول : ليس فى صلاة التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال مسلم بن الحجاج : لا يروى فى هذا الحديث إسناد أحسن من هذا والتحقيق أن الحديث لا ينحط عن درجة الحسن لطرقه التى تشده وتقويه .

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ... صغيره وكبيره يدل بظاهره على ان الكبائر تغفر بمجرد فعل هذه الصلاة . وهو محمول على ما إذا اقترنت ببقية شروط التوبة من الاستغفار والندم والعزم على عدم العود .

وقوله : غفر الله لك ذنبك أوله وآخره . لا يتناول حقوق العباد فلا تسقط عن ذمته مهما قدم من أعمال الخير وإنما تبرأ ذمته مما هو خاص بحقوق الله تعالى المحضة .

وقوله : تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة . مطلق فى أي السور

(١) وأخرجه الحاكم والبيهقى وغيرهما .

يختارها القارئ وقد اختار بعضهم لذلك هذه السور : التكاثر ، العصر ، الكافرون ، الاخلاص .

وقوله : ارفع رأسك فقلها عشرا . أى بعد قول : سمع الله من حمده ربنا لك الحمد . وكذلك فى الركوع وفى كل ما يأتى تقال التسيحات بعد اذكار الصلاة الاصلية .

وقوله : ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فيه إشارة إلى أنه يجلس قليلا بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى وكذا الثالثة ليقول عشر تسيحات . وهذه جلسة إستراحة أما فى الركعة الثانية والرابعة فيقولها فى الجلوس الأسمى للتشهد .

صلاة تقوية الحفظ

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : بأبى أنت وأمى تفلت هذه القران من صدرى . فما أجدنى أقدر عليه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت فى صدرك ؟ قال : أجل يا رسول الله فعلمنى . قال : إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب . وقد قال أخى يعقوب لبنى : سوف أستغفر لكم ربى . يقول حتى تأتى ليلة الجمعة . فان لم تستطع فقم فى وسطها ، فان لم تستطع فقم فى أولها ، فصل أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان . وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وآم تنزيل السجدة . وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفضل . فاذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين واستغفر للمؤمنين والمؤمنات وإخوانك الذين سبقوك بالإيمان ثم قل فى آخر ذلك : اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التى لا تُرام أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك ان تُلزِم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى وارزقنى ان أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى . اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة

التي لا ترامُ أسألك يا الله يا رَحْمَنُ بِجَلالِكَ ونور وجهِكَ أَنْ تُنَوِّرَ بكتابتِكَ بصرى وأن تُطَلِّقَ به لسانى . وأن تُفَرِّجَ به عن قلبى وأن تُشْرَحَ به صدرى وأن تُعْمَلَ به بدنى فانه لا يُعِينِنى على الحقِّ غيرِكَ ولا يُؤْتِيهِ إِلا أَنْتَ . ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاثَ جُمُوعٍ أو خُمُساءَ أو سَبْعاً تُجِبُّ بِإِذْنِ اللَّهِ .
والَّذى بَعَثَنى بِالْحَقِّ ما أَخْطَأَ مُؤمِناً قَط .

قال ابن عباس : فَوَاللَّهِ ما لَبِثَ عَلِيٌّ إِلا خُمُساءَ أو سَبْعاً حتى جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مثل ذلك المجلس فقال : يا رسولَ اللَّهِ إِنِّى كُنْتُ فىما نَحَلًا لا آخُذُ إِلا أربَعَ آياتٍ ونحوهُنَّ فاذا قرأتُهُنَّ على نفسى تَفَلَّتَنَ وأنا أَتَعَلَّمُ اليومَ أربعينَ آيةً ونحوها فاذا قرأتُها على نفسى فكأُتَمَّا كُتابُ اللَّهِ بَينَ عَينَيَّ ، ولقد كُنْتُ أَسْمَعُ الحديثَ فاذا رَدَدْتُهُ تَفَلَّتَ وأنا اليومَ أَسْمَعُ الأحاديثَ فاذا تَحَدَّثْتُ بها لم أُحْرِمَ منها حرفاً ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ وسلم عند ذلك : مؤمِنٌ وربُّ الكعبةِ أبا الحسن (١) .

وقد عين الحديث السور الاربع المذكورة ورتبها فى كل ركعة سورة وهذا الترتيب مخالف لترتيب سور القرآن ومراعاة ترتيب سور القرآن فى الصلاة مستحبة، ومخالفة المستحب فى الأحيان القليلة جائزة، وقد ورد عنه ﷺ أنه فعل ذلك أحيانا لبيان عدم الحرمة .

هذا وقد جاءت التجارب تؤيد ما ذكرنا ، قال الحافظ أبو الحسن ابن عراق : وأخبرنى غير واحد أنهم جربوا الدعاء به فوجدوه حقا .

وذلك أن ضعف الحفظ إن كان فطريا فالله تعالى الخالق البارئ المحي المميت قادر على امداد الداعى بمزيد من القوة الواعية . وان كان لعارض من أحوال طارئة يقويه الله تعالى على مقاومتها فقد اشتمل الحديث على ما يزيل ذلك حيث يدعو المؤمن ربه بأن يرحمه بترك المعاصى ومعلوم بل مشاهد أن إرتكاب المعاصى من أعظم أسباب البلبال الفكرى والذهنى . واشتمل على الاستعانة بالله لترك

(١) أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وأخرجه الحاكم وصححه .

الاهتمام فيما لا يعنيه ولا يدخل في مكنته من الأمور لأنه يوزع فكره ويمنعه من تركيز الانتباه فيما يعنيه وينفعه ويلحق بذلك سائر ما يدخل الهمم على الإنسان من الظروف المحيطة به مما لا بد له فيه . وفي الحديث سؤال حسن النظر فيما يرضى الله تعالى وذلك يشمل كافة العلوم والمعارف النافعة وكافة المصالح المشروعة لأنها يثاب فاعلها مادام يتغنى بها رضا الله وحسن النظر يُقَوَّى ارتسام الأمور والمعاني في الذهن .. إلى آخر ما اشتمل عليه الحديث .

« فضل أداء الزكاة »

ومن شرف هذه الأمة ما اُخْتَصَّهَا اللهُ به من الثواب العظيم والفضل الكريم على أداء الزكاة . وهى ركن من الأركان التى يبنى عليها الإسلام .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ (١) .

والزكاة من الأعمال التى توجب دخول الجنة ، فتفتح له أبواب الجنة ، ويقال له : أدخل بسلام .

قال صلى الله عليه وسلم : مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَيَصُومُ رَمَضَانَ ، وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ ، وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَقِيلَ لَهُ : ادْخُلْ بِسَلَامٍ (٢) .

وفي رواية : عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيْمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَاةِ الْخَمْسِ عَلَى وَضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيْتِهِنَّ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ (٣) .

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه النسائى واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريبا منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يُدخِلُنِي الجنةَ ، ويُبَاعِدُنِي من النار ؟ قال لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يَسِرُهُ اللهُ عليه : تَعَبُدُ اللهُ ولا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتَقِيْمُ الصلاةَ ، وتُوْتِي الزكاةَ ، وتصومُ رَمَضَانَ ، وتُحُجُّ البيتَ (١) . الحديث .

وقد تكفل نبينا ﷺ بالجنة ، لمن أداها ، وأتى بها ، على وجهها الصحيح ، فقال : أَكْفُلُوا لِي بَسْتِ أَكْفُلُ لَكُمْ بِالجنةِ ، قلت : ما هي يا رسول الله ؟ قال : الصلاة ، والزكاة ، والأمانة ، والفرج ، والبطن ، واللسان (٢) .

وقد سأل رجلُ نبينا ﷺ فقال : أخبرني بعمل يُدخِلُنِي الجنةَ ؟ قال : تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتَقِيْمُ الصلاةَ ، وتُوْتِي الزكاةَ ، وتَصِلُ الرَّحِمَ (٣) .

وفي رواية : أنه قال : دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجنةَ ؟ قال : تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتَقِيْمُ الصلاةَ المكتوبةَ ، وتُوْتِي الزكاةَ المفروضةَ ، وتصومُ رَمَضَانَ . قال : والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا ولا أنقصُ منه فلما وَلَّى قال النبي ﷺ : من سرَّهُ أن يُنْظَرَ إِلَى رَجُلٍ من أَهْلِ الجنةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هذا (٤) .

وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يُخْبِرُ أنه ذو مال كثير ، وذو أهل ويقول : أخبرني يا رسول الله كيف أصنع وكيف أنفق ؟ فقال رسول الله ﷺ : تُخْرِجُ الزكاةَ من مالك ، فإنها طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ وتَصِلُ أَقْرَبَاءَكَ ، وتَعْرِفُ حَقَّ الْمِسْكِينِ ، والجارِ والسَّائِلِ (٥) . الحديث

والزكاة قنطرة الإسلام ، كذا يقول ﷺ ، (والمعنى) أن المسلم يمر يوم القيامة على جسر ممدود على متن جهنم والمزكي يعبرها ، وغير المزكى حينما يصل إليها لا يمكنه العبور فيسقط في نار جهنم .

(١) رواه أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد لا بأس به ، وله شواهد كثيرة .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

والزكاة أحد أسهم الإسلام الثمانية ، وقد أخبرنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الإسلام ثمانية أسهم : بقوله :

الإِسْلَامُ ثَمَانِيَةٌ أَسْهُمٌ : الإِسْلَامُ سَهْمٌ ، وَالصَّلَاةُ سَهْمٌ وَالزَّكَاةُ سَهْمٌ ، وَالصَّوْمُ سَهْمٌ ، وَحَجُّ الْبَيْتِ سَهْمٌ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ سَهْمٌ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ سَهْمٌ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَهْمٌ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَأَ سَهْمَ لَهُ (١) .

ومن فضائل الزكاة أن من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره .

يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ فَقَدْ ذَهَبَ عَنْهُ شَرُّهُ (٢) .

وفي رواية عند الحاكم : إذا أدت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره . وقال صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : ذهب عنه شره . أى لم يعذب صاحبه به فى قبره . فلا يمثل له بشجاع أقرع يلدغه ، ويعذبه كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغير المزكى :

مُثَّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشُجَاعٍ أَقْرَعَ لَهُ زَبَيَّتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي شِدْقِيهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . سورة آل عمران (٣) .

ومعنى شجاعا ، أى حية ذكرا ، ومعنى : زبيتان : أى زبدتان فى شدقيه ، ومعنى الآية . أى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل البخل شر لهم ، لإستجلاب العقاب عليهم .

(١) رواه البزار مرفوعا ، وفيه يزيد بن عطاء الشكرى ، ورواه أبو يعلى من حديث على مرفوعا أيضاً ، وروى موقوفا على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطنى وغيره .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه البخارى .

وفي الآية : يقول تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به ﴾ وهو معنى قوله ﷺ : ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا جعله الله شجاعاً في غنقه يوم القيامة .

والزكاة حصن منيع للأموال من السرقة والضياع .

يقول ﷺ : حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْإِدْعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ (١) .

والزكاة هي تمام أمور الدين ، قال ﷺ : إِنَّ تَمَامَ إِسْلَامِكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ (٢) .

ومن فضائل الزكاة أنها تنفي عن المال اسم الكنز لأن المال الذي لا يُرَكَّى هو الكنز . قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ .

قال النبي ﷺ : كُلُّ مَالٍ وَإِنْ كَانَ تَحْتَ سَبْعِ أَرْضِينَ ، تُؤَدَّى زَكَاتُهُ ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ ، وَكُلُّ مَالٍ لَا تُؤَدَّى زَكَاتُهُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً فَهُوَ كَنْزٌ (٣) .

والزكاة ثانی درجات الإسلام فقد سئل ابن مسعود رضی الله عنه . أي درجات الإسلام أفضل قال : الصلاة ، قال : ثم أي ؟ قال : الزكاة (٤) .

ومن أداها فقد طعم طعم الإيمان ، لما جاء في الحديث . قال رسول الله ﷺ : ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ : مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ

(١) رواه أبو داود في المراسيل ، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً ، والمرسل أشبهه .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط مرفوعاً ، ورواه غيره موقوفاً على ابن عمر وهو الصحيح .

(٤) رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَعْطَى زَكَاتَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ وَلَمْ يُعْطِ
الْهَرَمَةَ ، وَلَا الدَّرِنَةَ ، وَلَا المَرِيضَةَ ، وَلَا الشَّرَطَ اللُّيْمَةَ ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ
أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ (١) .

قوله : رافدة عليه . من الرغد ، وهو الإعانة ، ومعناه . أنه يعطى الزكاة
ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع .

والشرط : بفتح المعجمة والراء . وهي الرذيلة من المال كالمسنة والعجفاء
ونحوهما . والدرنة : الجرباء .

« فضل العمل على الصدقة بالتقوى »

العامل على الصدقة هو الذى يبذل جهده فى جمع الزكاة من المسلمين
ليوصلها إلى بيت المال ، فيتصرف الإمام فى إنفاقها فى المصالح العامة والمساعدة
والإعانة والإحسان ، وثوابه ثواب المجاهد لنصر دين الله المضاعف أجره .

يقول ﷺ : الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لَوْجِهَ اللَّهِ تَعَالَى كَالْعَازِي فِي سَبِيلِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : الْعَامِلُ إِذَا اسْتَعْمَلَ فَأَخَذَ الْحَقَّ ، وَأَعْطَى الْحَقَّ لَمْ
يَزَلْ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ (٣) .

وكسب العامل هو خير كسب قال رسول الله ﷺ : خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ
الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ (٤) .

وله مثل ثواب المتصدقين لما يقوم به من أمانة ، فى حفظ الصدقات .
وإيصالها إلى أهلها .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه ، وقال الترمذى :
حديث حسن .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن عبد الرحمن بن عوف .

(٤) رواه أحمد ورواته ثقات .

فعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : إِنَّ الْحَازِنَ الْمُسْلِمَ الْأَمِينَ الَّذِي يَتَّقُلْ مَا أُمِرَ بِهِ فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوقِرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيُدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ (١) .

والعامل إذا اتقى الله وراقبه فهو من أهل الجنة ، يقول ﷺ : إِنَّهُ سُنْفَحٌ عَلَيْكُمْ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَعَارِبُهَا ، وَإِنَّ عَمَالَهَا فِي النَّارِ ، إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ (٢) .

شرف الصدقة وفضل المتصدقين

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ما أعده الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميز الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة . وقد جمعت جملة صالحة من ذلك أذكرها إن شاء الله فيما يأتي .

الصدقة تزيد في العمر ويذهب الله بها أرذل الأخلاق وأسوأها ويحفظ بها العبد من الفقر — فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : إِنَّ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَتَمْنَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَيُذْهِبُ اللَّهُ بِهَا الْكِبَرَ وَالْفَقْرَ وَالْفَخْرَ والمراد بزيادة العمر البركة فيه بأن يوفق للأعمال الصالحات فيعمل في سنوات قليلة من الخير مالا يعمله غيره في سنوات كثيرة .

والصدقة تزيد في المال وتباركه وتدفع عنه المفسدات قال ﷺ : مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ (٣) مَالٍ . والمعنى أن النقص الحاصل في المال في الصورة مجبور بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة أو أنه وإن نقصت صورته لكن ثوابه المعد له في الآخرة جابر لنقصه .

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم .

والصدقة حجاب من النار

اتقوا النار ولو بشق تمرّة

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » أى اجعلوا بينكم وبينها وقاية أى حجابا ولو كان الإلتقاء بالتصدق بشيء قليل جدا مثل شق تمرّة أى جانبها أى نصفها فانه يفيد . فلا يحتقر المتصدق ذلك فلو هنا للتقليل . وقد ذكر التمرّة دون غيرها كلقمة طعام لأن التمر غالب قوت أهل الحجاز . والالتقاء من النار كناية عن محو الذنوب ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ « اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا » وبالجملة ففيه حث على التصدق ولو بما قل .

وفي الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد مرفوعا « آجَعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ النَّارِ حِجَابًا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » ولأحمد من حديث ابن مسعود مرفوعا باسناد صحيح « لِيَتَّقَ أَحَدُكُمْ وَجْهَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » وله من حديث عائشة باسناد حسن « يَا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ » ولأبى يعلى من حديث أبى بكر الصديق نحوه وأتم منه بلفظ « تَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبَعَانِ » وكان الجامع بينهما فى ذلك حلاوتها .

وفي رواية : يا عائشة اشترى نفسك من الله لا أغنى عنك من الله شيئا ولو بشق تمرّة « مجمع » .

وفي رواية : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تَصَدَّقُوا فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فَكَأَكْكُمْ مِنَ النَّارِ » « مجمع » .

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ قال : لعائشة : « أَحْتَجِبِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

وفي رواية : أن رسول الله ﷺ قال : اجعلوا بينكم وبين النار حجاباً ولو بشقِّ ثَمْرَةٍ . « مجمع » .

وهذه الأحاديث تدل على أن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار وهذا أحد فوائدھا .

والصدقة تكفر الذنوب مهما عظمت .

ففي الحديث : والصدقة تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ . وعن أبي ذر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ تَعَبَّدَ عَبْدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَقَالَ : لَوْ تَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللَّهَ فَازْدَدْتُ خَيْرًا فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الْأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّى غَشِيَهَا ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ الْعَدِيرَ يَسْتَحِمُّ فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلْكَ الزَّيْتِ فَرَجَحَتْ الزَّيْتُ ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوْ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَعُفِّرَ لَهُ (١) . وفي رواية عن ابن مسعود موقوفا عليه .

ولفظه : إن راهباً عبد الله في صومعته ستين سنة فجاءت امرأة فنزلت إلى جنبه فنزل إليها فواقعها ست ليالٍ ثم سقط في يده فهرب فأتى مسجداً فأوى فيه ثلاثاً لا يطعم شيئاً فأتى برغيف فكسره فأعطى رجلاً عن يمينه نصفه وأعطى آخر عن يساره نصفه فبعث الله إليه ملك الموت فقبض روحه فوضعت الستون في كفة ووضعت الستة في كفة فرجحت . يعنى الستة ثم وضع الرغيف فرجح (٢) . يعنى رجح الرغيف الستة . « ترغيب » .

وعن جابر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لكعب بن عجرة : يا كعب بن عجرة الصلاة قربان والصيام جنة والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفئ الماء النار . يا كعب بن عجرة الناس غاديان فبائع نفسه فموتق رقبته ومبتاع نفسه في عتق رقبته .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٢) رواها البيهقي .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا كعبُ ابنَ عَجْرَةَ إِنَّه لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ يا كَعْبُ ابنِ عَجْرَةَ النَّاسِ غَادِيَانِ فَعَادِي فِي فَكَاكِ نَفْسِهِ فَمُعْتَقُهَا وَغَادِي فَمَوْثِقُهَا يا كَعْبُ ابنِ عَجْرَةَ : الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يَذْهَبُ الْجَلِيدُ عَلَى الصَّفَا^(١) « ترغيب » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فذكر الحديث إلى أن قال فيه : ثم قال : يعنى النبي ﷺ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ قُلْتُ : بلى يا رسولَ اللهِ . قال : الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يَطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ^(٢) .

والمصدق مشمول بدعاء زكى طاهر من ارواح زكية طاهرة وهم الملائكة التى تدعو كل يوم للمنفق بالخلف وعلى المسك بالتلف وتقول اللهم أعط منقفا خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً .

والصدقة خير أبواب البر .

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : خيرُ أبوابِ البرِّ الصَّدَقَةُ . « مجمع » .

والمصدق فى ظل صدقته يوم القيامة يوم لا ظل من حر الشمس كما جاء فى الحديث عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كُلُّ أَمْرِيءٍ فى ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ .

وفى رواية : عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ وَكَانَ يَزِيدُ لا يُحْطِئُهُ يَوْمٌ الا تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعَكَّةً أَوْ بَصْلَةً أَوْ كَذَا .

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ويأتى بهما فى الصحف . وهو عند ابن حبان من حديث جابر .

والصدقة سد منيع بين المتصدق والسوء ودافعة لعظيم البلاء والشر فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : « الصدقة همدٌ سبعين باباً من السوء » وليس المقصود بالسبعين التحديد بل المراد التكثير والمعنى أنها تسد السوء بأنواعه ولذلك قد أمرنا النبي ﷺ بالمبادرة إلى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار .

فعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : بأكبروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطأها « جمع » ومعنى ذلك أن الصدقة تكون مثل السد العظيم أمام البلاء فلا يستطيع أن يتعدها .

وفي رواية : الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص « جامع » .

وقد جاء في رواية أخرى : الصدقات بالعَدَوَاتِ يَذْهَبَنَّ بِالْعَاهَاتِ « جامع » والغدوات جمع غدوة الضحوة والمراد الصدقة أول النهار والعاهات جمع عاهة وهي الآفة . والظاهر أن المراد ما يشمل الآفات الذنبية والدينية وهو يدل على أن من فوائد الصدقة أن في بذلها السلامة من فتنة المال ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ لأن من آمن وتصدق فقد أسلم لله روحه وماله الذي هو عدل روحه فصار عبد الله حقا .

والصدقة تَمْنَعُ مِيتَةَ السُّوءِ كما جاء ذلك عن أبي هريرة مرفوعا « رواه القضاعي » والمراد بميتة السوء الحالة التي يكون عليها الإنسان عند الموت قال التوربشتي: وأراد بها مالا تُحْمَدُ عاقبته ولا تَوَمُنُ غائلته من الحالات كالفقر المُدْقِعِ والوصب الموجه والألم المقلق والعلل المفضية إلى كفران النعمة ونسيان الذكر والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها . وقال الطيبي: الأولى أن يحمل موت السوء على سوء الخاتمة ووخامة العاقبة من العذاب في الآخرة قال أبو زرعة: ليس معناه أن العبد يقدر له ميتة السوء فتدفعها الصدقة بل الأسباب مقدره كما أن المسببات مقدره فمن قدرت له ميتة السوء لا تقدر له الصدقة ومن لم تقدر له ميتة

السوء تقدر له الصدقة . قال العامري : ميتة السوء قد تكون في الصعوبة بسبب الموت كهدم وذات جنب و حرق ونحوها وقد تكون سوء حالة في الدين كموته على بدعة أو شك أو إصرار على كبيرة فحث على الصدقة لدفعها لذلك . وعن رافع بن مكيث وكان ممن شهد الحديبية أن رسول الله ﷺ قال : حُسْنُ الْمَلَكََةِ نَمَاءٌ وَسَوْءُ الْخَلْقِ شَوْمٌ وَالْبِرُّ زِيَادَةٌ فِي الْعَمْرِ وَالصَّدَقَةُ تَقِي مَيِّتَةَ السَّوِّءِ .

فالصدقة خير دافع للبلاء وأعظم مانع للسوء وهذا كله بإذن الله سبحانه وتعالى فهو المانع والنافع في الحقيقة وإنما الصدقة وغيرها أسباب لذلك فإذا كان البلاء والشر والسوء بقضاء الله وقدره فإن الصدقة تدفع ذلك بقضاء الله وقدره أيضا . هكذا أخبرنا النبي ﷺ وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والذي قضى وقدر البلاء هو الذي أخبرنا بأنه قضى وقدر أن الصدقة تدفع ذلك .

وكثرة الصدقة تجلب سعة الرزق وتقضى الحاجات وتكون سبب الفوز والنجاح والشفاء ونيل المأمول .

روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس تُوبوا إلى الله قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشَعَّلُوا وَصَلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ تُرْزَقُوا وَتُنصَرُوا وَتَجْبَرُوا (١) .

والمصدق يرغم بصدقته أنف الشيطان بل يغیظ بها سبعين شيطانا كلهم يحرصون على عدم أدائها ويزينون له ترك التصدق . فعن بُريدة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئاً مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيِي سَبْعِينَ شَيْطَاناً (٢) .

(١) رواه ابن ماجه [ترغيب] ومعنى تجبروا : نجب دعوتكم وتغنوا .

(٢) رواه أحمد والبخاري وابن خزيمة في صحيحه .

وفي رواية عن أبي ذر موقوفا عليه قال : ما خرّجت صدقةً حتّى يفكّ عنها
لَحْيًا سَبْعِينَ شَيْطَانًا كُلُّهُم يَنْهَى عَنْهَا^(١) . « ترغيب » .

وجاء أن الصدقة تكفر فتنة الرجل في أهله وولده ومناولة المسكين تقى
ميتة السوء . ولذلك كان حارثة قد ذهب بصره فاتخذ خيطا في مصلاه إلى باب
حجرته ووضع عنده إناءً فيه تمر فكان إذا جاءه المسكين فسلم أخذ من ذلك التمر
ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله وكان أهله يقولون : نحن نكفيك فيقول لهم
مناولة المسكين تقى ميتة السوء .

والصدقة يكتب ثوابها قبل أن تقع في يد المسكين ، ولا تزال تتضاعف
وتزيد إلى ما شاء الله وهذا معنى قوله إنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَصَدَّقَ فَأَنَّهَا تَقَعُ فِي يَدِ
الرَّحْمَنِ وَيُرَبِّئُهَا لَهُ حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ جَبَلٍ أُحُدٍ .

والصدقة تطفىء عن صاحبها حر القبر .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الصدقة لتطفىء عن
أهلها حرَّ القبورِ وإنما يستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامةِ في ظلِّ صدقته .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يدفع بالصدقة حر القبور وذلك قبل يوم
القيامة وهذا دليل على أن منفعة الصدقة تشمل العوالم الثلاثة : عالم الدنيا وعالم
الآخرة وعالم البرزخ .

والمتصدق موعود بالخير خيرا زائدا وبالفضل فضلا عائدا كما جاء في
الحديث القدسي يقول الحق سبحانه ﴿ يا عبدى أنفقْ أنفقْ عليك ﴾ متفق عليه .
أى إن تنفق ينفق أى يوسع عليك ويخلف عوض ماتنفقه . فعبر عنه بالانفاق على
سبيل المشاكلة .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يا ابنَ آدمَ إنَّك أن تَبْدُلَ الفَضْلَ خَيْرَ لكِ »

(١) رواه البيهقي .

وَأَنْ تُمْسِكَ شَرُّكَ وَلَا تَلَامُ عَلَى كِفَافٍ وَأَبْدًا بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى « رواه مسلم .

والمتصدق تتابع عليه النعم الإلهية فعيشه رغيد وعمره سعيد وحاله حميد . كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تَدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا . فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُو أَثَرَهُ . وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يَنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِمَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يَوْسَعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ (١) .

« الجنة » بضم الجيم : ما أجن المرء وستره والمراد به ههنا : الدرع . ومعنى الحديث : أن المنفق كلما أنفق طالت عليه ، وسبغت حتى تستر بنان رجليه ويديه ، والبخيل كلما أراد أن ينفق لزمت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تتسع ، شبه ﷺ نعم الله تعالى ورزقه بالجنة وفي رواية بالجبة فالمنفق كلما أنفق اتسعت عليه النعم وسبغت ، ووفرت حتى تستر سترًا كاملاً شاملاً والبخيل كلما أراد أن ينفق منعه الشح والحرص وخوف النقص فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده وأن يتسع عليه النعم ولا تستر منه ما يروم ستره .

والمتصدق محسود يتمنى كل عاقل أن يبلغ رتبته وأن يحوز درجته . وفي هذا يتنافس المتنافسون ويسارع المجدون . وهذا أمر محمود لانه في الخير قال ﷺ : لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَاتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا (٢) .

ومعناه : ينبغي أن لا يغبط أحد إلا على إحدى هاتين الخصلتين ومعنى قوله : سلطه على هلكته أى على إنفاقه .

وفي رواية (٣) « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ » .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواها أحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر .

وفي رواية : عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : رجل آتاه الله القرآن فهو يقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ورجل آتاه الله المال فهو ينفقُهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ .

وفي رواية^(١) : لا حسدَ إلا في اثنتين : رجلٍ علّمه الله القرآن فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ فسمعه جارٌ له فقال : ليتنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتيتَ فلانٌ فعملتُ مثلَ ما يعملُ . ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكُهُ في الحقِّ فقال رجلٌ : ليتنى أُوتيتُ مثلَ ما أُوتيتَ فلانٌ فعملتُ مثلَ ما يعملُ .

ومن فضائل الصدقة أنها إذا كانت على ذوى الرحم فإن أجرها مضاعف ، وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : الصدقةُ على المسكين صدقةٌ ، وعلى ذوى الرّحمِ ثنتانِ صدقةٌ وصلةٌ^(٢) .

وعن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال : إنَّ الصدقةَ على ذى قرابةٍ يُضعّفُ أجرها مرّتين^(٣) .

واطعام الطعام خير خصال الإسلام

ومن الصدقة إطعام الطعام ، وهو خير خصال الإسلام لما جاء في الحديث أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أيُّ الإسلام خيرٌ ؟ قال : تُطعمِ الطعامَ ، وتقرأَ السّلامَ على من عرفْتَ ومن لم تعرف^(٤) .

وهو من أرجى الأعمال المدخلة إلى الجنة ، يقول أبو هريرة رضى الله عنه : قلت يا رسول الله : إني إذا رأيتك طابت نفسى ، وقرت عيني ، أنبتنى عن كلِّ شيءٍ ، قال : كلُّ شيءٍ يُخلقُ من الماءِ فقلتُ : أخبرنى بشيءٍ إذا عملته دخلتُ

(١) رواها أحمد والبخارى من حديث ابى هريرة .

(٢) رواه النسائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، ولفظ ابن خزيمة قال : الصدقةُ للمسكين صدقةٌ ، وعلى القريب صدقتانِ ، صدقةٌ ، وصلةٌ .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير من طريق عبید الله بن زحر .

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

الجنة ، قال : أطعمِ الطعامَ ، وأفشِ السَّلامَ ، وصِلِ الأرحامَ وصلِّ بالليلِ والنَّاسُ نياماً تدخُلِ الجنةَ بسلامٍ (١) .

قال رسول الله ﷺ : عبدوا الرحمنَ ، وأطعموا الطعامَ وافشوا السَّلامَ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ (٢) .

وقال ﷺ : إن في الجنةِ عُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها . فقال أبو مالكٍ الأشعريُّ : لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ ؟ قال : لِمَنْ أطابَ الكلامَ ، وأطعمَ الطعامَ ، وباتَ قائماً والنَّاسُ نياماً (٣) .

وإطعامِ الطعامِ : من الكفَّاراتِ (٤) . ومن موجباتِ الرحمةِ (٥) . ومن موجباتِ المغفرةِ (٦) .

وإن الله تعالى ليدخلُ بلقمةِ الخبزِ ، وقبضةِ التمرِ ومثله مما ينفعُ المسكينَ ثلاثةَ الجنةَ : الأمرُ به ، والزَّوجةُ المصلحةُ ، والخدمُ الذي يُناولُ المسكينَ (٧) .

وأثما مؤمنٍ أطعمَ مؤمناً على جوعٍ أطعمه اللهُ يومَ القيامةِ من ثمارِ الجنةِ ، وأثما مؤمنٍ سقى مؤمناً على ظمأٍ سقاه اللهُ يومَ القيامةِ مِنَ الرَّحيقِ المخبُومِ ، وأثما مؤمنٍ كسأ مؤمناً على عُزْيٍ كساه اللهُ يومَ القيامةِ من حُللِ الجنةِ (٨) .

وإن الله تعالى يُباهي ملائكتَهُ بالذين يُطعمون الطعامَ من عبيدهِ (٩) .

والمطعمون لهم باب في الجنة لا يدخل منه سواهم ، فقد روى عن معاذ بن جبل رضی اللهُ عنه عن النبي ﷺ قال : من أطعم مؤمناً حتى يُشبعه من سَعْبٍ أدخله اللهُ باباً من أبوابِ الجنةِ لا يدخُله إلا من كان مثله (١٠) .

(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه واللفظ له . والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) رواه الترمذی . وقال حديث حسن صحيح .

(٣) رواه الطبرانی في الكبير باسناد حسن والحاكم . وقال صحيح على شرطهما .

(٤) حديث مرفوع رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٥) حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه .

(٦) حديث مرفوع رواه البيهقي متصلاً ومرسلاً .

(٧) حديث مرفوع رواه الطبرانی في الأوسط والحاكم .

(٨) حديث مرفوع رواه الترمذی وقال حديث غريب .

(٩) حديث مرفوع رواه أبو الشيخ في الثواب مرسلاً .

(١٠) رواه الطبرانی في الكبير .

والمطعمون تحت ظل العرش يوم القيامة ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ أَظَلَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَحْتَ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : الْوُضُوءُ فِي الْمَكَارِهِ ، وَالْمَشْيُ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ ، وَإِطْعَامُ الْجَائِعِ (١) .

وقد أخبرنا ﷺ عن قصة عابد من بنى إسرائيل إعتزل لعبادة الله ستين سنة ، ثم خرج يوماً من صومعته فلقىته امرأةً فراودته حتى قضى حاجته منها ، ثم ندم على ما فعل حتى أُغْمِيَ عليه ، وكان معه رغيان فجاء سائلٌ فأعطاه العابدُ الرغيقين ، ثم مات فَوَزِنَتْ عِبَادَةُ ستين سنةً بتلك الفاحشةِ ، فَرَجَحَتْ الفاحشةُ بحسناته ثم وُضِعَ الرغيفُ أو الرغيانِ مع حسناته فَرَجَحَتْ حسناته فغُفِرَ له (٢) .

وتنال المرأة أجر الصدقة إذا أنفقت من بيت زوجها من غير إسراف مما لا يخفى على زوجها عادة .

فقد قال ﷺ : إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا اكْتَسَبَ وَاللَّخَادِمِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجْرِ بَعْضٍ شَيْئاً (٣) .

وفي رواية : إِذَا تَصَدَّقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا كَانَ لَهَا أَجْرُهَا وَلِزَوْجِهَا مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ أَجْرِ صَاحِبِهِ شَيْئاً . لَهُ بِمَا كَسَبَ وَهِيَ بِمَا أَنْفَقَتْ (٤) .

ومن فضائل الإكرام والتصدق بالطعام والشراب أن الله تعالى يكرم المطعم لأجل من أطعمه ، ويشفعه فيه بعد أن يصير مستحقاً للنار .

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو القاسم الأصبهاني .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له . وأبو داود وابن ماجه والترمذى والنسائى وابن حبان في صحيحه .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

ويحدثنا صلى الله عليه وسلم عن هذه المنقبة في هذه القصة التي تمثل رجلاً عابداً وآخر مُسْرِفٍ على نفسه سَلَكَ صحراءَ فَعَطَشَ العابدُ حتى سَقَطَ ، فجعل صاحبه ينظر إليه ، وهو صرِيحٌ فقال : واللهِ إن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أُصِيبُ من الله خيراً أبداً ، ولكن سَقَيْتُهُ ماءً لأموتنَ فتوكَّلَ على الله وعزم فرشَّ عليه من مائه وسقاه فضله ، فقام فَفَطَعَ الْمَفَازَةَ فيوقف الذي به رهقٌ للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد ، فيقول يا فلان : أما تعرفنى فيقول : ومن أنت ؟ فيقول : أنا فلانُ الذي آثرتك على نفسى يومَ المفازة ، فيقول بلى أعرفك ، فيقول للملائكة : قِفُوا فيقفون فيجىءُ حتى يَقِفَ فيدعُو رَبَّهُ عز وجل ، فيقول ياربِّ : قَدْ عَرَفْتُ يَدَهُ عِنْدِي ، وكيف آثرنى على نَفْسِهِ . ياربِّ هَبْهُ لِي . فيقول هو لك فيجىءُ فيأخذُ بيدِ أخيه فيُدْخِلُهُ الجنةَ (١) .

قوله المفازة : أى الصحراء .

وفي رواية : عن ثابت البناني عن أنس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من أهل الجنة يُشْرِفُ يومَ القيامةِ على أهلِ النارِ ، فيناديه رجلٌ من أهلِ النارِ فيقول يا فلان : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا ، والله ما أعرفك مَنْ أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررتُ بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربةً من ماءٍ فسقيتك ؟ قال : قد عرفتُ قال : فاشفع لي بها عند ربك . قال : فيسألُ الله تعالى جلَّ ذكره ، فيقول إني أشرفتُ على النارِ فنادانى رجلٌ من أهلها ، فقال لى : هل تعرفنى ؟ قلتُ : لا ، والله ما أعرفك مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذى مررتُ بى فى الدنيا فاستسقيتنى شربةً من ماءٍ فسقيتك فاشفع لى عند ربك فشفعنى فيه فيشفعه الله فيأمرُ به فيخرجُ من النارِ (٢) .

قوله : يشرف يوم القيامة على أهل النار . أى يطلع

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) رواه ابن ماجه .

ومن فضائل إطعام الطعام وسقى الظمان أنه يغني عن كثير من الأعمال التي قد يعجز عنها الانسان لثقلها .

فقد جاء : أن رجلا أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال : أحببني بعمل يقرّبني من الجنة ، ويبيعدني من النار . فقال ﷺ : أو هما أعملتاك ؟ قال : نعم . قال : تقول العدل وتُعطي الفضل قال : والله لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة ، وما أستطيع أن أعطى الفضل . قال : فتطعم الطعام . وتفتش السلام قال : هذه أيضاً شديدة قال : فهل لك إبل ؟ قال : نعم . قال : فانظر إلى بعير من إبلك وسقاء ، ثم اعمد إلى أهل بيت لا يشربون الماء إلا غباً فاسقيهم فلعلك لا يهلك بعيرك ولا ينخرق سقاؤك حتى تجب لك الجنة . قال : فانطلق الأعرابي يكبر فما انخرق سقاؤه ، ولا هلك بعيره حتى قُتل شهيداً^(١) .

وفي رواية : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ رجل فقال : ما عمل إن عملت به دخلت الجنة . قال : أنت بيلد يُجلب له الماء ؟ قال : نعم قال : فاشتر بها سقاءً جديداً ، ثم اسق فيها حتى تحرقها فإنك لن تحرقها حتى تبلع بها عمل الجنة^(٢) .

بل إن الإنسان لينال الثواب العظيم والأجر الكريم إذا سقى بعير غيره .

فقد جاء في الحديث : أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أنزع في حوضي حتى إذا ملأته لإبلي ورد عليّ البعير لغيري فسقيت ، فهل في ذلك من أجر ؟ فقال رسول الله ﷺ : في كل ذات كبد أجر^(٣) .

وفي رواية أن سراقه بن جعشم قال يا رسول الله : الضالة ترد على حوضي فهل لي فيها من أجر إن سقيتها . قال : اسقيها فإن في كل ذات كبد حراً أجراً^(٤)

قوله : أنزع . أى أقاسى شدائد ملكه واتعب .

(١) رواه الطبراني والبيهقي وابن خزيمة في صحيحه مختصراً .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه وابن ماجه والبيهقي .

وقد شكر الله تعالى للرجل لما سقى الكلب ، وغفر له ، قال رسول الله ﷺ : بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني ، فنزل البئر فملاً خففه ماءً ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب ، فشكر الله له . فغفر له . قالوا يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر^(١) . وسقى الماء هو أعظم الصدقات أجراً^(٢) .

وهو باق جار ينفع الميت في قبره . قال ﷺ : سيع تجرى للعبيد بعد موتهم وهو في قبره : من علم علماً ، أو كرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته^(٣) .
وقد قال ﷺ لسعد . لما سأله عما يتصدق به عن أمه . فقال عليك بالماء^(٤) .

ويؤكد ﷺ فضل سقى الماء بحفر الآبار وتيسير إيصاله إلى من لا يستطيع ، والإعانة عليه بقوله : من حفر ماءً لم تشرب منه كبد حرى من جن ولا إنس ولا طائر إلا أجره الله يوم القيامة^(٥) .

ونفع الناس بالماء من أعظم سبل التداوى ومن أجل طرق دفع البلاء ، وإزالة الأسقام .

فعن علي بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك ، وسأله رجل : يا أبا عبد الرحمن : قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين ، وقد عالجت بأنواع العلاج ، وسألت الأطباء فلم أنتفع به ؟ قال : اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود وابن حبان في صحيحه .

(٢) حديث مرفوع رواه البيهقي .

(٣) رواه البزار وأبو نعيم في الحلية .

(٤) حديث مرفوع رواه الطبراني في الأوسط .

(٥) رواه البخارى في تاريخه وابن خزيمة في صحيحه .

الماء فاحفِرْ هناك بئراً فإني أرجو أن تتبعَ هناك عينٌ ، ويُمسكَ عنك الدَّمُ . ففعل الرجلُ فَبَرِيًّا^(١) .

« فضل القرض وإنظار المعسر »

ومن الشرف الذي أعده الله لهذه الأمة ما جعله الله سبحانه وتعالى من الفضل والثواب على القرض .

فمن ذلك أن القرض كعتق رقبة ، قال ﷺ : مَنْ مَنَحَ مَنِيحَةً لِبْنٍ أَوْ وَرِيْقٍ أَوْ هَدَى زُقَاقاً كَانَ لَهُ مِثْلُ عَتَقِ رَقِيَّةٍ^(٢) .

ومعنى قوله : منح منيحة ورق . إنما يعنى به قرض الدرهم ، وقوله : أو هدى زقاقاً : إنما يعنى به هداية الطريق ، وهو إرشاد السبيل ومنيحة اللبن : أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بلبنها ويعيدها ، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زماناً ثم يردها .

والقرض : صدقة^(٣) ، وقد أخبرنا ﷺ أنه رأى ليلة الإسراء والمعراج مكتوباً على باب الجنة : الصَّدَقَةُ بِعَشْرٍ أَمْثَالِهَا وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةِ عَشْرٍ^(٤) .

وذلك لأن الصدقة قد يأخذها الفقير وهو غير محتاج لها أما القرض فإنه لا يكون إلا مع الضرورة والحاجة . ولذلك كان أجر المقرض عظيماً ، لإزالة هذا العسر الطارىء . ولهذا كان يؤكد ﷺ فضل القرض بقوله : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّةً إِلَّا كَانَ كَصَدَقْتِهَا مَرَّتَيْنِ^(٥) .

والقرض تيسير على المعسر وتفريج لكربته وقضاءً لحاجته ، ونبينا ﷺ يقول : مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٦) .

(١) رواه البيهقي .

(٢) رواه أحمد والترمذي ، واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٣) هو حديث مرفوع رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي .

(٥) رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً .

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه .

ويقول : مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَيَّ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١) .

وفي رواية : مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُعْبَتَيْنِ مِنْ نُورٍ عَلَى الصِّرَاطِ يَسْتَضِيءُ بِضَوْئِهِمَا عَالَمٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا رَبُّ الْعَرْزَةِ (٢) .

ومعنى شعبتين : أى قطعتين من ضوء وهاج

وقد جاء في فضل إنظار المعسر أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ .

فمنها : أنه تحت ظل العرش يوم القيامة ، قال ﷺ : مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا ، أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظْلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ (٣) .

وفي رواية : مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ (٤) .

ومعنى وضع له : أى أبرأ ذمته وسامحه .

وفي رواية : عن أبى اليسر رضى الله عنه قال : أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَسَمِعْتَهُ يَقُولُ : إِنْ أَوَّلَ النَّاسِ يَسْتِظِلُّ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ أَنْظَرَ مُعْسِرًا حَتَّى يَجِدَ شَيْئًا أَوْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ بِمَا يَطْلُبُهُ يَقُولُ : مَا لِي عَلَيْكَ صَدَقَةٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ، وَيَخْرِقُ صَحِيفَتَهُ (٥) .

قوله : ويخرق صحيفته أى يقطع العهدة التى عليه .

ومنها : أنه تستجاب دعوته وتكشف كرتبه ، ولا يكتب عليه ذنب حتى يتوب ، ويقيه الله تعالى من فيح جهنم . وكان له كل يوم مثلي دينه صدقة . وهذا

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وهو غريب .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير بإسناد جيد .

كله جاء عن رسول الله ﷺ : فقد قال : مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ وَتُكْشَفَ كُرْبَتُهُ فَلْيَفْرُجْ عَنْ مَعْسِرٍ (١) .

وقال : مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً إِلَى مَيْسَرَتِهِ أَنْظَرَهُ اللَّهُ بِذُنْبِهِ إِلَى تَوْبَتِهِ (٢) .

وقال : من أنظر معسراً أو وضع له ، وقاه الله من فيج جهنم (٣) .

وفي رواية : دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو يقول : أَيُّكُمْ يَسْرُهُ أَنْ يَقِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فِيجِ جَهَنَّمَ ؟ قلنا : يا رسول الله كلنا يسره . قال : من أنظر معسراً أو وضع له وقاه الله عز وجل من فيج جهنم (٤) .

وقال : مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً فَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الدِّينُ . فإذا حلَّ الدِّينُ فَأَنْظَرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ (٥) .

وقد أخبرنا ﷺ عن رجل ممن كان قبلنا من المسرفين على أنفسهم تجاوز الله عنه وسامحه ، لأنه كان يسامح الناس ، ويتجاوز عن دينهم ، ويصبر عليهم ، فأكرمه الله سبحانه وتعالى ، وأدخله الجنة .

يقول ﷺ : إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَيْسَّرُ ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ قَالَ : لَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غَلَامٌ ، وَكَنتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ، فَإِذَا بَعِثْتُهُ يَتَقَاضَى قَلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيْسَّرُ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ (٦) . وفي رواية : أن الله سبحانه وتعالى يقول : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ تَجَاوَزُوا عَنْهُ (٧) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اصطناع المعروف .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط .

(٣) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف .

(٥) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

(٦) رواه البخاري ومسلم .

(٧) رواه مسلم .

« فضل العفة وشرف الإستغناء عن الناس »

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الفضل لمن صبر على حاله ، وكف نفسه عن الحرام ، وقنع باليسير من العطاء ، وتعفف عن سؤال الناس ، وأقبل على العمل مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من نزلت به فاقة فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللَّهِ فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بَرزِقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ (١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مَنْ جَاعَ أَوْ احتَاجَ فَكْتَمَهُ النَّاسَ وَأَفْضَى بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ قُوَّةَ سَنَةٍ مِنْ حَلَالٍ (٢) .

وقد أخبر ﷺ أن ما يأتى إلى الإنسان من غير شره وحرص فهو مبارك .
فمن عأشنة رضى الله عنها عن النبي ﷺ قال : إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلُوءَةٌ فَمَنْ أَعْطِيَاهَا مِنْهَا شَيْئًا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنَّا ، وَحُسْنِ طَعْمَةٍ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ شَرِّهِ نَفْسٍ بَوْرِكَ لَهُ فِيهِ . وَمَنْ أَعْطِيَاهَا مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ طَيْبِ نَفْسٍ مِنَّا وَحُسْنِ طَعْمَةٍ مِنْهُ وَشَرِّهِ نَفْسٍ كَانَ غَيْرَ مَبَارَكٍ لَهُ فِيهِ (٣) .

وفي رواية لمسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ ، فَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَمُبَارَكٌ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَعْطَيْتُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَشَرِّهِ نَفْسٍ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ .

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال حديث حسن صحيح ثابت ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد إلا أنه قال فيه : أرسل الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى آجل . ومعنى يوشك : يسرع .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه وروى أحمد والبخارى منه الشطر الأخير نحوه باسناد حسن . ومعنى [الشره] الحرص .

وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن المتعفف محبوب عند الله سبحانه وتعالى .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمنُ عبدٌ حتى يأمنَ جأزه بوائقه ، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكِرِمْ ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكُتْ ، إن الله يُحبُّ الغنيَّ الحليمَ المتعففَ . ويُغضُّ البذيَّ الفاجرَ السائلَ المُلِحَّ (١) .

قوله « بوائقه » مهلكاته وضرره . وقوله « البذي » قبيح اللسان وقوله « السائل » أى كثير السؤال .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عُرض عليَّ أوَّل ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ ، وأوَّل ثلاثةٍ يدخلون النارَ ، فأما أوَّل ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ فالشَّهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادة ربِّه ونصحَ لسيِّده وعفيفٌ متعففٌ ذو عيالٍ (٢) .

قوله : نصح لسيده ، أى أدى حقوق الله وحقوق سيده وحفظ ماله ورعى الأمانة . وقوله : ذو عيال . أى له أسرة ينفق عليها وأهل وأولاد ، وجد فى عمل وقبوع برزق الله له وجاء فى الادعية المأثورة : اللهم أسألك العفة والعنى . والمتعفف يده عُليا كما جاء فى الحديث : اليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى (٣) .

قال عبد الوارث : اليد العليا المتعففة .

والمتعفف المستغنى بالله القانع بما أعطاه مولاه يرضاه الله ويفتح له باب رحمته ويرزقه الله الغنى والسعادة ويملاً قلبه إيماناً وقناعة . قال صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَسْتَعِنْ يُعِينَهُ اللهُ ، وَمَنْ يَقْنَعْ يُقْنَعَهُ اللهُ (٤) .

(١) رواه البزار .

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

(٣) رواه مالك والبخارى .

(٤) رواه البزار .

وفي رواية : وَمَنْ اسْتَعْفَّ يُعْفَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ اللَّهُ أَحَدًا عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ (١) . قوله : من يتصبر . أي يعالج في الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا ، وقوله : يصبره الله . أي يرزقه الله الصبر وقال بعضهم : من يطلب العفة عن السؤال ولم يظهر الفقر يصيره الله عفيفا . ومن ترقى وأظهر الاستغناء عن الخلق ملأ الله قلبه غنى .

وقد بشر ﷺ القناع بالجنة فقال : طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقِنَعٌ (٢) . والكفاف من الرزق ما كفى عن السؤال مع القناعة .

« وطوبى » هي شجرة كبيرة في الجنة . وقيل : اسم من أسماء الجنة .

كما بشر ﷺ من قنع بالفلاح فقال : قد أفلح مَنْ أَسْلَمَ وَرَزِقَ كَفَافًا وَقِنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ (٣)

ولذلك لم تكن كثرة المال هي مقياس القناعة ، ولا قلته هي مقياس الفقر ، ومن هنا يقول أبو ذر رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ يا أبا ذر : أترى كثرة المال هو الغنى ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : أفترى قلة المال هو الفقر ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب (٤) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (٥) .

ويجبرنا ﷺ أن عز المؤمن هو استغناؤه عن الناس (٦) ، وقد استعاذ ﷺ

(١) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .

(٣) رواه مسلم والترمذى .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٥) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٦) رواه الطبرانى في الأوسط بسند حسن .

من النفس التي لا تشبع^(١) ، وأخبرنا أن مَنْ أصبح آمناً في سِرِّهِ مُعافى في بدنه فكأنما حيزت له الدنيا بِحَدَافِيرِهَا . أى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها .

أما ما يأتي من غير سؤال فهو خير وبركة ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر بن الخطاب : فَأَمَّا ما كان عن غيرِ مسألةٍ فإلما هو رِزْقٌ يَرزُقُكَ اللهُ^(٢) .

وقال لعائشة : يا عائشة مَنْ أعطاكِ عطاءً من غير مسألةٍ فاقبلِيه ، فألما هو رِزْقٌ عَرَضَهُ اللهُ إِلَيْكَ^(٣) .

وقال لخالد بن على الجهنى في هذا الباب : فإلما هو رِزْقٌ سَأَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْكَ^(٤) .

ولا يظن الآخذ المحتاج المستحق بأنه مذموم مطرود أو ناقص . فقد بشره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله : ما المُعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلٍ مِنَ الْإِخْذِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجاً^(٥) .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما الذى يُعْطَى بِسَعَةٍ بِأَعْظَمِ أَجْراً مِنَ الذى يَقْبَلُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجاً^(٦) .

أى ليس المتصدق من مال وفير وخيرات كثيرة أفضل عند الله من الفقير الذى يقبل الصدقة لله معتمداً على مولاه حامداً وشاكراً لله فان الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره وأراد للثانى الفقر ليختبره سبحانه ، فعله للحكمة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ ٢٨ ﴿ وَهُوَ الذى يُنزِّلُ العَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ ﴾ ٢٩ من سورة الشورى .

(١) كما جاء في الحديث . اللهم أنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها . رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه مالك .

(٣) رواه أحمد والبيهقى .

(٤) رواه أحمد باسناد صحيح .

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وابن حبان فى الضعفاء .

« شرف الأمانة والوفاء بالوعد »

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب والفضل لمن أنجز الوعد والأمانة .

فمن ذلك أنه مضمون له الجنة ، كما جاء في الحديث الذي رواه عبادة ابن الصامت عن رسول الله ﷺ : إِضْمِنُوا لِي أَضْمِنُ لَكُمْ الْجَنَّةَ : اُصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا أَتَيْتُمْ^(١) ، الحديث .

ومما يدل على شرف الأمانة وفضلها والوفاء بالوعد ما جاء من التحذير الشديد عن الخيانة وخلف الوعد كقوله ﷺ : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ^(٢) .

وفي رواية عن علي من حديث طويل : إنه لَا دِينَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا صَلَاةَ لَهُ وَلَا زَكَاةَ لَهُ^(٣) .

وكقوله ﷺ : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اتَّخَذَ حَنَانًا^(٤) .

ورواه ابو يعلى من حديث أنس أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَقَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ ، الْحَدِيثَ .

وكقوله ﷺ : إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءً فَقِيلَ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ^(٥) .

(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي .

(٢) رواه الطبراني عن ابن عمر .

(٣) رواه البزار .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٥) رواه مسلم وغيره .

فضل إصطناع المعروف إلى المسلمين وقضاء حوائج الملهوفين

ومن شرف هذه الأمة ما جعله الله تعالى لها من الفضائل العظيمة والمزايا الكريمة لمن صنع المعروف ، وأغاث الملهوفين ، وسعى في قضاء حوائج الخلق ، ومنفعة إخوانه ، واجتهد في تفریح كرباتهم ، وستر عيوبهم ، والشفاعة لهم ، وإدخال السرور عليهم ، وإجابة دعوتهم ، وعيادة مريضهم والذب عن أعراضهم ، ونصر مظلومهم ، ورحمة ضعيفهم ، وإقالة عثرتهم والسعى في الإصلاح بينهم .

وكل هذه المعاني مؤيدة بالأحاديث النبوية والأثار السننية الواردة عن كبار الصحابة والتابعين رضی الله تعالى عنهم أجمعين .

وقد جمع في ذلك الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى أربعين حديثاً نذكر بعضها مع بيان بعض معانيها ، ونزيد عليها بعض ما ظفرنا به .

فمن ذلك أن الساعي في نفع المسلمين هو أحب الخلق إلى الله لما جاء في الأحاديث .

(١) عن أنس رضی الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْحَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ »^(١)

ومعنى عيال الله فقراء الله . فالخلق كلهم فقراء الله وهو الذى يعولهم ، ويشهد لهذا الحديث ما جاء في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضی الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

(٢) ومن ذلك — أنه من الآمنين من عذاب الله يوم القيامة .

لما جاء في الحديث عن ابن عمر — رضی الله عنهما — مرفوعاً : « إِنَّ لِلَّهِ

(١) رواه البزار والطبراني في معجمه .

عَزَّ وَجَلَّ خَلَقًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْرَعُ إِلَيْهِمُ النَّاسُ فِي حَوَائِجِهِمْ أَوْلَكَ
الْآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى « (١) .

(٣) ومن ذلك — أنه يوضع له منبر من نور يوم القيامة .

كما روى في الحديث عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني عن أبيه
عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ أَلَى « أَى حَلَفَ » عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا
يُعَذِّبُهُمْ بِالنَّارِ . فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وُضِعَتْ لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يُحَدِّثُونَ اللَّهَ تَعَالَى
وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ « (٢) .

وفي رواية أن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلَّهِ مِنْ خَلْقِهِ وَجُوهًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ
النَّاسِ يَرْغَبُونَ فِي الْأَجْرَةِ ، وَيَعُدُّونَ الْجُودَ مَتَجَرًّا وَاللَّهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

ومن ذلك — أن المصطفى ﷺ يقف عند ميزانه فإن رجح وإلا شفع له (٣)

ومن ذلك — أن الله يغفر له ذنبه ، ويكتب له براءتين ، براءة من النفاق ،
وبراءة من النار (٤) .

ومن ذلك — أن الله يعينه على إجازة الصراط يوم دحض الأقدام كما جاء في
الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ كَانَ وَصْلَةً لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فِي مَنْفَعَةٍ بَرٌّ أَوْ تَيْسِيرٍ
عُسْرٍ أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى إِجَازَةِ الصَّرَاطِ يَوْمَ دَحْضِ الْأَقْدَامِ » .

ومن ذلك — أن من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة ،

(١) رواد الطبراني ، وهو حديث حسن .

(٢) رواد ابن حبان في غير صحيحه .

(٣) رواد أبو نعيم في الحلية .

(٤) رواد المنذرى في الأربعين .

واحدة منها يصلح الله بها آخرته ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة^(١)

وفي رواية : كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة .

ومن ذلك — « أن من فرَّج عن مؤمن كُرْبَةً جعل الله له شُعْلَتَيْنِ مِنْ نَوْرِ يَسْتَضِيءُ بِهِمَا عَالَمٌ لَا يُحْصِيهِ إِلَّا رَبُّ الْعِزَّةِ »^(٢)

ومن ذلك — أن من فرج عن مؤمن كربة فرج الله له كربة من كرب يوم

القيامة .

كما جاء في الحديث عن مسلمة بن مخلد رضى الله عنه قال : قال رسول الله

ﷺ :

« من سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ فَكَّ عَنْ مَكْرُوبٍ كُرْبَةً فَكَّ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ »^(٣)

ومن ذلك — أن الله يباعد بينه وبين النار سبع خنادق .

ومن ذلك — أنه يكون له من الأجر كمن خدم الله عمره .

ومن ذلك — أنه يكون له ثواب المجاهدين في سبيل الله ، وأن له بكل خطوة

يخطوها سبعين حسنة ، وكفر عنه سبعين سيئة ، فإن قُضِيَتْ حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب .

ومن ذلك أنه يُظَلُّهُ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَدْعُونَ لَهُ وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ .

ومن ذلك — أن إدخال السرور على المسلم من موجبات المغفرة وهو من

أفضل الأعمال وأن الله يستره يوم القيامة ولا يرضى له ثواباً دون الجنة .

ومن ذلك — أن فعل المعروف هو أفضل الصدقات .

(١) رواه أبو يعلى والبخاري والبيهقي في تاريخه وبشواهد في الباب يصير صالحاً .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) رواه الطبراني ، وروى مسلم معناه .

كما جاء في الحديث عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

[أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا صَدَقَةُ اللِّسَانِ ؟ قَالَ : الشَّفَاعَةُ تُفَكُّ بِهَا الْأَسِيرَ وَتُحَقِّنُ بِهَا الدَّمَ وَتَجْرُ بِهَا الْمَعْرُوفَ إِلَى أَخِيكَ وَتُدْفَعُ عَنْهُ كَرِيهَتَهُ (١)] .

ويشهد لهذا الحديث ما جاء في اصطناع المعروف للخرائطى عن سمرة ابن جندب مرفوعاً :

مَا مِنْ صَدَقَةٍ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ اللِّسَانِ ، قَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الشَّفَاعَةُ تُحَقِّنُ بِهَا الدَّمَ وَتَجْرُ بِهَا الْمَعْرُوفَ إِلَى آخَرَ وَتُدْفَعُ بِهَا الْمَكْرُوهَ عَنْ آخَرَ .

ومن ذلك — أن من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة (٢) .

ومن ذلك — أن أهل المعروف هم مفاتيح الخير فطوبى لهم وحسن مآب جاء في الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

[قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا اللَّهُ قَدَّرْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ فطُوبَى لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلْتُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ (٣)] .

[قَالَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً :

[إِنَّ هَذَا الْخَيْرَ خَزَائِنٌ . لِئَلَّا تَلْبَسَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ مِعْلَاقاً لِلشَّرِّ ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِعْلَاقاً لِلْخَيْرِ مِفْتَاحاً لِلشَّرِّ] .

(١) رواه الطبراني في المعجم .

(٢) رواه ابن حبان والطبراني وأبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه الطبراني .

ومن ذلك أن صنائع المعروف تحفظ العبد من الآفات والعوارض وتدفع عنه الشر والبلاء .

جاء في الحديث عن معاوية بن حيدة عن رسول الله ﷺ قال : [إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ . وَإِنْ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَتُنْفِي الْفَقْرَ وَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كَنْوَزِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ أَدْنَاهَا الْهَمُّ (١) .

ومن ذلك — أن إصلاح ذات البين أفضل من نوافل الصيام والصلاة والصدقة (٢) .

ومن ذلك — أن الله سبحانه وتعالى ينشر له يوم القيامة ذكراً على رؤوس الأشهاد يشهده الخاص والعام .

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَا يَقُومُ الْيَوْمَ أَحَدٌ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ يَدٌ ، فَتَقُولُ الْخَلَائِقُ سُبْحَانَكَ بَلْ لَكَ الْيَدُ ، فَيَقُولُ ذَلِكَ مَرَّاراً ، فَيَقُولُ : بَلَى مَنْ عَفَا فِي الدُّنْيَا بَعْدَ قُدْرَةٍ » (٣) .

وجاء في مكارم الأخلاق للطبراني عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « إِذَا وَقَفَ الْعَبْدُ لِلْحِسَابِ يَنَادِي مُنَادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ فَيُقَالُ وَمَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ؟ فَيَقُولُ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » . فهذه الأحاديث منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو حسن ، ومنها ما هو دون ذلك ، وبعضها يجبر بعضاً وهي كلها تدل على فضل المعروف والإحسان ، وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى تركناها واقتصرنا على هذه ، وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم .

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) رواه أبو داود والترمذي ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

فضل مكافأة صاحب المعروف والإحسان

الإسلام دين الوفاء

ومن فضائل هذه الأمة أن الإسلام يغرس في قلوب أبنائه الوفاء وحفظ الجميل ومعرفة لأصحابه ، وذلك بشكرهم والدعاء لهم ، والإقرار بالإعتراف بفضلهم .

وقد أمرنا بذلك ﷺ فقال : مَنْ أتى إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه « (١) .

وفي رواية : « مَنْ اصطنع إليكم معروفاً فجازوه ، فإن عجزتم عن مُجازته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فإن الله شاكرٌ يُحبُّ الشاكرين » (٢) .

وفي رواية : « من أعطى عطاءً فوجدَ فليجزِ به ، فإن لم يجدْ فليُتِن ، فإن من أتنى فقد شكَّر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يعطَ كان كلابسِ ثوبَي زُورٍ » (٣) .

وفي رواية : « من أولي معروفاً ، أو أسدى إليه معروفٌ ، فقال : للذي أسداه : جزاك الله خيراً ، فقد أبلغَ في الثناءِ » .

وفي رواية : « إذا قال الرجل جزاك الله خيراً ، فقد أبلغَ في الثناءِ » (٤) .

والشاكر للمعروف المثني على أهله خيراً ، هو أشكر الناس لله تبارك وتعالى :

قال رسول الله ﷺ : « إن أشكَّرَ الناسِ لله تبارك وتعالى أشكُرُهُم للناسِ » .

وفي رواية : لا يشكُرُ الله من لا يشكُرُ الناسَ « (٥) .

(١) رواه ابو داود والنسائي .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب . وأبو داود .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

(٤) رواه الطبراني في الصغير .

(٥) رواه أحمد والطبراني .

ويقابله الجاحد الذى لا يثمر فيه الخير ولا يعرف الفضل لأهله ، فهو أيضاً جاحد نعمة الله تعالى .

فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكرٌ وترْكُها كفرٌ ، والجماعة رحمةٌ ، والفرقة عذابٌ «(١) .

والدعاء كاف في تحقيق الثناء ، فقد جاء في الحديث ، عن أنس رضى الله عنه قال قال المهاجرون : يا رسول الله ذهب الأنصارُ بالأجر كله ما رأينا قوماً أحسنَ بديلاً لكثيرٍ ولا أحسنَ مواساةً في قليلٍ منهم ، لقد كفونا المؤنة . قال : ليس تُثنون عليهم به وتدعون لهم ؟ قالوا : بلى قال : فذاك وذاك «(٢) .

شرف الصائمين من هذه الأمة

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التى يختص بها الصائم من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

اختص الله الصائمين بباب في الجنة يدخلون منه يوم القيامة إظهاراً لشرفهم وفضلهم ينادى مناد على رؤوس الأشهاد أين الصائمون فيراهم القاصى والدانى وتمتد إليهم الأبصار وتشرئب الأعناق ويتمنى متمن أن لو كان معهم وفي ركبهم الميمون ويتحسر متحسر على ما فاته في الدنيا من فرصة العمل والجد وما ضاع عليه من أوقات ثمينة وساعات عديدة ، يُصَوِّرُ ﷺ هذا المشهد فيقول : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ »(٣) .

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده باسناد لا بأس به . ورواه ابن أبى الدنيا في كتاب اصطناع المعروف .

(٢) رواه أبو داود والنسائى واللفظ له .

(٣) أخرجه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد .

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضاً بأن جعل صومهم لهم حصناً حصيناً من النار وسترا يقى صاحبه مما يؤذيه من الشهوات يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الصَّيَامُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ مِنَ النَّارِ » (١) .

ثم بين لنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة هذا الصوم الذى يحفظ صاحبه من النار فيقول « الصَّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ مَا لَمْ يَخْرُقْهَا بِكَذِبٍ أَوْ غِيْبَةٍ » (٢) .

وكانه يقول : « إن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصى قولاً وفعلاً . ولذلك حث الصائم أن يلتزم مسلك الفضيلة ويتعد عن دواعى الرذيلة حتى يتحقق بالصيام الذى هو جنة فيقول : « الصَّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلَا يَجْهَلُ يَوْمِيذٍ وَإِنْ أَمُرُّوْهُ جَهَلَ عَلَيْهِ فَلَا يَشْتُمُهُ وَلَا يَسْبُهُ وَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ » (٣) . واختص الله الصائم أيضاً بأن جعل تغير فمه أطيب من ريح المسك فقال : **وَلَخُلُوفٌ فِيْمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيْحِ الْمِسْكِ** . والخلوف تغير الفم من الصوم .

واختص الله الصائم بأن جعل له فى صيامه فرحتين فإذا أفطر فرح وإذا لقي الله فرح وفرحه بفطره تعبير صادق عن شكره التام لربه الذى وفقه لإتمام صوم ذلك اليوم ومكنه بواسطة تمام صحته وقوته فأدى عبادة يومه كاملة غير ناقصة فهو فى فرحه هذا فى عبادة لأن الشكر عبادة وذكر وفرحه بلقاء الله اطمئنان بوعد الله ويقين جازم بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثواب عليه يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك « وَإِنَّ لِلصَّائِمِ فَرَحَتَيْنِ . إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ » (٤) .

(١) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب .

(٢) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه النسائى .

(٤) رواه مسلم فى الصحيح .

واختص الله الصائم بأن جعل له في صومه الصحة والشفاء من كثير من الأمراض ففي الحديث « صُومُوا تَصِحُّوا » (١) .

وأخرج البيهقي عن علي كرم الله وجهه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ أَخْبِرَ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَصُومُ يَوْمًا ابْتِغَاءً وَجْهِي إِلَّا أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » وسر ذلك أن للصوم تأثيراً عجبياً في حفظ الأعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحماتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة وذلك من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

واختص الله الصائم بإبعاد وجهه عن النار فلا ترى عينه أي مشهد من مشاهد النار . يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَدَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » (٢) .

وفي رواية النسائي عن عقبة بن عامر « بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ » .

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائم ما ورد في القرآن من فضائلهم التي قال كثير من العلماء في كثير منها : إن المراد بها الصائمون . منها قوله تعالى ﴿ السَّائِحُونَ ﴾ فسر بالصائمين لأنهم ساحوا إلى الله عز وجل أى وصلوا إليه بسبب خروجهم عن مألوفاتهم ومقاساتهم عناء الجوع والعطش .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قيل الصابرون هم الصائمون لأن الصبر إسم من أسماء الصوم فحينئذ يفرغ للصائم من خزائن الفضل والجود والكرم ما لا يحصيه الحساب ولا يقدره إلا رب الأرباب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا

(١) رواه ابن السنن وأبو نعيم .

(٢) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن أنى سعيد الخدرى وعند ابن ماجه عن أنى هريرة . وفي رواية النسائي عن عقبة بن عامر باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام .

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ قِيلَ عَلَيْهِمُ الَّذِي جُوزُوا عَلَيْهِ بِمَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ هُوَ الصَّوْمُ .

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حاله كله عبادة وطاعة فهو إن صمت عن فضول الكلام في طاعة وإن نام ليتقوى على القيام في طاعة أيضاً روى عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « صَمْتُ الصَّائِمِ تَسْبِيحٌ وَنَوْمُهُ عِبَادَةٌ وَدُعَاؤُهُ مُسْتَجَابٌ وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ » (١) . ففى فطوره له فرحة الشكر وهى عبادة وله فى ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت فى الحديث « لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ » (٢) .

ولا يخلو أن يدخل فى ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار فى تلك الساعة كما ثبت فى الحديث « أَنْ لَلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِى كُلِّ لَيْلَةٍ » (٣) ، وسحوره بركة كما ثبت ذلك فى الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة .

واختص الله الصائم بأن جعل لمن فطره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه . وفى سبيل إكرام الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لقمة خبز أو شربة ماء .

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فِى رَمَضَانَ مِنْ كَسْبٍ حَلَالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ لَيْلَالِي رَمَضَانَ كُلُّهَا وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ تَكَثَّرَ دُمُوعُهُ وَبَرِقَ قَلْبُهُ فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ فَلَقَمَةُ خُبْزٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَقَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ فَمَدَقَّةٌ مِنْ لَبَنٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ » (٤) .

(١) رواه الديلمى عن ابن عمر . وأخرجه ابن منده وسنده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسى والبيهقى .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبرانى والبيهقى .

(٤) أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان فى الضعفاء .

واختص الله الصائم بأنه إذا أكل وعنده جماعة مفطرون وهو يشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلا حرمة الصيام فإنه تصلى عليه الملائكة .
 ففي الحديث « أن الصائم إذا أكل عنده لم تزل تُصلى عليه الملائكة حتى يُفرغ من طعامه » (١) .

وفضائل الصوم مطلقاً كثيرة .

فمنها أن الله تعالى أضاف ثوابه إليه دون سائر العبادات فقال : « الصومُ لى وأنا أجزي به » (٢) .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف إعلاناً بأن ثوابه وصل غاية تقصر العقول عن إدراكها وأيضاً لأنه لم يتقرب إلى الله عز وجل بالصوم لذاته . وصوم أصحاب الهياكل والإستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بنفسها . فصومهم فى الحقيقة لربها وأيضاً لأن فى الصوم إشارة إلى سر صمديته تعالى دون سائر العبادات وأيضاً لأن الإستغناء عن الطعام وسائر الشهوات من صفاته تعالى والصوم فيه نوع يوافقها فلذلك أضافه تعالى إليه ومن ثم قال القرطبي : معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصوم فإنه مناسب لصفة من صفات الحق فكأنه تعالى يقول : ﴿ إن الصوم يتقرب إلىى بأمر هو من صفاتى ﴾ .

وأيضاً فإن الصوم فيه ترك جميع حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التى جبلت على الميل إليها لله تعالى ولا يوجد ذلك فى عبادة أخرى ألا ترى أن الإحرام بالحج أو العمرة وإن حرم معه كثير من المباحات كالطيب والنساء والصيد واللباس إلا أنه لا يحرم معه الأكل والشرب الذى به قوام الحياة . وهذا وإن كان حرم فى الصلاة إلا أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق .

(١) أخرج أحمد والترمذى .

(٢) وهو حديث صحيح ثابت .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين — أن صيامهم يشفع لهم يوم القيامة .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الصَّيَّامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . يَقُولُ الصَّيَّامُ : أَيْ رَبِّ ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ . قَالَ : فَيُشَفِّعَانِ » (١) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين — أن صومهم تطوعاً يعدل ملء الأرض ذهباً .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا ثُمَّ أُعْطِيَ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يَسْتَوْفِ ثَوَابَهُ دُونَ يَوْمِ الْحِسَابِ » (٢) .
ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين — أن الله قضى على نفسه أن من أعطش نفسه له في يوم شديد الحر كان حقاً عليه تعالى أن يرويه يوم عطش الناس يوم القيامة .

فقد جاء « أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية في البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً . قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف سقاه الله يوم العطش » (٣) .

وفي رواية « أن الله تعالى قضى على نفسه أنه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقاً على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة » (٤) . قال الراوى : وكان أبو موسى

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله صحيح بهم في الصحيح ورواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال :

صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن من حديث ابن عباس .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا .

يتوحي اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرّاً فيصومه .

وأخبر النبي ﷺ أن الصوم زكاة الجسد .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ وَالصَّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ » (١) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين — أن الصيام فى رمضان سبب لغفران الذنوب .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٢) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين أن الله تعالى اختصهم فى رمضان بخمس خصال لم يُعْطِهم الأمم السابقين . فقد جاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ : حَلُوفٌ فَمِنَ الصَّائِمِ أَطِيبٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَتَسْتَعْفَرُ لَهُمُ الْحَيَاتَانُ حَتَّى يُفْطَرُوا ، وَيُزَيَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ثُمَّ يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمْ الْمُؤْتَةَ وَيَصِيرُوا إِلَيْكَ ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَّةُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ ، قِيلَ : يَارَسُولَ اللَّهِ : أَمَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ ؟ قَالَ : لَا وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِذَا يُوفَى أَجْرُهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ » (٣) .

ومن الشرف الذى اختص الله به الصائمين . أنه جعل لهم صيامهم رمضان كفارةً لذنوبهم .

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه مختصرا .

(٣) رواه أحمد والبخارى والبيهقى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرَ » رواه مسلم .

شرف الحجاج من هذه الأمة

فضائل الحجاج وشرفه :

ومن الشرف الذى ادخره الله تعالى لهذه الأمة ، تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التى يختص بها الحجاج من أفراد هذه الأمة وقد جمعت من تلك المناقب جملة صالحة وسنذكر أهمها مع الدليل :

الأول : أن الحجاج حجه يهدم ما قبله . عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : «لَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي ، أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ : أَسْطُ يَدُكَ فَلَأُبَايِعُكَ ، قَالَ : فَبَسَطَ فَسَقَطَتْ يَدِي فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَمْرُو . قُلْتُ : اسْتَرِطُ قَالَ : تَشْتَرِطُ مَاذَا ؟ أَنْ يُغْفِرَ لِي قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ وَالْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ» (١) .

الثانى : أن الحجاج مجاهد : وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْحُجِّ وَالْعُمْرَةِ » (٢) .

وعن عثمان بن سليمان عن جدته أم أبيه قالت : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَالَ : حُجَّ الْبَيْتَ » (٣) .

وعن عمر أنه قال : إِذَا وَضَعْتَ السُّرُوجَ فَشَدُّوا الرِّجَالَ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهَا أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ » (٤) .

(١) رواه مسلم .

(٢) أخرجه النسائي .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور .

(٤) أخرجه أبو ذر .

الثالث : أن الحاج من وفد الله .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله : « وَفَدَّ اللَّهُ ثَلَاثَةَ :
الغازي ، والحاج ، والمُعْتَمِر » (١) .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفَدَّ اللَّهُ إِنْ
سَأَلُوا أُعْطُوا وَإِنْ دَعَوْا أُجِيبُوا وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلِيفَ عَلَيْهِمْ وَالَّذِي نَفَسُ أَبِي الْقَاسِمِ
بِيَدِهِ : مَا أَهْلٌ مُهْلٌ وَلَا كَبْرٌ مُكَبَّرٌ عَلَى شَرَفٍ مِنَ الْأَشْرَافِ إِلَّا هَلَلٌ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَكَبْرٌ بِتَكْبِيرِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ مَبْلَعُ التَّرَابِ . » (٢) .

الرابع : أن الحاج مجاب الدعوة .

تقدم في الفصل آنفاً طرف منه .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « حَمَسُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ :
دَعْوَةُ الْحَاجِّ حَتَّى يَصْدُرَ ، وَدَعْوَةُ الْغَازِي حَتَّى يَرْجِعَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ حَتَّى يُنصَرَ ،
ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوة الأخ لأخيه بالغيب ، أسرع هؤلاء إجابةً دعوة الأخ
لأخيه بالغيب » حديث صحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس ولذلك
كان من السنة أن يطلب من الحاج الدعاء وهذه السنة المطلوبة فعلها ﷺ مع عُمر
فإنه لما استأذن في العُمرَة فأذن له . قال له : « لَا تُنْسِنَا مِنْ دَعَائِكَ ، أَوْ أَشْرِكْنَا فِي
دُعَائِكَ » (٣) .

الخامس : ان الحاج نفقته في سبيل الله .

(١) أخرجه النسائي .

وأخرجه ابن حبان في التقاسيم والأنواع ، بتقديم بعض اللفظ وزاد في بعض طرقه . دعاهم فأجابوا ،
رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد : فسألوه فاعطاهم وذكره ابن الحاج
في منسكه .

(٢) أخرجه تمام الرازي في فوائده . وأخرجه ابن الجوزي في كتاب « منير الغرام الساكن » من حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقال في اخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

(٣) رواه أبو ذر المهروزي .

وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف » (١) .

السادس : أن الحاج درهمه بأربعين ألف ألف .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا خرج الحاج من بيته كان في حِرز الله فإن مات قبل أن يقضى نُسكَه وقع أجره على الله ، وإن بقي حتى قضى نسكَه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه » (٢) .

السابع : أن الحاج نفقته مخلوفة .

ثبت في الحديث : « الحجاج والعمار وقد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجيبوا وإن أنفقوا أُخلف عليهم » (٣) .

وفي رواية : أن الله تعالى يقول لملائكته : ﴿ وَأَخْلِفُوا لَهُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾

الثامن : عن أبي أمامة ووائلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله ﷺ : « أربعة حق على الله عز وجل عونهم : الغازي والمتزوج والمكاتب ، والحاج » .

التاسع : عن أبي موسى الأشعري قال : « الحاج يشفع في أربعمائة من أهل بيته » (٤) .

وفي رواية المنذرى : « من جاء حاجاً يريد وجه الله غفر له وشفع فيمن دعا له » .

العاشر : أن الحاج مغفور له .

عن جابر مرفوعاً : « ما من مُحْرِمٍ يُضْحِيَّ لَهِ يُلْبِيَّ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ إِلَّا غَابَتْ بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (٥) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما .

(٢) ذكره في القرى .

(٣) أخرجه تمام الرازي .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مسنده .

(٥) رواه ابن ماجه .

وفي الحديث عن جابر : « إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ : أَنْظِرُوا إِلَى عِبَادِي شِعْثًا غُبْرًا ، إِشْهَدُوا أَنِّي غَفَرْتُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبِّ فَلَانِ يُرْهَقُ — يَعْنِي يَأْتِي الْمَحَارِمَ — قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » (١) .

وهذه المغفرة العامة حتى للتبوعات ، فقد روى العباس بن مرداس : أن النبي ﷺ دعا لأمنته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : إنني غفرتُ لهم ما خلا الظالم فأتى آخذ للمظلوم منه ، قال : أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الخير ، وغفرت للظالم فلم يُجب ، فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب إلى ما سأل ، قال : فضحك رسول الله ﷺ أو قال : تبسم ، فقال له أبو بكر وعمر : بأبي أنت وأمي يارسول الله : إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها ، فما الذي أضحك أضحك الله سنك قال : ان عدو الله إبليس لما علم أن الله عز وجل قد استجاب دعائي وغفر أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه » (٢) .

قلت : ولكن لا بد من تقييد هذا الكلام بأن المراد بذلك هو من نوى على أداء الحقوق لأربابها ولكنه عاجز عن ذلك الوقت فهذا تشمله الرحمة الألهية بإذن الله وفضله . أما الظالم إذا تمكن من الأداء ولم يؤد أو إذا كان عاجزاً لكنه مصمم على عدم الأداء فالظاهر أنه لا تشمله الرحمة .

الحادى عشر : أن الحاج يغفر لمن يستغفر له .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج » (٣) .

(١) أخرجه في شرح السنة البغوى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه البيهقى وصححه الحاكم .

وعن مجاهد قال : قال عمر رضى الله عنه : يُغْفَرُ لِلْحَاجِّ وَلَمَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ
الْحَاجُّ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَالْحَرَمِ وَصَفَرَ وَعَشْرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ «(١)» .
ولذلك كان ابن عمر يقول : إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومرة أن
يُستغفر لك قبل أن يدخل بيته «(٢)» .

فكانوا يُحبّون أن يدخلوا في هذه الخصوصية .

الثاني عشر : أن الحاج يباهى الله به الملائكة .

عن أنى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : « إن الله يباهى بأهل عرفات ملائكة
السماء »(٣) .

الثالث عشر : أن الحاج من أهل الجنة .

الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَبُرِّ الْحَجِّ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ
السَّلَامِ — فى رواية أحمد — والمعنى : أنه لا يُقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب
بل لا بد أن يبلغ به الجنة .

ولا غرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التى إمتاز بها الحاج فى أن يحرص المسلم كل
الحرص وتشتد رغبته ويعظم طلبه ويجتهد فى حضور هذه المشاهد وإدراك هذه
الخصائص ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قضاوا فرضهم وأكثروا من التطوع بهذا
النسك الشريف . قال بعضهم : رأيت فى الطواف كهلاً وقد أجهده العباداة وبيده
عصا وهو يطوف معتمداً عليها فقال لى : فى كم تقطعون هذا الطريق ؟ قلت : فى
شهرين فقال : فهل تحجون كل عام ؟ فسكت فسألته : ومم بينكم وبين هذا
البيت ؟ قال : مسيرة خمس سنين ، فقلت والله هذا هو الفضل المبين والمحبة
الصادقة ، فضحك وأنشأ يقول :

(١) رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه وذكر هذا الحضراوى فى العقد الثمين ٣١ .

(٢) رواه أحمد فى مسنده .

(٣) رواه ابن حبان وأحمد .

زر من هويت وإن شطت بك الدار
و حال من دونه حجب وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته
إن المحب لمن يهواه زوار

وعن شقيق البلخي رحمه الله قال : رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض ، فقلت له : من أين أقبلت قال : من سمرقند ، قلت وم كم لك في الطريق فذكر أعواماً تزيد على العشرة فرفعت طرفي أنظر إليه متعجباً ، فقال : يا شقيق مالك تنظر إليّ متعجباً ؟ فقلت : أتعجب من ضعف مهجتك وبعد سفرك ، فقال : يا شقيق ، أما بعد سفرى فالشوق يقويه وأما ضعف مهجتي فمولأها يحملها . يا شقيق ، أتعجب من عبد يحمله المولى اللطيف ، وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صعب مسالكه
والشوق يحمل والآمال تسعده
ليس المحب الذى يخشى مهالكه
كلا ولا شدة الأسفار تبعده

فضل تلاوة القرآن وشرف القراء من هذه الأمة

ومن شرف هذه الأمة الحمديّة ما أعده الله تعالى من الثواب العظيم والفضل الجسيم على تلاوة القرآن الكريم وما إختص به حملة هذا الكتاب من مناقب عديدة ومزايا حميدة .

فمنها — أن القارئ له بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها بفهم أو بغير

فهم .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَحَسَنَةٌ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » . (رواه الترمذى وغيره) .

قال الإمام النووي : إعلم أن المذهب المختار الصحيح الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرها من الأذكار إهد يعنى لما فى الحديث : إِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .

ومنها أن القارئ يلبس الله والديه تاجاً يوم القيامة روى أبو داود عن سهل بن معاذ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قرأ القرآن وَعَمِلَ بِهِ أَلْبَسَ اللَّهُ وَالِدَيْهِ تاجاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيهِ فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ » .

ومنها — أن الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ » .

(متفق عليه)

يعنى : أن القارئ الذى يقرأ بدون تلثم ومشقة هو مع السفارة السابقين والذى يقرأ بكلفة ومشقة فله أجران .

ومنها — أن القارئ فى الدنيا لا يزال يترقى فى المنازل يوم القيامة : روى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِقْرَأْ وَارْقَ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْرِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا » .

ومنها أن القارئ لا يهوله الفزع الأكبر يوم القيامة روى الطبرانى بإسناد لا بأس به . عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَهْوُلُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَا يَنَالُهُمُ الْحِسَابُ وَهُمْ عَلَى كُتُبٍ مِنَ الْمِسْكِ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ : رَجُلٌ قرأ القرآن إِبْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَّ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ وَذَاعَ — أَى مُوَدِّنَ — يَدْعُو إِلَى الصَّلَوَاتِ إِبْتِغَاءً وَجِهَ اللَّهُ وَعَبَدَهُ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيهِ » .

ومنها — أهل القرآن هم أهل الله تعالى : عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَهْلَيْنِ مِنَ النَّاسِ قَالُوا : مَنْ يَأْسُؤُ اللَّهَ ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ » .

ومنها — أن القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إَقْرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ . إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ فَمَنْ دَخَلَ فِيهِ أَمِنَ وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيُبَشِّرْ » (١) . — أى فليستبشر .

وعنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدِبَةُ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مَأْدِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالتُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّقَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَرِيغُ فَيَسْتَعْتَبَ وَلَا يَعُوجُّ فَيَقُومَ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ أَثْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ كُلُّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ . أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَلَمْ حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مَ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ » (٢) .

ومنها — أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله : روى الإمام محمد بن نصر المروزي بإسناده عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « الْبَيْتُ إِذَا قُرِيَ فِيهِ الْقُرْآنُ حَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَنَكَّبَتْ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ (أى تباعدت عنه) وَاتَّسَعَ عَلَى أَهْلِهِ وَكَثُرَ خَيْرُهُ وَقَلَّ شَرُّهُ وَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهِ الْقُرْآنُ حَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ وَتَنَكَّبَتْ (أى تباعدت) عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ وَضَاقَ عَلَى أَهْلِهِ وَقَلَّ خَيْرُهُ وَكَثُرَ شَرُّهُ » قال : وفى الباب عن أبى هريرة موقوفاً وعن ابن سيرين إهـ وأثر أبى هريرة رواه الدارمي .

ومنها — أن تلاوة القرآن جلاء القلوب : روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا

(١) رواه الهوامي .

(٢) رواه الحاكم وصححه والدارمي .

أصابه الماء قيل : يارسول الله وما جلاؤها ؟ قال : كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن « (١) .

ومنها — من أحب القرآن فقد أحبه الله ورسوله ﷺ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن يحب الله ورسوله فلينظر فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله » (٢) .

ومنها — أن القرآن هو الذكر الحكيم : وروى عن علي رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أما إنها ستكون فتنه . قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ فقال : كتاب الله تعالى فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله تعالى . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً يهذى إلى الرشد فآمنّا به . من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » (٣) .

ومنها — أن المواظبة على متابعة الختات أحب الأعمال إلى الله تعالى : روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : قال رجل : يارسول الله أى الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ « فقال : الحال المرتجل . قال : وما الحال المرتجل » قال : الذى يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل أى كلما ختم ختمة شرع في غيرها . ولذلك يستحسن إذا ختمت ختمة أن تتبعها بالفاتحة و فاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ .

ومنها — أن القرآن يشفع لقارئه : عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٤) .

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٣) رواه الترمذى والدارمى وفى السند مقال .

(٤) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشْتَعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدِّقٌ مِنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ » (١)

وشفاعة القرآن قد تكون بمغفرة الذنوب وقد تكون برفع الدرجات والتحلية بالكمالات . فالأول يدل عليه ما رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غَفَرَ اللَّهُ لَهُ : ﴿ وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ » والثانى يدل عليه ما رواه الترمذى وحسنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يَجِيءُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ الْقُرْآنُ : يَا رَبِّ حُلَّةٌ فَيَلْبَسُ تَاجَ الْكِرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ الْقُرْآنُ : يَا رَبِّ زِدْهُ فَيَلْبَسُ حُلَّةَ الْكِرَامَةِ . ثُمَّ يَقُولُ الْقُرْآنُ : يَا رَبِّ إِرْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ . فَيَقَالُ لِلْقَارِئِ إِقْرَأْ وَارْقَ وَيَزِدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : قَالَ الصَّيَّامُ : رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ فَيَشْفَعَانِ » (٢)

ومنها أن قراءة القرآن تطيب رائحة القارىء :

عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأَنْزَجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ . وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » (٣)

والأنزجة : ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون .

ومنها — فضل القراءة فى الصلاة على غيرها : روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال : « قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم .

غير الصلاة وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسييح والتكبير والتسييح
أفضل من الصدقة — أى النافلة — والصدقة أفضل من الصوم — أى
النفل — والصوم جنة « (١) .

ومنها — مضاعفة القراءة في المصحف على غيرها روى عن النبي ﷺ أنه
قال : « قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة . وقراءته في المصحف تُضعف
على ذلك إلى ألفي درجة » (٢) .

وروى ابن أبى داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه إذا دخل البيت نثر المصحف فقرأ فيه .

وروى الإمام أحمد في « الزهد » عن عثمان رضى الله عنه أنه قال : ما أحب
أن يأتني على يوم ولا ليلة إلا أنظر في كتاب الله تعالى — يعنى القراءة في
المصحف .

وروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟ فقال :
لا تطيقونه ، الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما .

قال الإمام النووي : قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر
قلب لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر . هكذا قاله
القاضى حسين من أصحابنا وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف .

ثم بين الإمام النووي أنه لو قيل بالتفصيل لكان القول حسناً ، وذلك أنه
يختلف باختلاف الأشخاص ، فأية القراءتين أقرب إلى الخشوع والتدبر فهى
أفضل . قال : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

وأخرج البيهقي بسند حسن عن ابن مسعود أنه قال : أديموا النظر في
المصحف .

(١) رواه البيهقي في الشعب على ضعف في إسناده .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي على ضعف في سنده .

ومنها — أن القارىء يقدم على غيره شرعاً .

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَهُم لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى » . (رواه مسلم)

وروى البخارى وغيره أن النبي ﷺ كان جَمَعَ بين الرَّجُلَيْنِ من قَتَلَى أُحُدَ ثم يَقول : أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ فَإِنْ أُشِيرَ إِلى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فى اللحد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً .

ومنها — إكرام أهل القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى ومن إجلاله تعالى : قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ . إستدل الإمام النووى رضى الله عنه بهذه الآية على وجوب إكرام أهل القرآن لأنهم من شعائر الله تعالى ، كما يجب تعظيم العلماء الذين هم حملة دين الله تعالى وشعائره ولا يجوز إيذائهم .

وقد نقل الإمام النووى عن الإمامين الكبيرين أبى حنيفة والشافعى رضى الله تعالى عنهما أنهما قالوا : إن لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله تعالى ولي ، كما نقل أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : أعلم يأخى — وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق ثقاته — أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله تعالى فى هتك أستار منتقصيهم معلومة وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب إبتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

وعن أبى موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكرامَ ذى الشَّيْبَةِ المُسَلَّمِ وَحامِلِ الْقُرْآنِ غيرِ الغالى فيه والجانفى عنه وإكرامَ ذى السُّلْطانِ المُقْسِطِ » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » (١) .

ومنها — فضيلة إستظهار القرآن الكريم وهى من أعظم المنن الإلهية التى خصّ الله تعالى بها هذه الأمة المحمدية دون سائر الأمم ، فقد جعل قلوب هذه الأمة أوعية لكلامه ، وصدورها مصاحف لحفظ آياته ، لا يغسله من قلوبهم تيار الماء ولا يحوه من صدورهم كيد الأعداء .

قال الله تعالى : « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ » .

وفى صحيح مسلم عن عياض رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إِنْ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحْنُتُهُ « أَعْطَيْتُهُ » عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّى خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ — أَى عَلَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ — وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأُتْبِلِيكَ وَأُتْبِلِي بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَأُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ ، الْحَدِيثُ

وروى عن علي رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَنْظَرَهُ فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ » (٢) .

وروى عنه ﷺ : « مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى حِفْظَ كِتَابِهِ فَظَنَّ أَنْ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ فَقَدْ غَلَطَ — وَفِي رَوَايَةٍ — فَقَدْ صَعَّرَ أَعْظَمَ النِّعَمِ » (٣) .

(١) رواها أبو داود .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البيهقى والبخارى فى تاريخه .

وفي مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه مرفوعاً : « أَنْ حَمَلَةَ الْقُرْآنَ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ » الحديث .

قال في شرح المنية : إن حفظ ما تجوز به الصلاة فرض عين على كل مكلف وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب . وحفظ سائر القرآن فرض كفاية وسنة عين أفضل من صلاة النفل إهد وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن يفرض لحفاظ القرآن في البصرة ما يفي بحاجتهم .

ومنها أن أهل القرآن ممن يعلم أو يتعلم القرآن هم خير الناس . عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » وفي رواية : « أَنْ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَأَقْرؤُوهُ فَإِنَّ مِثْلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ — أَيْ فِي اللَّيْلِ — كَمِثْلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكَاً يَفُوحُ رِيحُهُ كُلَّ مَكَانٍ . وَمِثْلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَفَرَّقَهُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمِثْلِ جِرَابٍ أُورِي عَلَى مِسْكِ . أَيْ مَلِئَ مِسْكَاً وَرُبِطَ عَلَيْهِ » (٢) .

ومنها — ان من علم ولده القرآن فقد حاز خيراً عظيماً لا يساويه خير ونال أجراً كريماً لا يوازيه أجر .

عن علي رضي الله عن النبي ﷺ قال : « أَدَّبُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَيَّ ثَلَاثَ خِصَالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وَحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ « حَفِظْتَهُ » فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ » (٣) .

وروى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَلَّمَ ابْنَهُ الْقُرْآنَ نَظَرًا » « أَيْ فِي الْمَصْحَفِ » غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَمَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ ظَاهِرًا » « أَيْ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ » بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَيُقَالُ

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى وغيره .

(٣) رواه الديلمى وابن النجار على ضعف فى سنده .

لإبنيه إقرأ فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأب بها درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن» (١).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : « ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن في الدنيا » (٢).

عن بريدة رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ فسمعتة يقول :
تعلّموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة . ثم سكت ساعة ثم قال : تعلّموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك فيقول : أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته (أي يتغى ربحها) وإتلك اليوم من وراء كل تجارة أعظم ربحاً فيعطى « أى صاحب القرآن » الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والده حلتين لا تقوم لهما « أى لا تقدر بهما » الدنيا فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن وفى رواية الطبرانى : بتعليم ولدكما القرآن ثم يقال « أى للقارىء » إقرأ واصعد فى درج الجنة وعرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً » (٣).

ومنها — نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن سيما فى الليل .

فمن أسيد بن حضير قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس اى اضطربت فسكت فسكتت فقرأ فجالت فسكتت فسكتت الفرس ، ثم قرأ فجالت . وكان ابنه يحيى قريباً منها فانصرف فاخره ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح . فلما أصبح حدث النبي ﷺ

(١) رواه الطبرانى قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفه .

(٢) رواه الطبرانى على ضعف فيه .

(٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وروى ابن ماجه طرفا منه . قاله الهيثمى .

فَقَالَ : وَتَدْرِي مَا ذَاكَ ؟ قَالَ : لَا . فَقَالَ ﷺ : تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ ذَنَّتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاسُ لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ « أَى لَا تَخْتَفِي مِنْهُمْ » (١) .

ومنها — أن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن فقد روى الطبراني مرفوعاً « من ختم القرآن فله دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ . وفي الشعب من حديث أنس مرفوعاً : من قرأ القرآن وحمد الرب وصلّى على النبي ﷺ واستغفر ربه فقد طلب الخير مكانه » .

ومنها — انتصار القرآن للعامل به ومجادلته عنه فهو له حجة .

فمن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُمْتَلَأُ لَهُ الْقُرْآنُ قَدْ كَانَ يُضَيِّعُ فَرَايِضَهُ وَيَتَعَدَّى حُدُودَهُ وَيُخَالِفُ طَاعَتَهُ وَيَرْكَبُ مَعَاصِيَهُ فيقول : أَى رَبِّ حَمَلْتَهُ أَيَاتِي فَبِئْسَ حَامِلِي تَعَدَّى حُدُودِي وَضَيِّعَ فَرَايِضِي وَتَرَكَ طَاعَتِي وَرَكِبَ مَعْصِيَتِي فَمَا يَزَالُ يَقْدِفُ عَلَيْهِ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ : فَشَأْنُكَ بِهِ فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَكْبَهُ عَلَى مَنْحَرِهِ — أَى عَلَى وَجْهِهِ — فِي النَّارِ وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ قَدْ كَانَ يَحْفَظُ حُدُودَهُ — أَى حُدُودَ الْقُرْآنِ — وَيَعْمَلُ بِفَرَايِضِهِ وَيَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ وَيَجْتَنِبُ مَعْصِيَتَهُ فَيَصِيرُ خَصْماً دُونَهُ فيقول : أَى رَبِّ حَمَلْتِ أَيَاتِي خَيْرَ حَامِلٍ أَتَقِي حُدُودِي وَعَمِلَ بِفَرَايِضِي وَاتَّبَعَ طَاعَتِي وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي فَلَا يَزَالُ يَقْدِفُ لَهُ بِالْحُجَجِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : فَشَأْنُكَ بِهِ . فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ فَمَا يَزَالُ بِهِ حَتَّى يَكْسُوهُ حُلَّةَ الْإِسْتَبْرَقِ وَيَضَعُ عَلَيْهِ تَاجَ الْمُلْكِ وَيَسْقِيهِ بِكَأْسِ الْمُلْكِ » (٢) .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنْ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » (٣) .

(١) رواه البخارى .

(٢) قال في مجمع الزوائد رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات إهد ورواه

ابن أبي شيبة وابن الضريس كما في [منتخب الكثر] .

(٣) رواه مسلم .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة تحثَّ العرش يوم القيامة : القرآن له ظهْرٌ وبطنٌ يُحاجُّ العبادَ والأمانةُ والرَّحِمُ تُنادى ألا مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ تعالى ومن قطعني قطعهُ اللهُ » . (١)

فإذا كان يومُ القيامة وَقَفَ القرآنُ مَوْقِفَ الإحتجاج . فإمَّا أن يَحْتَجَّ للعبدِ وذلك إذا عَمِلَ به وإمَّا أن يَحْتَجَّ على العبدِ وذلك إذا خَالَفَ ما جاء به القرآن . قال أبو موسى الأشعري إن هذا القرآن كائِنٌ لكم أجراً وكائِنٌ عليكم وَزراً فاتَّبِعُوا القرآنَ وَلَا يَتَّبِعَنَّكُمْ القرآنَ ، مَنْ اتَّبَعَ القرآنَ — أى عَمِلَ به — هَبَطَ به على رِياضِ الجنةِ ومن اتَّبَعَهُ القرآنَ — بأن لم يَعْمَلْ به — رُجَّحَ ، ففاه فَقَدَفَهُ فى النارِ «

شرف الذاكرين من هذه الأمة

ومن الشرف الذى ادخره الله لهذه الأمة ما أعده الله تعالى للذاكرين من الفضل والثواب بذكرهم ، وقد جمعت جملةً صالحةً من ذلك نذكرها إن شاء الله فيما يأتى :

الأول — أن العبد يستفيد بالذكر خصوصية لا أشرف منها عنده ولا أعز منها لديه وهى معية الحق سبحانه وتعالى وذكره له فى الملاء الأعلى ، كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدى بى وأنا معه إذا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فى نفسه ذَكَرْتُهُ فى نفسى وإن ذَكَرَنِي فى مَلَأْ ذَكَرْتُهُ فى مَلَأْ خَيْرٍ منهم ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ شَيْراً تَقَرَّبْتُ إليه ذِراعاً ، وإن تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إليه باعاً ، وإن أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرَوَلةً » (٢) .

وهو يستفيد هذا المقام بمجرد إقباله وإشتغاله بالذكر يقول الله تعالى : ﴿ أنا مع عبدى إذا هو ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ ﴾ (٣) .

(١) رواه البغوى فى شرح السنة ورواه الحكيم والترمذى ومحمد بن نصر .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه وابن حبان .

والذكر أحب الأعمال إلى الله تعالى ، قال معاذ بن جبل : إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت : أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : أن تترت ولسائك رطب من ذكر الله « (١) .

والذكر خير أعمالنا وأزكاها عند ربنا وأقوى الأسباب لرفع درجاتنا وخير من قتال الأعداء بلا إخلاص يقول رسول الله ﷺ : « أَلَا أُنبئُكُمْ بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى . قال : ذكر الله ، قال معاذ بن جبل : ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله « (٢) .

والذكر يصفل القلوب ويجلوها وينجي من عذاب الله قال ﷺ : « إن لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع « (٣) . وقال ﷺ : ما عمل آدمي عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى ، قيل : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع « (٤) .

والذاكر هو أفضل العباد درجةً وأعلى رتبة ، فقد سئل رسول الله ﷺ : أي العباد أفضل درجةً عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذَّاكِرُونَ اللهُ كثيراً ، قال قلت يارسول الله ومن الغازی في سبیل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ینکسر ویحتضب دماً لکان الذاکرون الله كثيراً أفضل منه درجةً « رواه الترمذی وقال حدیث غریب ، ورواه البیهقی مختصراً قال : قيل : یارسول الله أي الناس أعظم درجةً قال : الذاکرون الله .

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبرانی واللفظ له ، والبراز الا أنه قال : أخرني بأفضل الأعمال وأقربها إلى الله ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذی وغيرهم .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي من رواية سعيد بن سنان واللفظ له .

(٤) رواه الطبرانی في الصغير والأوسط ورجالها رجال الصحيح .

والذكر يهذب الأخلاق ويرقق الطباع فيرط على قلب الخالق حتى يثبته في
ميادين الجهاد ، ويصلح حال العاجز عن العبادة حتى ينشط لذكر الله ، ويصلح
حال البخيل فيصير كريماً محموداً ببركة الذكر . قال عليه السلام : « من عجز منكم عن
الليل أن يكابده ويخل بالمال أن يُنفقه وجِبْنَ عن العدو أن يجاهدَه فليكثرِ ذكرَ
الله » (١) .

وذكر الله وقاية من وساوس الخناس وحسن متين من الوقوع في المعاصي :
فقد جاء في الحديث أن نبينا عليه السلام قال : إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس
كلماتٍ أن يَعْمَلَ بهنَّ ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن فكَأَنَّهُ ابطأ بهن فأتاه عيسى فقال : إنَّ
الله أمرك بخمس كلماتٍ أن تَعْمَلَ بهنَّ وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهنَّ فإِذَا مَا ان تخبرهم وإِذَا مَا ان
أخبرهم . فقال : يا أحمى لا تفعل فإني أخاف إن سبقتني بهنَّ أن يُحَسِّفَ بى أو أُعَذِّبَ .
قال : فَجَمَعَ بنى إسرائيل بيت المقدس حتى امتلأ المسجدُ وقعدوا على الشرفاتِ ثُمَّ
حَطَبَهُمْ فقال : إن الله أوحى إليَّ بخمس كلماتٍ أن أَعْمَلَ بهنَّ وأمر بنى إسرائيل أن يَعْمَلُوا
بهنَّ أَوْلَهُنَّ : لا تشركوا بالله شيئاً فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجلٍ اشتري عبداً
من خالص ماله بذهبٍ أو وِزْقٍ ثم أسكنه داراً فقال : إِعْمَلْ وارْفَعْ إليَّ فَجَعَلَ
يَعْمَلُ ويرْفَعُ إليَّ غير سيِّده فأبكم يرضى أن يكون عبده كذلك ، فإن الله خلقكم
ورزقكم فلا تُشركوا به شيئاً ، وإذا فُتِمْتُمْ إلى الصلوة فلا تلتفتوا فان الله يُقبل
بوجهه إلى وجه عبده ما لم يَلْتَفِتْ ، وأمركم بالصيام . ومثل ذلك كمثل رجلٍ في
عصايةٍ معه صرةٌ مسنكٍ كلُّهم يُحبُّ أن يجدَ رِيحَهَا وإن الصيامَ أطيبُ عند الله من
ريحِ المسنكِ ، وأمركم بالصدقة ، ومثل ذلك كمثل رجلٍ أسره العدو فأوثقوا يده إلى
عُنُقِهِ وقربوه ليضربوا عُنُقَهُ فَجَعَلَ يقول : هل لكم أن أفدى نفسى منكم . وجعل
يُعطي القليل : هل لكم أن أفدى نفسى منكم . وجعل يُعطي القليل والكثير حتى
فدى نفسه ، وأمركم بذكر الله كثيراً . ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في

(١) رواه الطبراني والبخاري واللفظ له ، وفي سنده أبو يحيى القتات وبقيته محتج بهم في الصحيح . ورواه
البيهقي من طريقه أيضاً .

أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله» (١) الحديث .

وقال ﷺ « إن الشيطان واضع حطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله حنّس وإن نسى إلتقم قلبه » رواه ابن ابى الدنيا وابو يعلى والبيهقى .

والذاكر سابق لغيره يأتي يوم القيامة معزّزاً مُبجّلاً قال رسول الله ﷺ : « سبق المُفْرَدُونَ . قالوا وما المُفْرَدُونَ يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً » (٢) .

وروى الترمذى ولفظه : يارسول الله وما المُفْرَدُونَ قال : « المُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً » .

وذكر الله أحد الأربعة التى تجلب سعادة الدنيا والأخرة وتعطى الذاكر الثقة التامة وتحليه بالإستقامة وحب الخير والسداد فى عمله والصواب فى تفكيره .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : أربع من أعطيهن فقد أُعْطِيَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وبدناً على البلاء صابراً وزوجةً لا تبغيه فى نفسها وماله» (٣)

وذكر الله يوصل إلى الدرجات السامية فى الجنة ، ويرفع الذاكر إلى أعلى عليين وهو فى الفرش الممهدة .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لِيَذْكُرَنَّ اللَّهُ أَقْوَامًا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْفُرْشِ الْمَمَهَّدَةِ يُدْخِلُهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى » (٤) .

وذكر الله ينير القلب ويحييه ويزيل رانه ويهديه إلى الحق ويجعل الذاكر حياً ، وغير الذاكر قلبه خرب ومظلم وهو ميت .

(١) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ومسلم قال الترمذى : حديث حسن صحيح

(٢) رواه ومسلم .

(٣) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه من طريق دراج عن أبى الهيثم .

عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : مثل الذى يذكر ربّه
والذى لا يذكر الله مثل الحى والميت «(١)» .

والذاكرون يتباهى الله بهم أمام السفارة البررة ، فيسألهم وهو أعلم بهم : عن
أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله ملائكة يطوفون فى
الطرق يلتصمون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلُموا إلى حاجتكم
فَيُحْفَوْنَهُمْ بأجنتهم إلى السماء . قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول
عبادى ؟ قال : يقولون : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيُجَدِّدُونَكَ قال فيقول :
هل رأوني قال فيقولون : لا والله يارب ما رأوك قال فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال
فيقولون : لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادةً وأشدّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال
فيقول : فما يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال
يقولون : لا والله ما رأوها قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم
رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً وأشدّ لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال : فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ ؟
قال : يتَعَوَّدُونَ من النار قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله . قال
فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً وأشدّ لها
مخافة قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقول مَلَكٌ من الملائكة : فيهم
فلان ليس منهم وانما جاء لحاجة قال : هم القوم لا يَشْفِيْهِمْ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ «
وروى مسلم بلفظ قال : إن الله تبارك وتعالى ملائكة سَيَّارَةٌ فَضَّلَاءٌ يَتَعَوَّنُ مَجَالِسَ
الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى
يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ : مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ
يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَهْلِلُونَكَ وَيُحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا :
يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ . قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لَا يَارَبِّ . قَالَ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا
جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ مِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ يَارَبِّ قَالَ :

(١) رواه البخارى ومسلم إلا أنه قال : مثل البيت الذى يُذكَرُ اللهُ فِيهِ .

وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا يارب . قال : فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألو وأجرتهم مما استجاروا ، قال يقولون : ربّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطّاءٌ إنما مرّ فجلس معهم . قال : فيقول : وله غَفَرْتُ هم القوم لا يَشْقَى بهم جليسُهُم .

والذاكرون يسعد العاصى بصحبتهم وينعم الشقى بمحبتهم ويتجلى الله على الفاجر الذى يودهم ويحضر مجالسهم ، ولو سأل شيئاً من عرض الدنيا يعطاه ، لما جاء فى الحديث السابق من قوله تعالى : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

والذاكرون يضمنون الغفران ويعتقدون برضا الله جل وعلا ولا ينصرفون عن الذكر إلا إذا امتلأت صحائفهم حسنات وتجلى الله عليهم بانعامه : لما جاء فى الحديث السابق أن الله تعالى يقول للملائكته : أشهدكم أئى قد غَفَرْتُ لَهُمْ .

والذاكرون فى درجات سامية قريبة من رحمة الله وإحسانه يود النبيون والمجاهدون أن يدركوها مبالغة فى إرضاء الله عز وجل عنهم تتلألاً وجوههم نوراً ونفوسهم بشراً وسروراً .

عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، رجالٌ ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياضُ وجوههم نظَرُ الناظرين يغبطُهُم النبيون والشهداء بمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ من الله عز وجل . قيل يارسول الله من هم ؟ قال : هم جُمَاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فَيَنْتَقُونَ أطايبَ الكلام كما ينتقى آكل التمر أطايبه » (١) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لَيُبْعَثَنَّ الله أقواماً يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال : فجئنا أعرابي على ركبتيه فقال يارسول الله جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفُهُمْ . قال : « هم المتحاثبون فى الله من قَبَائِلِ شَتَّى وبلادٍ شَتَّى يجتمعون على ذكر الله ويذكرونه » (٢) .

(١) رواه الطبرانى وإسناده مقارب لا بأس به .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

والذاكرون تحيط بهم الملائكة وتعمهم الرحمة ويعلوهم الوقار والرضوان كما قال صلى الله عليه : لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده « (١) .

والذاكرون تشاركهم الملائكة عبادتهم فيجلسون معهم ويفعلون كما يفعلون ويقولون كما يقولون ثم يصعدون بعملهم كما قال صلى الله عليه : « لما مرّ بعبد الله بن رواحة وهو يذكر أصحابه : أما إنكم الملائكة الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ — إِلَى قَوْلِهِ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴾ ، أما أنه ما جلس عديتكم إلا جلس معهم عديتهم من الملائكة إن سبحوا الله تعالى سبحوه ، وإن حمدوا الله حمدوه وإن كبروا الله كبروه ، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه وهو أعلم بهم فيقولون : ياربنا عبادك سبحوك فسبحنا وكبروك فكبرنا وحمدوك فحمدنا فيقول ربنا جل وعلا يا ملائكتي أشهدكم إني قد غفرت لهم فيقولون : فيهم فلان وفلان الخطاء فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم « (٢) .

والذاكرون مجالسهم هي رياض الجنة قال صلى الله عليه : إن لله سرايا من الملائكة تجل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر فاعبدوا أروحوها في ذكر الله وذكره أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه « (٣) .

ومن الشرف الذي جعله الله للذاكرين أن الله تعالى يناديهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد . قال النبي صلى الله عليه « يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم فليل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ أهل مجالس الذكر « (٤) .

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني في الصغير .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبخاري والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم .

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنه لا تدخل قلوبهم الحسرة ولا الأسى على أوقاتهم التى ملؤها بالذكر : لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : « ليس يَتَحَسَّرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا » (١) .

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنهم أهل الشكر : لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : « إِنْ اللَّهُ يَقُولُ يَا بَنَ آدَمَ : إِنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَنِي شَكَرْتَنِي ، وَإِذَا نَسَيْتَنِي كَفَرْتَنِي » (٢) .

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين أنهم هم المجاهدون وأنهم هم الصالحون : لما جاء فى الحديث أن رجلاً سأل النبى ﷺ فقال : « أَيُّ الْمَجَاهِدِينَ أَعْظَمُ أَجْراً ؟ » قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً . قال : فأى الصالحين أعظم أجراً ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة وفى كُلِّ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْراً ، فقال أبو بكر لعمر : يا أبا حفص : ذهب الذاكرون بكل خير ، فقال رسول الله ﷺ : أجل » (٣) .

ومن الشرف الذى جعله الله للذاكرين : أنهم هم الملهمون لما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : ما من يومٍ وليلةٍ إلا والله عز وجل فيه صدقةٌ يُمْنُ بها على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبْدٍ بِأَفْضَلٍ مِنْ أَنْ يُلْهِمَهُ ذِكْرَهُ » (٤) .

ومن فضائل الذاكرين المشتغلين بالذكر بلا إنقطاع ما جاء فى الحديث أن النبى ﷺ قال : مررت ليلة أسرى بنى برجلٍ مغيبٍ فى نور العرش . قلت . من هذا أهذا ملكٌ ؟ قيل : لا . قلت : نبي ؟ قيل : لا . قلت . من هو ؟ قال : هذا رجل كان فى الدنيا لسائه رَطْبٌ من ذكرِ الله وقلبه معلقٌ بالمساجد ولم يَسْتَسَبِّ لوالديه » (٥) .

(١) رواه الطبرانى عن شيخه محمد بن ابراهيم الصورى . ورواه البيهقى بأسانيد أحدها جيد .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه أحمد والطبرانى .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا .

(٥) رواه ابن أبى الدنيا هكذا مرسلًا .

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما جعله الله لها من الفضل والثواب الدنيوي والأخروي لمن يأتي بالأذكار والأدعية النبوية .

فمن ذلك : أن من قال حين يصبح أو يمسي :

« اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن سيدنا محمداً عبداً ورسولك — أعتق الله رُبْعَهُ من النارِ ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النارِ ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النارِ ، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النارِ » (١) .

وفي رواية « من قالها أربعاً غَدُوَّةً وأربعاً عَشِيَّةً ثم مات دخل الجنة » (٢) .

ومن ذلك : أن من قال ثلاثاً حين يمسي : « أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ اللَّهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلُّهُ أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذُرّاً وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ — حُفَظَ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَكَاهِنٍ وَسَاحِرٍ حَتَّى يَبْصَحَ — وَإِذَا قَالَهَا حِينَ يَبْصَحُ حَفِظَ كَذَلِكَ حَتَّى يَمْسِيَ » (٣) .

ومن ذلك : أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَقُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ هن معلقات بالعرش ما بينهن وبين الله حجاب قلن ياربّ تُهَيِّبُنَا إِلَى أَرْضِكَ وَإِلَى مَنْ يَعْصِيكَ « قال الله تعالى : « إِنِّي خَلَقْتُ لَا يَفْرُقُ كُنَّ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِي ذُبِرَ كُلُّ صَلَاةٍ إِلَّا جَعَلْتُ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَإِلَّا أَسْكَنْتَهُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ ، وَإِلَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِعَيْنِي الْمَكْنُونَةِ كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ نَظْرَةً ، وَإِلَّا قَضَيْتُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ حَاجَةً أَدْنَاهَا الْمَغْفِرَةُ ، وَإِلَّا أَعَدَّتُهُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ وَنَصَرْتُهُ عَلَيْهِ » (٤) .

(١) رواه أبو داود .

(٢) عند ابن عساکر .

(٣) أخرجه ابن السني .

(٤) أخرجه ابن السني .

ومن ذلك : « أنه ما من عبدٍ يقول في صباح كلِّ يومٍ ومساء كلِّ ليلةٍ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ثلاثَ مرَّاتٍ إلَّا لم يضره شيءٌ ولم تصبه فجأةٌ بلاءٌ » (١) .

ومن ذلك « أن من قال حين يصبحُ وحين يمسي : ﴿ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ لم يضره شيءٌ » (٢) .

ومن ذلك — « أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرؤهما عبدٌ في دارٍ فتصيبهم ذلك اليومَ عينٌ إنسٍ أو جنٍّ » (٣) .

ومن ذلك — « أن من قال حين يصبحُ وحين يمسي ثلاثَ مرَّاتٍ ﴿ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ﴾ كان حقًّا على الله أن يُرضيه يومَ القيامةِ » (٤) .

ومن ذلك — « أن ﴿ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ أمانٌ كلِّ خائفٍ » (٥) .

ومن ذلك — أن من قرأ هذه الآيات العشرَ أولَ النهارِ لم يَقْرُبْهُ شَيْطَانٌ حتى يمسيَ وإن قرأها حين يمسي لم يَقْرُبْهُ شَيْطَانٌ حتى يصبحَ ولا يرى شيئاً يكرهه في أهله وماله ، وإن قرأها على مجنونٍ أفاق . ﴿ وهن — أول سورة البقرة — إلى — المفلحون ، وآية الكرسي ، والآيتان بعدها . وثلاث آيات من آخر سورة البقرة » (٦) .

ومن ذلك — « أن من قرأ في ليلةٍ هذه الآيات الثلاثَ والثلاثين لم يضره في تلك الليلة سبعُ ضارٍ ولا لصٌ طارىءٌ وعوفيٌ بنفسه وأهله وماله حتى يُصبحَ » (٧) . ﴿ وهن : أول سورة البقرة — إلى — المفلحون وآية الكرسي

(١) أخرجه أبو داود وغيره .

(٢) رواه الطبراني . ورواه الترمذي وقال : ثلاثا وقال : من قاله وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه فإن مات مات شهيدا .

(٣) رواه الديلمي وغيره .

(٤) أخرجه الامام أحمد وغيره هكذا جمع بينهما الحافظ السيوطي في الكلم الطيب ورواية أبي داود رسولا فقط .

(٥) أخرجه أبو نعيم .

(٦) رواه البيهقي .

(٧) أخرجه ابن النجار .

وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة و — إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا — إلى — إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ، — قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ — إلى آخر سورة الإسراء ، وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا — إلى — إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ، و — يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا — إلى — يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ و — لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ — إلى آخر سورة الحشر و — وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّرُنَا — إلى — شَطَطًا ، رَبَّنَا لَا تَرُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿١﴾ .
ومن ذلك ان من قال لا اله الا الله قبل كل شيء لا اله الا الله بعد كل شيء لا اله الا الله يبقى ربنا ويفنى كل شيء عوفي من الهم والحزن (١) .

ومن ذلك — « أن من قال : ﴿ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ﴾ أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيُّهَا شَاءَ » (٢) .

ومن ذلك — « أن من قال : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ ثلاث مرات في مجلس ذكر كان كالطابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ ، ومن قاله في مجلس لغوٍ كانت كَفَّارَةً لَهُ » (٣) .

ومن ذلك — « أن من قال حين يصبح ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ كَعَتَقِ عَشْرٍ رِقَابٍ وَكُنَّ لَهُ مَسْلِحَةٌ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلًا يُقَاوِمُهُنَّ فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمَسِّي فَكَذَلِكَ » (٤) .

(١) أخرجه الطبراني .
(٢) أخرجه النسائي وغيره .
(٣) أخرجه الأمام أحمد وغيره .
(٤) أخرجه الشيخان .

ومن ذلك « أن من قال : ﴿ اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فإنك إن تكلمتني إلى نفسي تُقرّبني من الشرِّ وتباعِدني من الخير وإني لا أتقُّ إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تُوفِّينيهِ يومَ القيامة إنك لا تُخلف الميعاد ﴾ قال اللهُ عز وجل يومَ القيامة لِملائكته إن عبدى عهدٌ عندى عهداً فأوفوه إياه فيُدخله اللهُ الجنة ﴾ (١) .

ومن ذلك — « أن من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكربِ أغاثه اللهُ عز وجل ﴾ (٢) .

ومن ذلك — « أن من قال : ﴿ لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لا اله الا الله لا شريك له لا اله الا الله له الملك وله الحمد لا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ﴾ في يومٍ أو في ليلةٍ أو في شهرٍ ثم مات في ذلك اليوم أو في تلك الليلة أو في ذلك الشهر غفر له ذنبه ﴾ (٣) .

ومن ذلك — « أن من قرأ ﴿ حَمِّ — المؤمن إلى قوله — المصير ، وآية الكرسي ﴾ حين يُصبحُ حَفِظَ بهما حتى يمسيَ ومن قرأهما حين يمسيَ حَفِظَ بهما حتى يُصبحَ ﴾ (٤) .

ومن ذلك — « أن من عليه دين ولو كان مثل أحد ثم قال : ﴿ اللهم فارِّجْ اللهم كاشفِ الغمِّ مجيبِ دعوةِ المُضطَرِّينَ رحمانِ الدنيا والآخرةِ ورحيمهما أنت ترحمُنِي فارحمني رَحْمَةً تُغْنِيَنِي بها عن رَحْمَةِ مَنْ سواك ﴾ لَقضاهُ اللهُ عز وجل ﴾ (٥) .

ومن ذلك — « أن كلماتٍ من قائلهنَّ أوَّلَ نهاره لم تصبِه مصيبةٌ حتى يُمسيَ ومن قاهن آخرَ النهار لم تصبِه مصيبةٌ حتى يصبحَ ﴾ اللهم أنت ربِّي لا اله الا أنتَ عليك توكلتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيم ما شاء اللهُ كان وما لم يشأْ

(١) أخرجه الأمام أحمد برجال الصحيح .

(٢) أخرجه ابن السني .

(٣) أخرجه النسائي .

(٤) أخرجه الترمذي وغيره .

(٥) رواه الحاكم وغيره .

لم يَكُنْ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴿١﴾ .

ومن ذلك — « أن من قرأ ﴿ شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ، وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عنده وديعة ﴾ جيء به يوم القيامة فقيل : عبدى هذا عهد إلى عهداً وأنا أحق من أوفى بالعهد أذخلوا عبدى الجنة ﴿٢﴾ .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لعلى رضى الله عنه ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفرت ذنوبك وإن كانت مثل زبد البحر أو مثل عدد الذر مع أنه مغفور لك ﴿ لا اله إلا الله الحليم الكريم لا اله إلا الله العليم العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين ﴾ ﴿٣﴾ »

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لابن عباس رضى الله عنهما : إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو بك فقل : ﴿ الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذى لا اله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه من شر عبده فلان (ويسمى من يخاف شره) وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والأنس اللهم كُنْ لى جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا اله غيرك ﴾ ثلاث مرات ﴿٤﴾ .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : ألا أعلمك دعاءً تدعوه به فلو كان عليك أمثال الجبال من الدين قضاه الله تعالى : قال : معاذٌ : قلت بلى . قال : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ

(١) أخرجه ابن السنى .

(٢) رواه أبو الشيخ .

(٣) أخرجه الأمام أحمد .

(٤) أخرجه الطبرانى وغيره بسند صحيح .

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمَا وَتَمْنَعُ مَنْ تَشَاءُ أَرْحَمَنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنِ الرَّحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ اغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ واقض عَنِّي الدَّيْنَ وَتَوَفَّنِي فِي عِبَادَتِكَ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِكَ ﴿١﴾ .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ في هذه الآية : ﴿ قَلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٢﴾ .

ومن ذلك — أن من قال كل يوم مرة ﴿ سبحانَ القائمِ الدائمِ سبحانَ الحيِّ القيومِ سبحانَ الحيِّ الذي لا يموت سبحانَ الله العظيمِ وبحمده سُبُوْحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ سبحانَ العليِّ الأعلى سبحانَه وتعالى ﴾ لم يمُتْ حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له ﴿٣﴾ .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن ﴾ سبحانَ الله وبحمده سبحانَ الله العظيم ﴿٤﴾ .

ومن ذلك — « ما جاء في قصة قبضة أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال : كَبُرَتْ سِنِّي يَارَسُولَ اللَّهِ وَرَقَّ جِلْدِي وَضَعَفَتْ قُوَّتِي وَهِنْتُ عَلَى أَهْلِي وَعَجَزَتْ عَنِ أَشْيَاءِ كُنْتُ أَعْمَلُهَا ! فَعَلَّمْنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِنَّ فَأَوْجِزْ . فقال النبي ﷺ : يَا قَبِيصَةَ — قل ثلاث مرات إذا صليت الغداة ﴿ سبحانَ الله وبحمده سبحانَ الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ﴾ فإنك إن

(١) أخرجه الطبراني .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) أخرجه ابن عساکر .

(٤) أخرجه الشيخان .

قُلْتَ ذَلِكَ أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجُدَامِ وَالْبَرَصِ . وَقُلْ : ﴿اللَّهُمَّ اهْدِنِي
مِنْ عِنْدِكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَأَسْبِغْ عَلَيَّ رَحْمَتَكَ وَانزِلْ عَلَيَّ مِنْ
بَرَكَاتِكَ﴾ (١) .

ومن ذلك — « أن من صلى الفجرَ في جماعةٍ وقعد في مصلاه وقرأ ثلاثَ
آياتٍ من أول سورة الأنعامِ وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ مَلَكًا يُسَبِّحُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُونَهِ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٢) .

ومن ذلك — « أن من قال في دُبْرِ الصَّلَاةِ بَعْدَ مَا يَسْلُمُ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا فِي رَقِّ فُحْتِمِ بَخَاتِمِ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بَعَثَ اللَّهُ الْعَبْدَ مِنْ قَبْرِهِ
جَاءَهُ الْمَلَكُ وَمَعَهُ الْكِتَابُ . فَيَقُولُ أَيْنَ أَهْلُ الْعَهْدِ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَيْهِمْ .

والكلمات هي ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ إِنِّي أَعْتَدْتُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِأَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ فَلَا تُكَلِّنِي إِلَى نَفْسِي فَإِنَّكَ إِنْ
تُكَلِّنِي إِلَى نَفْسِي تُقَرِّبْنِي مِنَ الشَّرِّ وَتَبَاعِدْنِي مِنَ الْخَيْرِ وَإِنِّي لَا أَتُوقِ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ
فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ لِي عَهْدًا عِنْدَكَ تُؤَدِّيهِ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٣) .

ومن ذلك — « أن من قرأ هذه الآياتِ أو حملها لو نزلَ عليه العذابُ مثل
أحدٍ لرفعهُ اللهُ عنه بركاتها ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا — إِلَى قَوْلِهِ — إِنَّنَا
إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (٤) . من سورة التوبة .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال : ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ
الْعَظِيمِ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ﴾ من قالها كُنِيَتْ كَمَا قَالَهَا ثُمَّ عَلَّقَتْ بِالْعَرْشِ
لَا يَمْحُوهَا ذَنْبٌ عَمِلَهُ صَاحِبُهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ
مُخْتَوِمَةٌ ﴿(٥)﴾

(١) أخرجه ابن السني .

(٢) أخرجه الديلمي .

(٣) أخرجه الحكيم .

(٤) نقله الشرحي في فوائده .

(٥) أخرجه البراز .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال : « ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمرٌ معيشتِه أن يقولَ إذا خرج من بيته : ﴿ بسم الله على نفسي ومالى ودينى اللهم رضيتى بقضائك وبارك لى فيما قدّرت لى حتى لا أحبّ تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت ﴾ (١) .

ومن ذلك — « أن من لزم قراءة : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا حرقاً ولا ضرباً بجديده ﴾ (٢) .

ومن ذلك — « أن من قال حين يصبحُ وحين يمسي :
— (حسبى الله) سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » (٣) .

ومن ذلك — « أن من قال : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) بعد صلاة الصبح سبع مرات كفاه الله يومه ذلك وإن لم يكن صادقاً فى توكله ، وإن قالها مساءً فكذلك حتى يصبح) » (٤) .

ومن ذلك — ان النبي ﷺ قال : « من سرّه أن يُنْسَأَ فى عمره ويُنصَرَ على عدوّه ويُوسَّعَ عليه فى رزقه ويُوقى ميته السوءَ فليقل حين يمسي وحين يصبح ثلاث مرات : (سبحان الله ملء الميزانِ ومُنْتَهَى العِلْمِ ومبلَغ الرِّضَا وزِنَةُ العَرْشِ) » (٥) .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لعائشة رضى الله عنها قال : يا عائشة ألا

(١) رواه ابن السنى .

(٢) أخرجه العراقى فى تخرىج أحاديث الأحياء .

(٣) أخرجه ابن السنى .

(٤) حديث الأحياء .

(٥) أخرجه الديلمى .

أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَعْدِلُ أَوْ تَفْضُلُ تَسْبِيحَ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . تَقُولِينَ :
(سبحان الله العظيم وبحمده أضعاف ما يسبّحه جميع خلقه وكما يحب ويرضى
وكما ينبغى له) « (١) » .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لبعض بناته : قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ
(سبحان الله وبحمده ولا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن
الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) فَإِنْ مِنْ قَالِهِنَّ حِينَ
يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّى يُمَسِّيَ — وَمِنْ قَالِهِنَّ حِينَ يُمَسِّي حُفِظَ حَتَّى يُصْبِحَ » « (٢) » .

ومن ذلك — « دعوة ذى النون إذ دعاها وهو فى بطن الحوت (لا اله
إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) لم يدع بها مسلم فى شيء قط
إلا استجاب الله له » « (٣) » .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : إِذَا نَزَلَ بِأَحَدِكُمْ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ
فَلْيَقُلْ : (اللهُ اللهُ رَبِّى لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) ثَلَاثًا » « (٤) » .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال لأنس رضى الله عنه إِذَا طَلَبْتَ حَاجَةً
فَأَحْبَبْتَ أَنْ تَنْجَحَ فَقُلْ : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليُّ العظيم
لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم بسم الله الذى لا اله إلا هو الحي
الحكيم سبحان الله ربَّ العرش العظيم الحمد لله ربَّ العالمين كَاتَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ . كَاتَهُمْ
يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك
وعزائم مغفرتك والغنيمه من كل برِّ والسَّلامه من كل إثم ، اللهم لا تدع لى ذنباً
إلا غفرته ولا همماً إلا فرجته ولا ديناً إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا
والآخرة إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم أنت تحكم بين عبادك فيما

(١) أخرجه الدارقطنى .

(٢) أخرجه أبو داود .

(٣) رواه الامام أحمد وغيره وصححه الحاكم .

(٤) أخرجه أبو داود .

كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ ، لا إله إلا الله العليُّ العظيم ، لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ سبحانَ الله ربِّ السمواتِ السَّبْعِ وربِّ العرشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، اللهم كاشِفَ الْعَمِّ مُفَرِّجَ الْهَمِّ مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ إِذَا دَعَاكَ رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا فَارْحَمْنِي فِي حَاجَتِي هَذِهِ بِقَضَائِهَا وَنَجِّحْهَا رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنِ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ ، اللهم يَا مُؤْتِسِرَ كُلِّ وَحِيدٍ وَيَا صَاحِبَ كُلِّ فَرِيدٍ وَيَا قَرِيباً غَيْرَ بَعِيدٍ وَيَا شَاهِداً غَيْرَ غَائِبٍ وَيَا غَالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، اللهم أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ الَّذِي عَنَتَ لَهُ الْوُجُوهُ وَخَشَعَتَ لَهُ الْأَصْوَاتُ وَوَجِلَتْ لَهُ الْقُلُوبُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُقْضِيَ حَاجَتِي (وَيَسْمَى حَاجَتَهُ) اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ﷺ يَا سَيِّدِنَا يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى (وَيَسْمَى حَاجَتَهُ) اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِي نَفْسِي » (١) .

ومن ذلك — « أَنْ مِنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ

فِتْنَةِ الدَّجَالِ » (٢) .

« وَكَذَلِكَ مِنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ » (٣) .

ومن ذلك — « أَنْ مِنْ قَالَ حِينَ يَصَلِي الْعَدَاةَ (سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ،

سُبْحَانَ اللَّهِ رِضًا نَفْسِيهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِينَةً عَرْشِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلَ ذَلِكَ) فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَيَدَّأُبُ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ وَلَا يُحْصُونَ مَا قَالَ » (٤) .

ومن ذلك — ما جاء أن علياً رضي الله عنه سأل رسول الله شيئاً من الدنيا

فقال : والذي بعثني بالحق نبياً ما عندي قليل ولا كثير ولكن أعلمك شيئاً أتاني

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) أخرجه ابن عساکر .

به جبريل عليه السلام فقال : يا محمد هذه هديّة من الله تعالى إليك لم يُعْطَها أحدٌ قبلك لا يدعو بها مَلْهُوفٌ ولا مَكْرُوبٌ ولا عَبْدٌ خائفٌ من سُلْطَانٍ إِلَّا قَرَّحَ اللهُ عنه (اللهم يا عِمَادَ مَنْ لا عِمَادَ له ، يا سَنَدَ مَنْ لا سَنَدَ له ، يا ذُخْرَ مَنْ لا ذُخْرَ له يا غِيَاثَ مَنْ لا غِيَاثَ له ، يا كَرِيمَ العَفْوِ يا حَسَنَ التَّجَاوُزِ يا كَاشِفَ البَلَاءِ يا عَظِيمَ الرِّجَاءِ يا عَوْنَ الضُّعْفَاءِ يا مُنْقِذَ العَرَفِيِّ يا مُنْجِي الهَلَكِيِّ ، يا مُحْسِنُ يا مُجْمِلُ يا مُنْعِمُ يا مُفْضِلُ أنتَ الذّي سَجَدَ لك سِوَادُ اللَّيْلِ وتُورُ النّهارِ وضوءُ القَمَرِ وشُعاعُ الشَّمْسِ ودَوِيُّ المَاءِ وخَفِيْقُ الشَّجَرِ يا اللهُ لا شريكَ لك يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ) ثمّ تَدْعُو بِحاجتِكَ فلا تَقُومُ من مَقامِكَ حَتّى تُقضى لَكَ ولا تَعَلِّمُها السُّفَهَاءَ » (١) .

ومن ذلك — « أن من قرأ من قد أفلح المؤمنون عشر آيات بني الله له بيتاً في الجنة » (٢) .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : ما من عبد يسئط كفيه في دبر كل صلاة ثم يقول : (اللهم إلهي وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإله جبريل وميكائيل وإسرافيل أسألك ان تستجيب دعوتي فإني مضطرٌّ وتغصمني في ديني فإني مُبتلى وتنانني برحمتك فإني مُذنبٌ وتنفيني عني الفقر فإني مسكينٌ) إلا كان حقا على الله أن لا يرُدَّ يديه خائبتين » (٣) .

ومن ذلك — « أن من قال حين يُصْبِحُ : (فسبحان الله حين تمسون — إلى قوله — تُخْرَجُونَ) أدرك ما فاتته في يومه ذلك ، ومن قال حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته » (٤) .

وفي رواية « مَنْ قال حين يُصْبِحُ ثلاثَ مرّاتٍ (فسبحانَ اللهُ حينَ تُمسونَ — إلى آخرها) لم يُفْتَهُ خَيْرٌ كانَ قَبْلَهُ من اللَّيْلِ ولم يُدْرِكْ يومَهُ شَرٌّ . ومن قالها حين يُمسي مثلُهُ » (٥) .

(١) أخرجه أبو الفتح المقدسي .

(٢) رواه ابن مردويه .

(٣) أخرجه ابن السني .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواها الحافظ ابن حجر .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال : ما أصاب مُسلماً قطُّ همٌّ ولا حُزْنٌ فقال : (اللهم إني عبدك وابنُ عبدك وابنُ أمتِك في قبضتِك ، ناصيتي بيدك ماضٍ في حُكْمِك ، عدلٌ في قضاؤك أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سميتَ به نفسك ، أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عنده أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي ونورَ بسرّي وجلاءَ حُزني وذهابَ همّي وغمّي) إلا أذهب اللهُ همّه وأبدله مكانَ حُزنه فرجاً ^(١) .

ومن ذلك — « ما جاء في قصّة رجلٍ جاء إلى النبي ﷺ فسَلِمَ فلما جَلَسَ قال : (الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحبُّ ربُّنا أن يُحمَدَ ويتنمَّى له) فقال رسولُ الله ﷺ كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال . فقال النبي ﷺ : والذى نفسى بيده لقد أبدرتها عشرةً أملاكٍ كلُّهم حريصٌ على أن يكتُبها فما درُّوا كيف يكتُبونها لكثرة ثوابها حتى رَفَعوها إلى ذى العزّة فقال : اكتبوها كما قال عبدى وَعَلَيَّ جزاؤه بها ^(٢) .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : إذا شجاك شيطانٌ أو سلطانٌ فقل : (يامن يكفى عن كلِّ أحدٍ ولا يكفى عنه أحدٌ يا أحدٌ مَنْ لا أحدٌ له يأسندُ مَنْ لا سندٌ له انقطع الرجاءُ إلا مِنك تَجْنى مِمَّا أنا فيه وأعنى على ما أنا عليه مما قد نزلَ بى بجاهٍ وجهك الكريمِ وبحقِّ سيدنا محمد ﷺ آمين آمين » .

ومن ذلك — « أن من قال : (الحمد لله الذى تواضعَ كلُّ شيءٍ لعظمتِهِ ، والحمد لله الذى ذلَّ كلُّ شيءٍ لعزَّتِهِ ، والحمد لله الذى خضعَ كلُّ شيءٍ لمُلْكِهِ ، والحمد لله الذى استَسَلَّمَ كلُّ شيءٍ لقُدْرَتِهِ) يطلبُ ما عند الله كَتَبَ اللهُ له بها ألفٌ حسنةٍ ورفعَ له بها ألفٌ درجةٍ ووُكِّلَ به سبعونَ ألفَ ملكٍ يستَغفرون له إلى يومِ القيامةِ ^(٤) .

ومن ذلك — ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : لما أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الأرضِ جاءَ

(١) أخرجه الحاكم .

(٢) أخرجه الامام أحمد رجال ثقات .

(٣) أخرجه الديلمى .

(٤) أخرجه الطبرانى .

الكعبة وصلّى ركعتين ، فألهمه الله هذا الدعاء (اللهم إنك تعلم سريرتي وعلايتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي . اللهم إنني أسألك ايمانا يباشِر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انّه لا يصيبنني إلا ما كتبت لي ورَضْنِي بما قَسَمْتَ لي) فأوحى الله إليه يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت لك ذنبك ولم يدعني أحد بهذا الدعاء إلا غفرت له ذنبه وكفيته المهم من أمره وزجرت عنه الشيطان واتجرت له من وراء كل تاجر وأقبلت إليه الدنيا راغمة وإن لم يُردها « (١) .

ومن ذلك — « ان النبي ﷺ قال : إذا تحوّف أحدكم السلطان فليقل : اللهم ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم كُن لي جارا من شرّ فلان بن فلان وشرّ الجنّ والإيس وأتباعهم أن يفرط عليّ أحد منهم أو أن يطغى عزّ جارك وجلّ ثناؤك ولا إله غيرك » (٢) .

ومن ذلك — « أن من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة » (٣) .

ومن ذلك — « ما جاء أن النبي ﷺ دخل المسجد ذات يوم . فإذا هو برجلٍ من الأنصارٍ يقال له أبو أمامة . فقال : ياأبا أمامة . مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة . قال : همومٌ كزمتني وديونٌ يارسول الله . قال : أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك قلت : بلى يارسول الله قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت . (اللهم إني أعوذ بك من الهَمِّ والحزنِ وأعوذ بك من العجزِ والكسلِ وأعوذ بك من الجبنِ والبخلِ وأعوذ بك من غلبة الدّين وقهرِ الرجال) » (٤) .

ومن ذلك — أن من قال حين يصبحُ وحين يُمسي (اللهم أنت ربى لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ اعوذُ بك من

(١) أخرجه الطبراني .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) رواه البيهقي .

(٤) أخرجه أبو داود .

شَرَّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ « (١) .

ومن ذلك — أن النبي ﷺ قال لأنس رضى الله عنه ألا أعلمك ما علمنى جبريل ، إذا كانت لك حاجةٌ إلى بخيلٍ شحيحٍ أو سلطانٍ جائرٍ أو غريمٍ فاحشٍ تَخَافُ فُحْشَهُ فَقُلْ : (اللهم إنك أنت العزيزُ الكبيرُ وأنا عبدك الضعيفُ الدليلُ الذى لا حول له ولا قوة إلا بك . اللهم سَخِّرْ لِي فلانا كما سَخَّرْتَ فرعونَ موسى وَلَيْنَ لِي قلبه كما لَيْتَنَتَ الحديدَ لداودَ فإنه لا يَنْطِقُ إِلَّا بِأَذْنِكَ ناصيتهُ في قَبْضَتِكَ . قلبه في يدك . جَلَّ ثَنَاءُ وجهك يَا رَحِمَ الرَّاحِمِينَ) (٢) .

ومن ذلك — أن من قال عَشْرَ كَلِمَاتٍ عِنْدَ دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ غَدَاةٍ وَجَدَ اللهُ عِنْدَهُنَّ مُكْفِيًا مُجْزِيًا خَمْسَ الدُّنْيَا وَخَمْسَ لِآخِرَةِ (حَسْبِيَ اللهُ لَدَيْنِي حَسْبِيَ اللهُ لَمَّا أَهَمَّنِي حَسْبِيَ اللهُ لَمَنْ بَغَى عَلَيَّ حَسْبِيَ اللهُ لَمَنْ حَسَدَنِي حَسْبِيَ اللهُ لَمَنْ كَادَنِي بِسُوءِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمِيزَانِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الصِّرَاطِ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) « (٣) .

ومن ذلك — « ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال : خُذُوا جُنَّتَكُمْ . قلنا : يا رسولَ أمنَ عُدُوَّ حَضَرَ ؟ فقال : خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قُولُوا (سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إلهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إِلَّا باللهِ) فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْتَقْدِمَاتٍ مُنْجِيَاتٍ وَمُجْتَنَبَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ » (٤) .

ومن ذلك — « أَنْ قَوْلٌ : (اللهم إنك خلاقٌ عظيمٌ إنك سميعٌ عليمٌ إنك غفورٌ رحيمٌ إنك ربُّ العرشِ العظيمِ اللهم إِنَّكَ أَنْتَ الْبَرُّ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ اغْفِرْ لِي

(١) أخرجه الامام أحمد وغيره .

(٢) أخرجه الديلمى .

(٣) أخرجه الترمذى فى نوادر الاصول .

(٤) رواه الطبرانى بسند صحيح .

وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي وَاسْتُرْنِي وَأَجِرْنِي وَارْفَعْنِي وَلَا تُضِلَّنِي وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ
بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) يَجْمَعُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ « (١) .

ومن ذلك — ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : أمانٌ لأمتي من العرقِ إذا
ركبوا أن يقرءوا ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ « (٢) .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : لو أن رجلاً مؤمناً قرأها على جيل
لزال ﴿ أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ
الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ
فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ « (٣) .

ومن ذلك — « أن من قرأ في مُصْبِحٍ أو مُمَسِّئٍ ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا
الرَّحْمَنَ — إلى آخر السورة ﴾ لم يمت قلبه ذلك اليوم ولا في تلك الليلة « (٤) .
ومن ذلك — أن هذا الدعاء يُذهِبُ الْفَرْعَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : ﴿ أَعُوذُ
بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَمَنْ شَرَّ عِبَادِهِ وَمَنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ
يَحْضُرُونَ ﴾ « (٥) .

ومن ذلك — ما جاء عنه ﷺ أنه قال : ما مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي
أَوَّلِ لَيْلِهِ وَأَوَّلِ نَهَارِهِ إِلَّا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ذِي الشَّانِ
عَظِيمِ الْبُرْهَانِ شَدِيدِ السُّلْطَانِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ﴾ « (٦) .
ومن ذلك — « أن من سأل الجنة ثلاثاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ،

(١) أخرجه الديلمي .

(٢) رواه ابن السني .

(٣) رواه أبو نعيم .

(٤) رواه الديلمي .

(٥) أخرجه الترمذي .

(٦) أخرجه ابن عساکر .

وَمِنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا قَالَتْ النَّارُ اللَّهُمَّ اجْرِهُ مِنَ النَّارِ « (١) .
 ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ
 ثَلَاثًا وَإِذَا أَمْسَيْتَ ثَلَاثًا ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
 الْعَظِيمِ ﴾ فَإِنَّهَا شِفَاءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا الْهُمُّ « (٢) .
 ومن ذلك — أن قول : « سبحانك لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام »
 من الدعوات المضمونة الإجابة .

كما جاء في الحديث « أن سعدا رضى الله عنه دعا على كلب فأهلكه فقال له
 النبي ﷺ : كيف دعوت عليه فقال : (سبحانك إلخ) أهلك هذا الكلب .
 فقال ﷺ : ياسعدُ لقد دعوت بيومٍ وساعةٍ بكلماتٍ لو دعوت بها على مَنْ فِي
 السموات والأرض لاسْتَجِيبَ لك فأبشِرْ ياسعدُ « (٣) .

ومن ذلك — « أن من قال : (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني
 بفضلك عمن سواك) لو كان عليه مثل ثبيرٍ ديناً لأذاه الله عنه « (٤) .

ومن ذلك — « أن النبي ﷺ قال : ما قال عبد (اللهم رب السموات
 السبع ورب العرش العظيم اكفني كلُّ مُهَمٍّ من حيثُ شئت وكيف شئت وأتني
 شئت ومن أين شئت) إلا أذهب الله تعالى همَّه « (٥) .

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية أنها مأمورة بطلب العافية والدعاء بسلامة
 البدن وتمام الصحة . ولا شك أن هذا غاية ما يتمناه الإنسان ويشتهيهِ ، وبهذا
 صارت العبادة عادة وانقلب المؤلف إلى معروف . والأمر المحبوب إلى النفس
 المشتهي عادة والمطلوب طبيعة هو الأمر المحبوب المطلوب إلى الله سبحانه وتعالى
 والمطلوب شريعة . وفي هذا غاية العناية بهذه الأمة المحمدية .

(١) أخرجه الترمذى وغيره .

(٢) أخرجه المستغفرى .

(٣) أخرجه الطبرانى .

(٤) أخرجه الحاكم وصححه .

(٥) أخرجه الخرائطى .

جاء في الحديث عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله أي الدعاء أفضل ؟ قال : « سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ : فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ » (١) .

ومعنى (العافية) أن تسلم من الأسقام والبلايا وهى الصحة وضد المرض ، (والمعافاة) أن يعافيك الله من الناس ويعافهم منك : أى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم ، وقيل هى مفاعلة من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفوهم عنه . والعفو إسم من أسماء الله تعالى وهى فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه اه .

وقد قام أبو بكر على المنبر ثم بكى فقال : قام فينا رسول الله ﷺ عامَ أولِ على المنبر ثم بكى فقال : « سَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ » (٢) .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله كيف أقول حين أسأل ربي ؟ قال : « قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي . وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ . فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَأَخْرَجَتْكَ » (٣) .

وأوصى ﷺ عمه العباس قائلاً : « يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ بِالْعَافِيَةِ » (٤) .

وأخبر أن سؤال العافية هو من أحب الدعاء إليه سبحانه قال النبي ﷺ : مَا سَأَلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَافِيَةِ » (٥) .

وفى سبيل المحافظة على العافية واستمرارها أمر ﷺ من رأى مبتلى أن يحمده الله ويشكره على نعمة العافية وأخبر أنه بحمده وشكره يُحفظ من ذلك البلاء

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى والنسائى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

(٥) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

فقال : « مَنْ رَأَى صَاحِبَ بِلَاءٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ » (١) .

فوائد الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام

ومما أكرم الله به هذه الأمة المحمدية من الفضل والشرف ما جعله من الثواب الكبير والأجر العظيم لمن يصلى ويسلم على سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه .

والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه ذكر من الأذكار التي يثاب العبد على لفظها ومعناها .

فالمشتغل بها يثاب على مجرد ترديد ألفاظها كما يثاب من يردد لفظ التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح وليس كلامنا في مقدار الثواب بالمقارنة بين هذا وهذا وإنما مقصودنا هو أن نقول أن المشتغل بالصلاة والسلام على المصطفى مثاب على مجرد تكرار الفاظ الصلاة والسلام كما يثاب من يردد الفاظ التهليل والتسبيح والتحميد فهو ذكر متعبّد بلفظه ومعناه ولذلك كان بعض السلف يلزم نفسه بعدد مخصوص محدد يأتي به من الصلاة والسلام عليه يلتزم به ويتقيد ومعلوم أنه لا شيء في ذلك ما دام أنه لا يعتقد أنه مشروع وارد عن النبي صلى الله عليه بل يعلم أن ذلك من نفسه أو من غيره لأن القضية في الحقيقة إنما هي في نسبة شيء إلى النبي صلى الله عليه والحال أنه لم يرد عنه فهذا لا نرضاه بل ونحاربه ونعتقد أنه بدعة سيئة خبيثة لا يرضاه النبي صلى الله عليه .

أما من يلزم نفسه شيئاً عالماً بأنه منه وإليه مبرأً مقام النبوة عنه غير معتقد فيه سنية أو مشروعية لعينه فلا شيء في ذلك ألبتة .

وقد كان بعض السلف يفعل هذا فقد جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والبخارى والطبرانى .

أنه قال : (يَزِيدُ بَنَ وَهَبٍ لَا تَدْعُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْ تُصَلِّيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَلْفَ مَرَّةٍ تَقُولُ : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ » .

ونذكر هنا جملة من فوائد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مما ذكره العلماء وخصوصاً العلامة ابن القيم والحافظ ابن حجر الهيثمي مع التهذيب والتلخيص .

الفائدة الأولى : إمتثال امر الله سبحانه وتعالى .

الثانية : موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

الثالثة : موافقة ملائكته فيها .

الرابعة : حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة .

الخامسة : انه يرفع له عشر درجات .

السادسة : انه يكتب له عشر حسنات .

السابعة : أنه يمحي عنه عشر سيئات

الثامنة : أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين وكان موقوفاً بين السماء والأرض قبلها .

التاسعة : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها .

العاشرة : أنها سبب لغفران الذنوب .

الحادية عشرة : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه .

الثانية عشرة : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الثالثة عشرة : أنها تقوم مقام الصدقة لدى العسرة .

الرابعة عشرة : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامسة عشرة : أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه .

السادسة عشرة : أنها زكاة للمصلى وطهارة له .

السابعة عشرة : أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته ذكره الحافظ أبو موسى في كتابه وذكر فيه حديثا .

الثامنة عشرة : أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة ذكره أبو موسى وذكر فيه حديثا .

التاسعة عشرة : أنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلى والمسلم عليه .

العشرون : أنها سبب لذكر العبد ما نسيه .

الحادية والعشرون : أنها سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة .

الثانية والعشرون : أنها سبب لنفى الفقر .

الثالثة والعشرون : أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون : نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ .

الخامسة والعشرون : أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطيء بتاركها عن طريقها .

السادسة والعشرون : أنها تنجي من تنن المجلس الذى لا يذكر فيه الله ورسوله ويحمد ويشنى عليه فيه ويصلى على رسوله ﷺ .

السابعة والعشرون : أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله .

الثامنة والعشرون : أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره .

التاسعة والعشرون : أنه يخرج بها العبد عن الجفاء .

الثلاثون : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض لأن المصلي طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك .

الحادية والثلاثون : أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب والجزاء من جنسه .

الثانية والثلاثون : أنها سبب لنيل رحمة الله له لأن الرحمة إما معنى الصلاة كما قاله طائفة وإما لوازمها وموجباتها على القول الصحيح فلا بد للمصلي عليه من رحمة تناله .

الثالثة والثلاثون : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها . وذلك عقد من عقود الإيمان التي لا يتم إلا بها لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه وإذا أعرض عن ذكره واحضاره واحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيء أقر لعين العبد المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه فإذا قوى هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه والنحسُ شاهد بذلك حتى قال الشعراء بذلك :

عجبت لمن يقول ذكرت حبي وهل أنسى فاذا ذكر من نسيت
فتعجب هذا المحب ممن يقول : ذكرت محبوبى لأن الذكر يكون بعد النسيان ولو كمل حب هذا لمانسى محبوبه .

الفائدة الرابعة والثلاثون : أن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لمحبه للعبد فانها إذا كانت سبباً لزيادة المصلى عليه له فكذلك هي سبب لمحبه هو للمصلى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الخامسة والثلاثون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه . فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبه على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه لا يزال يقرؤه على تعاقب أحواله ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه وكلما ازداد في ذلك بصره وقوة معرفته ازدادت صلواته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

السادسة والثلاثون : أنها سبب لعرض إسم المصلى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكره عنده كلما جاء من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ » وقوله : « إِنْ اللَّهَ وَكَلَّ بِقَبْرِى مَلَائِكَةٌ يُبْلِغُونى عَنِّ أُمَّتى السَّلَامَ » وكفى بالعبد نبلاً أن يذكر إسمه بين يدى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد قيل في هذا المعنى :

ومن خطرت منه ببالك خطرة — حقيق بأن يسمو وأن يتقدما .

السابعة والثلاثون : أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذى رواه عنه سعيد بن المسيب فى رؤيا النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتى يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاطِ وَيَحْبُو أحياناً وَيَتَعَلَّقُ أحياناً فجاءته صلواته على فأقامته على قدميه وأنقذته » (١) .

الثامنة والثلاثون : أن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا ، مع أن الذى يستحقه من ذلك لا يحصى علما ولا قدرة ولا إرادة ولكن الله سبحانه لكرمه رضى من عباده باليسير من شكره واداء حقه .

التاسعة والثلاثون : أنها متضمنة لذكر الله وشكره ، ومعرفة انعامه على عبده بإرساله فالمصلى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تضمنت صلواته عليه ذكر الله وذكر رسوله

(١) رواه أبو موسى المدينى وبنى عليه كتابه فى الترغيب والترهيب وقال : هذا حديث حسن جدا .

وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلى طريق مرضاته وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه فهي متضمنة لكل الإيمان بل هي متضمنة للاقرار وإرسال رسوله وتصديقه واخباره كلها وكال محبته ولا ريب أن هذه أصول الإيمان . والصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه له ومحبته له فكانت من أفضل الأعمال .

فضل الحب في الله والبغض في الله

ومن مناقب هذه الأمة ومزاياها ما جاء من الفضل الكبير والخير الكثير لمن يحب أخاه المسلم لله لا غرض ولا هوى سوى ذلك ، فإذا تحقق بذلك زاد إيمانه وقوى يقينه حتى كأنه يشاهد بعينه حقائق الإيمان ويشعر بأنواره الفياضة في قلبه ويدرك إدراكا خاصا لا يجده إلا من تحقق بذلك المعنى . وهذا معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ . وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أُنْفَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ . »

والمحبة ينال بها صاحبها في الآخرة أنه ينادى عليه المولى جل شأنه على رؤوس الأشهاد فيقول : « أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » (١) .

والمحبة في الله يكون بها صاحبها في الآخرة تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، كما جاء في الحديث :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ قَالَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ » الحديث .

والحب الصادق المخلص ينال منزلة عالية في الجنة تزيد على منزلة محبوبه إذا لم يبادل نفسه الشعور . فقد جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « مَنْ أَحَبَّ رَجُلًا

لله فقال: إني أحبك لله فدخلنا جميعاً الجنة فكان الذي أحب أرفع من الآخر وأحق بالذي أحب لله» (١).

والمحب الصادق يستحق أن يبشر بمحبة الله له على لسان رسول خاص له ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ : « أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله على مדרجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربتها ؟ قال : لا . غير أنني أحبه في الله قال : فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحبته فيه » (٢).

والمتحابون هم جلساء الله يوم القيامة عن يمين العرش على منابر من نور ليسوا بأنبياء ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء .

قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا أن الله عز وجل عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله فجنى رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله إنعتهم لنا جلهم لنا — يعني صنفهم لنا شكلمهم لنا ، فسر وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي فقال رسول الله : هم ناس من أفتاء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتضافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفرغ الناس يوم القيامة ولا يفرعون . وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) . والمتحابون في الله هم في الجنة غرف من زبرجد على عمد من ياقوت لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرر (٤) .

« ولهم غرف يرى ظواهرها من باطنها وبواطنها من ظواهرها » (٥).

(١) رواه البزار بأسناد حسن .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٤) رواه البزار عن ابى هريرة مرفوعاً .

(٥) رواه الطبراني في الأوسط عن بريدة مرفوعاً .

« وقد شهد ﷺ لمن أَحَبَّ لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله بأنه قد استكمل الإيمان » (١).

ومن شرف المحبة الصادقة أنها تجبر الكسر ، وتأخذ بيد الضعيف فتلحقه بالأقوياء ، وتقدم المتأخر إلى الصف الأول ، فيليس ثوبا يتأهل به لينقلب من حال إلى أحسن حال ببركة تشببه بأهل الكمال من أفاضل الرجال وإليك هذه الأحاديث التي تؤيد هذا المعنى :

« عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال : وما أعددت لها ؟ قال لا شيء إلا أتى أحب الله ورسوله . قال : أنت مع من أحببت ، قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ : أنت مع من أحببت ، قال أنس : فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إليهم » (٢).

وفي رواية : أن رجلا من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، متى الساعة قائمة ؟ قال : ويملك ، وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها إلا أتى أحب الله ورسوله . قال : إنك مع من أحببت قال : ونحن كذلك ؟ قال : نعم ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً » (٣).

ورواه الترمذى ولفظه قال : « ما رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجل : يا رسول الله الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله . فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب » (٤).

عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال : « يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعمالهم ، قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت . قال : فإني

(٣) للبخارى .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ! قَالَ : فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ . قَالَ : فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» (١) .

الخصال المكفرة للذنوب

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الله سبحانه وتعالى فتح لها من أبواب الخير والبر ما يغفر لها الذنب ويستر لها العيب ، وبعض تلك الأعمال فيه ضمانات المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة .

فمن تلك الأعمال إسباغ الوضوء ، قال رسول الله ﷺ : « لا يُسْبَغُ الوضوءَ عَبْدٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » (٢) .

ومن ذلك إجابة المؤذن : « قال رسول الله ﷺ : مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المؤذِّنَ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . رَضِيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا .. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٣) . وفي مستخرج أبي عوانة الاسفرايني على صحيح مسلم من رواية سعد بن أبي وقاص « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » فقال رجل متعجبا : ياسعدُ ، ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ فقال : هكذا سمعته من رسول الله ﷺ .

ومن ذلك — صلاة التسابيح ، وفيها أن من فعلها يغفر له ذنبه أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطؤه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

وقد ذكرنا هذه الصلاة في موضع آخر من هذا الكتاب ومن ذلك التأمين في الصلاة — فقد قال ﷺ : « إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تُؤْمِنُ مِمَّنْ وَاَفَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينِ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٤) .

(١) رواه أبو داود .

(٢) أخرجه النسائي والبخاري في مسنده ، وأصل الحديث في الصحيح لكن ليس فيها وماتأخر .

(٣) هكذا في الصحيح .

(٤) أخرجه مسلم . وهو عند البخاري ومالك وأصحاب السنن .

وفي مصنف ابن وهب « غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .
قال الحافظ ابن حجر : هكذا روينا في المجلس الثاني من أمالي عبد الله
الجرجاني .

ومن ذلك صلاة الضحى — فقد روى « أن من صلاها غُفِرَ له ما تقدّم من
ذنبه وما تأخر إلا القصاص » .

قال ابن حجر : إن إسناده ضعيف جداً .

ومن ذلك — القراءة بعد الجمعة .

فقد روى عن النبي ﷺ قال : « إذا سلّم الإمام من صلاة الجمعة قبل أن
يُنْتَهِيَ رِجْلُهُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ
سَبْعاً سَبْعاً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (١) .

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنهما :
« من قرأ بعد صلاة الجمعة فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب
الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، حُفِظَ ما بينه وبين الجمعة الأخرى » .
وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر الفاتحة وقال حُفِظَ أو كُفِيَ من مجلسه ذلك
إلى مثله .

ومن ذلك — فضل القيام في رمضان .

فقد جاء « أن من قام في رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من
ذنبه » (٢) .

وفي رواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (٣) .

(١) قال الحافظ ابن حجر : هكذا رواه أبو الأسعد القشيري وفيه ضعف .

(٢) هكذا رواه أصحاب الصحيح .

(٣) رواه الامام أحمد والنسائي .

ومن ذلك — فضل القيام ليلة القدر .

فقد جاء في الصحيح « أن من قامها غفر له ما تقدم من ذنبه » وفي رواية « ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (١)

ومن ذلك فضل صيام عرفة .

فقد جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ : « أن صيامَ يومِ عرفةَ يُكفِّرُ ذنوبَ السنَّةِ الماضيةِ والمستقبلَةِ .

وفي رواية الحافظ أبا سعيد النقاش عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « الخصال المكفرة للذنوب » .

ومن ذلك — الإهلال من المسجد الأقصى .

فقد جاء في الحديث عن أم سلمة رضی الله عنهما أن النبي ﷺ قال : مَنْ أَهَلَ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ أَوْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ « شك عبد الله . ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال فيه : « غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

ومن ذلك ما جاء في فضل الحاج الخالص .

جاء في الحديث عن عائشة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا خَرَجَ الْحَاجُّ مِنْ بَيْتِهِ كَانَ فِي حِرْزِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ نُسُكَهُ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَإِنْ بَقِيَ حَتَّى يَقْضِيَ نُسُكَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَإِنْفَاقُ دِرْهَمٍ فِي ذَلِكَ الْوَجْهِ يَعْدِلُ أَلْفَ فِيمَا سِوَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .

وفي رواية : « مَنْ قَضَى نُسُكَهُ وَسَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » .

(١) رواه الامام أحمد والطبراني في الكبير .

ومن ذلك — الصلاة خلف مقام إبراهيم .

فقد ذكر القاضي عياض في الشفا : « أن من صَلَّى خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ رَكَعَتَيْنِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمِينِ » (١) .

ومن ذلك — قراءة سورة الحشر وتعليم الرجل ولده القرآن وفي ثبوتها خلاف كبير بين المحدثين .

ومن ذلك — فضل التسبيح والتهليل والتكبير .

بأن من سَبَّحَ مِائَةً وَحَمِدَ مِائَةً وَكَبَّرَ مِائَةً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » (٢) .

ومن ذلك — « أن من قَادَ مَكْفُوفًا أَرْبَعِينَ خَطْوَةً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ » (٣) .

ومن ذلك فضل السعي في حاجة المسلم .

وقد جاء في الحديث : « أن من سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ أَوْ لَمْ تُقْضَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ » والحديث بشواهدة يصلح للإعتبار .

ومن ذلك — ما جاء في فضل المصافحة عن النبي ﷺ حيث قال : « مَا مِنْ عَبْدَيْنِ مُتَحَابِّينِ فِي اللَّهِ — « وفي رواية » ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ وَيُصَلِّيَانِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُمَا ذُنُوبُهُمَا مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ » (٤) .

ومن ذلك ما جاء في فضل الحمد عقب الأكل .

(١) رواها الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه [الحصال المكفرة للذنوب ولم يذكرها تخريجاً لها .
(٢) قال شيخ الإسلام ابن حجر : رواه ابن حبان في فوائده [قلت] وقد رواه أحمد والنسائي بألفاظ مختلفة .

(٣) قال الحافظ ابن حجر قال ابن منده : وهو غريب ، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود رواه ثقات .

(٤) أخرجه ابن حبان ورواه أيضا الإمام أحمد والبخاري وأبو يعلى باختلاف بعض ألفاظه عن أنس ورجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وثقه ابن حبان ولم يضعفه أحد قاله الهيثمي .

فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمنى هذا الطعام ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (١) .
ومن ذلك فضل التعمير في الإسلام .

فقد روى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرّف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء ، الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه ذنوبه فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإجابة إليه فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة » وفي رواية : « أهل السماء » فإذا بلغ ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحييت سيئاته فإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع لأهل بيته » والحديث بطرقه يصلح للاعتبار .

سعة رحمة الله لهذه الأمة بفتح أبواب التوبة

ومن شرف هذه الأمة وفضلها ما جعله الله تعالى لها من سعة أبواب رحمته وعظيم تفضله بفتح أبواب التوبة والترغيب فيها والحث على المبادرة إليها .

قال ﷺ : « إن الله عز وجل يسقط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسقط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (٢) .

وقال ﷺ : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه » (٣) .

وقال ﷺ : « إن من قبل المغرب لباباً مسيرة عرضه أربعون عاماً أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه » (٤) .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن غريب قال الحافظ ابن حجر في كتابه الخصال المكفرة للذنوب : إسناده حسن .

(٢) رواه مسلم والنسائي .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى والبيهقى واللفظ له وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وقد فتح لنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باب الرجاء وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى بقوله :
﴿ لو أخطأتم حتى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » (٢) .
وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ .
فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ . فَعَفَّرَ لَهُ . ثُمَّ مَكَثَ
مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ — وَرَبَّمَا قَالَ — ثُمَّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ يَا رَبِّ إِنِّي
أَذْنِبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي . قَالَ رَبُّهُ عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ .
فَعَفَّرَ لَهُ . ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ — وَرَبَّمَا قَالَ ثُمَّ أَذْنِبْتُ ذَنْبًا آخَرَ
فَقَالَ : يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنِبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ رَبُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ
وَيَأْخُذُ بِهِ ، فَقَالَ رَبُّهُ : غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ » (٣) .

ومعنى قوله : فليعمل ما شاء ، أى أنه بعد هذا العفو المتكرر وتلك المغفرة
المتتابعة سيحصل عنده بفضل الله من الحياء ما يمنعه عن المخالفة ويحجزه عن
المعصية . وذلك ببركة استغفاره وتوبته . وهذا يدل على فضل الاستغفار والتوبة . وأن
ملازمتها والحرص عليها والإشتغال بها تعود على العبد بخيرات كبيرة وبركات عظيمة .
منها عظيم حياؤه من الله الذى يعفه عن المعاصى والمخالفات حتى لو قيل له فرضا
إفعل ما شئت من المعاصى فإنه لا يفعل . هذا هو المعنى الذى وقع فى قلبى وقيل
غير ذلك .

ومن خصائص هذه الأمة أن التوبة الصادقة ترفع العبد إلى أعلى درجات
الكمال وأرفع مراتب الجلال فيعلو ويعلو بل قد يزيد على كثير من أرباب الأعمال
والمجاهدات .

عن عمران بن حصين رضى الله عنه « أَنْ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزُّنَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ فِدَعَا نَبِيُّ اللهِ

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَّهَا فَقَالَ : أَحْسِنُ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعْتَ فَأَتِنِي بِهَا فَفَعَلَ فَأَمَرَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فُرِجَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : تُصَلِّي عَلَيْهَا يَارَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ رَزَتْ ؟ قَالَ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ عِزَّ وَجَلَّ « (١) » .

ومن مزايا هذه الأمة « أن العبد إذا تاب أنسى الله تعالى الملائكة الذين يُحصون سيئاته ذنوبه وأنسى جوارحه وآثاره ذلك . حتى يلقي الله تعالى يوم القيامة وليس عليه شاهدٌ من الله بذنبٍ » (٢) .

وقد جاء في الحديث : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٣) .
« بل أن مجرد الندم توبة » (٤) . وجاء عن عائشة رضی الله عنها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أنه قال : ما علم الله من عبدٍ ندامةً على ذنبٍ إلا غفرَ له قبل أن يستغفره منه » (٥) .

وقد بشر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بقبول التوبة والترغيب في عدم اليأس وقذف الرجاء والأمل في قلوب العصاة فقال : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

وقال في الحديث : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا وَتَسْتَغْفِرُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » (٦) .

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المولى عز وجل يفرح بتوبة عبده أشد الفرح فقال : قال الله عز وجل : ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي . وَاللَّهُ لَلَّهْ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاحِ وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَمَنْ

(١) رواه مسلم .

(٢) جاء ذلك في حديث رواه الاصبهاني .

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه .

(٥) رواه الحاكم .

(٦) رواه مسلم وغيره .

تَقَرَّبَ إِلَى ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولٌ ﴿١﴾
 ومعلوم أن هذا التقرب المشار إليه بالشبر والذراع والباع والمشى والهرولة ليس
 على حقيقته المتصورة في الذهن البشري . والدليل على ذلك ما جاء في الحديث
 الآخر وهو أن النبي ﷺ بعد أن نَقَلَ هذا الحديث قال : « وَاللَّهِ أَغْلَى وَأَجْلُّ وَاللَّهُ
 أَغْلَى وَأَجْلُّ وَاللَّهُ أَغْلَى وَأَجْلُّ » (٢) .
 فقوله : وَاللَّهُ أَغْلَى وَأَجْلُّ أكبر دليل وأعظم برهان على أن حقيقة اللفظ
 المتبادرة إلى الذهن غير مرادة قطعاً .

ومعنى الحديث أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده ويفرح أشد مما يرضى ويفرح
 رجل ضاعت عليه ناقته بصحراء منقطعة ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه ومتاعه وكان
 قد يئس منها يأساً استسلم معه إلى الموت . ويصوِّر ﷺ شدة فرح هذا الرجل
 بقوله : ثم قال من شِدَّةِ الْفَرَجِ . « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ
 الْفَرَجِ » (٣) .

وجاء في الحديث : « عن أبي طویل شطب الممدود أنه أتى النبي ﷺ
 فقال : أَرَأَيْتَ مَنْ عَمِلَ الذَّنُوبَ كُلَّهَا وَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئاً وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً
 وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَنَا هَذَا فَهَلْ لِدَافِعٍ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قال : فَهَلْ اسْلَمْتَ ؟ قال : أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ
 أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قال : تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ فَيَجْعَلُنَّ
 اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ . قال : وَغَدْرَاتِي وَفَجْرَاتِي ؟ قال : نَعَمْ . قال : اللَّهُ أَكْبَرُ .
 فما زال يكبر حتى توارى » (٤) .

(١) رواه مسلم واللفظ له والبخارى بنحوه .

(٢) رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البزار والسطبراني .

ومعنى قوله : ولم يترك حاجة ولا داجة أى الحاجة الصغيرة والحاجة الكبيرة .
 ومعنى غدراتى . أى أفعال الذميمة التى نقضت فيها العهد وختت .
 ومعنى : فجراتى : إرتكائى المعاصى وفعل الموبقات .
 ومعنى : حتى توارى : أى اختفى عن اعين الناظرين .

فضل البكاء من خشية الله

ومن شرف هذه الأمة المحمدية ما جاء في فضل البكاء من خشية الله . وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن الباكي من خشية الله هو من السبعة الذين يُظلمهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه وأنه لا يعذب يوم القيامة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عيناَن لا تمسهما النار . عينٌ بكى من خشية الله وعين باتت تحرسُ في سبيلِ الله » ^(١) .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يُلج النار رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعودَ اللبنُ في الضرع . ولا يجتمع غبارٌ في سبيلِ الله ودخانُ جهنمَ » ^(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسهم بكى معهم فبكينا ببكائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مُصِرّاً على معصية ولو لم تُذنبوا لَجاءَ الله بقوم يُدبُونَ فيَعْفِرُ لهم » ^(٣) .

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غصت عن محارم الله . وعين سهرت في سبيلِ الله . وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل » ^(٤) .

عن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَعْرَوْرَقَتْ عَيْنٌ بِمَائِهَا إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ ذَلِكَ الْجَسَدِ عَنِ النَّارِ . وَلَا سَأَلَتْ قَطْرَةٌ عَلَى حَدِّهَا فَيَرَهَقَ ذَلِكَ

(١) رواه الترمذى : وقوله تحرس في سبيل الله . أى ظلت طول ليلها يقظة ساهرة ترقب جيوش الأعداء على كتب وتحفظ مكان جيوشها .

(٢) رواه الترمذى والنسائى والحاكم : ومعنى ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم أى ان من جاهد في سبيل الله وحضر المعارك وجاهد لا يشم دخان النار أبداً .

(٣) رواه البيهقى .

(٤) رواه الاصبهانى .

الوجه قتر ولا ذلة ، ولو أن باكيا بكى في أمة من الأمم رجموا . وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة فإنه تُطفأ بها بحار من نار ^(١) .

وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم أن تلك الدموع التي تكون بسبب الخوف من الله هي أحب إلى الله سبحانه وتعالى . فقال : ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله . وأما الأثران فأثر في سبيل الله . وأثر في فريضة من فرائض الله عز وجل ^(٢) .

فضل حسن الظن بالله وعظيم الرجاء فيه

ومن فضائل هذه الأمة المحمدية ما جعله الله تعالى لها من الثواب العظيم والأجر الكبير على حسن الظن به وعظيم الرجاء في فضله .

جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : ﴿ يَا بَنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا بَنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا بَنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِهَا مَغْفِرَةً ﴾ ^(٣) .

« وجاء أن حُسنَ الظنِّ من حُسْنِ العبادَةِ » ^(٤) .

وحسن الظن بالله مُحْتَمٌّ عند الموت . لذلك جاء في الحديث « عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله عز وجل » ^(٥) .

« ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله يارسول الله وإني أخاف ذنوبي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمته مما يخاف » ^(٦) .

(١) رواه البيهقي : قوله يرهق . أى يغطي بشدة . وقوله قتر : دخان صاعد .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣) رواه الترمذى : وقوله قراب الأرض أى ما يقارب ملأها .

(٤) رواه أبو داود وابن حبان .

(٥) رواه مسلم .

(٦) رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى الدنيا .

وعن حيان ابى النصر قال : خرجت عائداً ليزيد بن الأسود فلقيت وائلة بن الأسقع وهو يريد عيادته فدخلنا عليه . فلما رأى وائلة بسط يده وجعل يشير إليه فأقبل وائلة حتى جلس فأخذ يزيد بكفّي وائلة فجعلهما على وجهه . فقال له وائلة كيف ظنك بالله ؟ قال : ظني بالله والله حسنٌ . قال : فأبشّر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله جلّ وعلا أنا عند ظنّ عبدى بى إن ظنّ خيراً فله . وإن ظنّ شراً فله « (١)

ومعنى قوله : أنا عند ظن عبدى بى أى أحقق له ما يظنه في من قبول رجعته ومغفرة خطيئته وإجابة دعوته .

ومعلوم أن العبد لا يحصل له ذلك إلا إذا كمل فيه حسن ظنه بربه . فإذا كمل حسن ظنه بربه حصل منه ما يناسب ذلك من صدق الإقبال وصحة التوبة وكثرة الاستغفار والدعاء وطرق أبواب الخير . فهذا كله من ثمرات حسن الظن وإذا حصل ذلك منه كيف لا يكون عنده مولاة ؟ وكيف لا يحقق ظنّه ورجاه ؟ .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « والذى لا إله غيره لا يُحسنُ عبدٌ بالله الظنَّ إلا أعطاه ظنُّه وذلك لأنَّ الخيرَ فى يده » (٢)

وعن أبى هريرة رضى الله قال : « قال رسول الله ﷺ أمرَ الله عز وجل بعبدٍ إلى النارِ فلما وقف على شفتِها التفتَ فقال : أما والله ياربُّ إن كان ظنّى بك لحسنٌ فقال الله عز وجل : رُدُّوه أنا عند حُسنِ ظنِّ عبدى بى » (٣)

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البيهقى .

مضاعفة ثواب العاملين في زمان الفتنة

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن العمل الصالح يتضاعف ثوابه عند فساد الزمان حتى أن العامل في زمن الفتنة له أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله .

قال صلى الله عليه وسلم : « ائْتَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحاً مُطَاعاً وَهَوًى مَتَّبِعاً وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ . فَإِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ . الصَّبْرُ فِيهِنَّ مَثَلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مَثَلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مَثَلِ عَمَلِهِ » (١) .

وفي رواية : قيل يا رسول الله « أجر خمسين رجلاً مِنَّا أو منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم » (٢) .

وقوله في الحديث : فإن من ورأئكم أيام الصبر — الحديث أى أن كبح جماح النفس عن المعاصى صعب مر ومحرق مثل القبض على النار ولكن في ذلك ثوابا لمن اتقى الله واجتنب صحبة الفساق والأشرار فالعابد يعطيه الله أجر خمسين ممن عمل مثله .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أن العبادة في زمن الفتنة تُساوى في الثواب الهجرة إليه » (٣) .

فضل الغني الشاكر والفقير الصابر

ومن شرف هذه الأمة المحمدية أن الفضل والثواب يشمل الغني الشاكر والفقير الصابر . فأما الغني فبإنفاقه السخى وإحسانه إلى إخوانه يقرض هذا ويجيز كسر هذا ويسد دين هذا ويبدل في سبيل الإسلام ونصرة الدين ومساعدة المجاهدين .

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وأبو داود بزيادة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه مسلم .

وأما الفقير فبصبره وقناعته ورضاه مع توفر دواعي الشر عنده من الحقد والحسد والطمع والاعتراض والقلق وارتكاب المحرمات من السرقة والربا والخداع وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك . ويحتمل أنه طرق أبواب الدنيا وحاول الوصول ونافس الفحول ولكنه لم يفلح ولم ينجح كما هو المشاهد من الواقع الناطق المحسوس فكم من الفقراء لم يقصروا في الأخذ بالأسباب بذلوا وسعهم وأتعبوا فكرهم في الاحتيال فباؤا بالفشل وسوء الحال فهؤلاء بشرهم سيدنا رسول الله ﷺ ببشارات تعوضهم ما فاتهم وتجمع لهم ما ذهب عنهم وتجبر خاطرهم المنكسر في الدنيا بخير الآخرة لأن الله تعالى أكرم من أن يجمع عليهم خسارتين ويتعسهم مرتين .

ولذلك يقول ﷺ : « أَطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ » (١) .
« وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : هل تدرُونَ أَوَّلَ من يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عز وجل ؟ قالوا : اللَّهُ ورسوله أعلم . قال : الفقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثُّغُورُ وتُتَّقَى بهم المَكَارِهِ ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته : انْتَهُم فَحَيُّوهُمْ فتنقول الملائكة : رَبَّنَا نحن سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخَيْرُتِكَ من خَلَقِكَ أَفْتَأْمُرْنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلاءِ فَنَسَلِّمَ عَلَيْهِم . قال : إِنْهم كانوا عبادا يعبدوننى ولا يشركون بى شيئاً وَنُسَدُّ بهم الثُّغُورُ وَتُتَّقَى بهم المَكَارَهُ . ويموت أحدهم وحاجته في صدره . لا يستطيع لها قضاءً . قال : فتنأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كُلِّ بابٍ سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدارِ » (٢) .

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه أحمد والبخاري وابن حبان .

قوله : تسد بهم الثغور أى يكونوا عرضة لصد هجمات الأعداء وحصونا قوية منيعة لرد الخصوم الكفار الفجار .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن حوضى ما بين عدن إلى عمان أكوابه عددُ النجومِ ماؤه أشدُّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وأكثر الناس وروداً عليه فقراءُ المهاجرين . قلنا يارسول الله صِفْهُمْ لنا . قال : شعثُ الرؤوسِ دُئسُ الثيابِ الذين لا يَنكِحونَ المتَّعَماتِ ولا تُفْتَحُ لهم السُّدَدُ الذين يُعْطونَ ما عليهم ولا يُعْطونَ ما لهم » (١) .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراءُ هذه الأمة ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا ووليت الأموال والسلطانَ غيرنا . فيقول الله جل وعلا : صدقتم . قال : فيدخلون الجنة قبل الناس . ويبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان . قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : يوضع لهم كراسي من نورٍ ويظلل عليهم الغمامُ يكون ذلك يومُ أقصرَ على المؤمنين من ساعةٍ من نهار » (٢) .

وعن سعيد بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن فقراء المسلمين يزفون كما تزف الحمام . فيقال لهم : قفوا للحساب فيقولون : والله ما تركنا شيئاً نحاسبُ فيقول الله عز وجل : صدق عبدى . فيدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاماً » (٣) .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « كنت عند رسول الله ﷺ يوماً فطلعت الشمسُ فقال : يأتي قومٌ يومَ القيامةِ نورهم كنورِ الشمس . قال أبو

(١) رواه الطبراني . وابن ماجه والترمذى بنحوه .

قوله : شعث الرؤوس أى رعوسهم متغيرة متلبدة .

قوله : دنس الثياب أى ملبسهم بالية قذرة .

قوله : المتعلمات أى السيدات المترفة اللاتي لا يساعدن على تقوى الله .

ومعنى قوله : ولا تفتح لهم السدد الخ أى يؤدون الواجب وحقوق الناس كاملة وحقوقهم مهضومة وأموالهم يطعم الناس فيها لتساعدهم ولعكوفهم على العبادة .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان .

(٣) رواه الطبراني وابن حبان .

بكر : نحن هم يارسول الله ؟ قال : لا ولكم خير كثير ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يُحشرون من أقطار الأرض « (١) الحديث .

وعن حارثة بن وهب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا أُخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مُستضعف لو يُقسِمُ على الله لأبره . ألا أُخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر « (٢)

وقد بين ﷺ حقيقة الغنى وحقيقة الفقر بقوله لأبى ذر :

« يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى ؟ قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : فَتَرَى قَلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ » الحديث .

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه : « أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخرُّ رجالاً من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب : هؤلاء مجانين أو مجانون فإذا صلى ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتهم أن تزادوا فاقةً وحاجةً » (٣)

فضل الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

ومن فضل هذه الأمة ما بشر به ﷺ المقبلين على طاعة الله المشمرين في رضاه وطلب جنته المسارعين إلى مغفرته ورحمته الراغبين في الآخرة المعرضين عن الدنيا — بشرهم بالغنى وجمع الشمل ومحبة الناس ومودتهم لهم . وتيسير أمرهم وتسخير الدنيا لهم وكفاية الله لهم .

(١) رواه أحمد والطبراني .

(٢) رواه النسائي وابن حبان .

(٣) رواه الترمذى وابن حبان .

جاء في الحديث القدسي : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى .
 وأملأ يديك رزقا . يا ابن آدم لا تُباعد مني أملأ قلبك فقراً وأملأ يديك شغلاً » (١)
 وبقوله ﷺ : « تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإنه من كانت الدنيا أكبر
 همّه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همّه جمع الله
 عز وجل له أموره وجعل غناه في قلبه وما أقبل عبداً بقلبه إلى الله عز وجل إلا جعل
 الله لقلوب المؤمنين تفضداً إليه بالوُدِّ والرحمة ، وكان الله عز وجل إليه بكل خيرٍ
 أسرع » (٢) .

وبقوله ﷺ : « من كانت الدنيا نيتته فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين
 عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتبت له ومن كانت الآخرة نيتته جمع الله له أمره
 وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » (٣) .
 واعلم أنه ليس المراد من هذه الأحاديث حث الناس على ترك العمل والسعى
 في الدنيا والأخذ بالأسباب — لا !

بل إن العمل والسعى في طلب الدنيا في إعتبار الإسلام عبادة مادام أنه يحفظ
 به نفسه وأهله وماله وينفع إخوانه .

والمقصود المعتر عند ذوى البصائر هو ذم المقبلين على الدنيا إقبالاً يقطعهم
 عن الآخرة بحيث تتمكن من قلوبهم فتعظم عندهم حتى يعز عليهم إنفاقها ويؤلمهم
 إخراجها وتملاً عليه فراغهم حتى تقطعهم عن أهم الواجبات الشخصية والفرائض
 العينية .

(١) رواه الحاكم .

قوله : أملأ قلبك غنى ، أى قناعة وبسطة ورخاء وسعة .

وقوله : أملأ يديك شغلاً . أى اجعل أعمالك كثيرة بلا فائدة وأسلط عليك الدنيا تسخرك بجشعها .

(٢) رواه الطبراني فى الكبير والأوسط والبيهقى فى الزهد .

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني .

وهذا معنى قوله في الأحاديث السابقة (فإنه من كانت الدنيا أكبر همه) نهاية ما يرجو من كده . ويقابله قوله (ومن كانت الآخرة أكبر همه) ولم يقل همه — ليبين أن من اشتغل بشيء من الدنيا للمقاصد المحمودة فعمله محمود خارج عن المذمة .

وعلى هذا تحمل جميع ألفاظ الأحاديث الواردة في هذا الباب كقوله ﷺ : « مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ » (١) .

ومعنى قوله جعل الله فقره بين عينيه أى أنه مهما سعى وجمع فإنه لا يرى نفسه إلا فقيراً ومهما اجتهد في الدنيا وتعب فإنه لا يرى نفسه إلا مقصراً ومهما سهر وكد فإنه يرى انه لا زال محتاجاً فيواصل كده وجهده وتعبه مع هذا الشعور والإحساس حتى لا يستقر له بال ولا تهدأ له نفس ولا يطمئن له قلب ولا تثبت له غاية بل يجرى في هذه الدنيا كالحمار حتى انه لا يستفيد هو من دنياه هذه بفائدة تجمع عليه نفسه وتقرّ له عينه ، وبهذا يكون قد خسر الدنيا والآخرة .

فضل الصبر على البلياء

ومن فضائل هذه الأمة وشرفها ما جعله الله تعالى لها من الفضل والثواب على الصبر .

عن أبى مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نَوْرٌ وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقِرَاءُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَعْدُو فَبَائِعِ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا » (٢) .

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه مسلم .

قال العلقمى : قال النووي : معناه الصبر المحبوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاه فى الدنيا ، والمراد أن الصبر المحبوب لا يزال صاحبه مستضيئا مهتديا مستمرا على الصواب .

قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقال الأستاذ أبو على الدقاق : حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار البلاء لا على وجه الشكوى فلا ينافى الصبر . قال تعالى فى أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ مع أنه قال : ﴿ مَسْنَى الضَّرِّ ﴾ .

ومعنى ﴿ والقرآن حجة لك ﴾ أى تنتفع به إن تلوته وعملت به أو عليك إن أعرضت عنه .

ومعنى ﴿ كل الناس يغدو ﴾ أى يتوجه نحو ما يريد .

وقوله : ﴿ فمعتقها أو موبقها ﴾ أى فمبعدها من النار أو مهلكها . قال العلقمى : معناه أن كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها : أى يهلكها كأنه قيل : ما حال الناس بعد ذلك ؟ فأجيب : كل الناس كذا وكذا .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن الصابر من المهتدين الأمين .

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ وَأُتِيْلَى فَصَبَرَ وَظَلَمَ فَاسْتَعْفَرَ وَظَلِمَ فَعَفَرَ . ثُمَّ سَكَتَ . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَهُ ؟ قَالَ أَوْلَتْكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » (١) .

والصبر هو باب الفرج : قال النبى صلى الله عليه وسلم « الصَّبْرُ مِعْوَلُ الْمُسْلِمِ » (٢) .
والصبر على البلاء كفارة وطهرة للعبد .

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أُبْتَلِيَ اللهُ عَبْدًا بِبِلاءٍ وهو على طريقةٍ يَكْرَهُهَا إِلَّا جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ الْبِلاءَ كَفَّارَةً وَطَهْرًا »

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه رزين : وقوله معول المسلم : أى الذى يعتمد عليه ويستعين به فى إزالة همومه .

ما لَمْ يُنَزَلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ فِي كَشْفِهِ » (١)

ومن فضائل هذه الأمة أن شدة البلاء على الواحد منا بحسب قوة الدين .

عن ابن المسيب عن أبيه عن سعد قال : « سئل رسول الله ﷺ أيُّ الناس أشدُّ بلاءً ؟ قال : الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلى الناسُ على حسبِ دينهم . فمن ثخنَ دينه اشتدَّ بلاءؤه . ومن ضعفَ دينه ضعفَ بلاءؤه . وإن الرجلَ ليُصيبه البلاءُ حتى يمشي في الناسِ ما عليه خطيئةٌ » (٢)

أما في الآخرة فقد جاء في حق أهل البلاء من الثواب ما يتمنى معه أهل العافية أن لو انغمسوا في البلاء انغماساً .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : يُؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ثم يُؤتى بالمتصدق فيُنصب للحساب ثم يُؤتى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ولا يُنصب لهم ديوان . فيُنصب عليهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قُرِضت بالمقاريض من حسن ثواب الله » (٣)

وقد بشر الله سبحانه وتعالى المؤمن المبتلى بما يطمئن قلبه ويسليه ويثبته ويواسيه .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أحبَّ الله عبداً أو أراد أن يُصفيه صبَّ عليه البلاء صبا . ونجَّه عليه نجا . فإذا دعا العبدُ قال : ياربِّاهُ قال الله : لبيك يا عبدي لا تسألني شيئا إلا أعطيتك إماماً أن أعجله لك وإما أن أدخره لك » (٤)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من يُرد الله به خيراً يُصب منه » (٥)

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه الطبراني في الكبير .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا .

(٥) رواه مالك والبخاري : قوله يصب منه : يوجه إليه مصيبة .

وَبَشَّرَ اللَّهُ الْمُبْتَلَى الصَّابِرِ بِمَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَدْرِكُهَا إِلَّا بِذَلِكَ الْبَلَاءِ . فَقَالَ :
 « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يُبَلِّغْهَا بِعَمَلٍ ابْتِلَاؤُهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ
 ثُمَّ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبَلِّغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١) .

والبلاء اختبار من الله سبحانه وتعالى ليظهر الصافي الصادق من غيره .
 ولذلك جاء منه ﷺ أنه قال : « ان الله ليجرب أحدكم بالبلاء كما يجرب أحدكم
 ذهبه بالنار ، فممنه ما يخرج كالذهب الإبريز فذاك الذي حماه الله من الشبهات ،
 ومنه ما يخرج دون ذلك فذلك الذي يشكك بعض الشك ، ومنه ما يخرج كالذهب
 الأسود فذاك الذي أفتتن » (٢) .

« فَإِذَا أُصِيبَ بِمَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ وَكَتَمَهَا وَلَمْ يَشْكُهَا إِلَى النَّاسِ كَانَ
 حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ » (٣) .
 « وَإِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْعَبْدِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَكْفُرُهَا ابْتِلَاؤُهُ بِالْحَزَنِ لِيُكْفِرَهَا
 عَنْهُ » (٤) .

ولا غرابة في صبر الصابرين على شدة البلاء تطلعا إلى ما عند الله مما هو خير
 وأبقى .

فقد جاء في الحديث عن عطاء بن أبي رباح رضى الله عنه قال : « قال لي ابن
 عباس رضى الله عنهما : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى . قَالَ : هَذِهِ
 الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي .
 قَالَ : إِنْ شِئْتِ صَبْرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ . وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبِكَ ؟ قَالَتْ :
 أَصْبِرُ فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ ، فَدَعَا لَهَا » (٥) .
 ومن البشائر العظمى التي بشر بها ﷺ المبتلى — أن الله تعالى يتكرم عليه
 فيجزى له ثواب عمله الذي كان يعمل قبل مرضه .

(١) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني في الكبير والأوسط .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) جاء هذا في الحديث المرفوع الذي رواه الطبراني .

(٤) جاء هذا في حديث رواه أحمد .

(٥) رواه البخاري ومسلم . وأحمد .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاءٍ في جسده قال الله عز وجل للملك : أكتب له صالح عمله الذى كان يعمل . وإن شفاؤه غسلةً وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه » (١) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عجب للمؤمنين وجزعه من السقم ، ولو كان يعلم ماله من السقم أحب أن يكون سقيماً الدهر ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه إلى السماء فضحك ، فقيل يا رسول الله مِمَّ رَفَعْتَ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ فَضَحَكَ ؟ فقال رسول الله ﷺ عَجِبْتُ مِنْ مَلَائِكَةٍ كَانُوا يَلْتَمِسَانِ عَبْدًا فِي مُصَلَّى كَانَ يُصَلِّي فِيهِ فَلَمْ يَجِدَاهُ فَرَجَعَا فَقَالَا : يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ فَلَانٌ كَتْنَا نَكْتُبُ لَهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْتَهُ عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فَوَجَدْنَاهُ حَبَسْتَهُ فِي حَبَالِكَ (أى أمرضته) قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَكْتُبُوا لِعَبْدِي عَمَلَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْتَهُ وَلَا تَنْقُصُوا مِنْهُ شَيْئًا وَعَلَيَّ أَجْرٌ مَا حَبَسْتَهُ وَهُوَ أَجْرٌ مَا كَانَ يَعْمَلُ ﴾ (٢) .

وبشر الله سبحانه وتعالى العبد الذى فقد بصره بالجنة إذا رضى وحمد .

عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه (أى عينيه) فصبر عَوَضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » (٣) .

وعن عائشة بنت قدامة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عزير على الله أن يأخذ كريمتى مؤمن ثم يدخله النار » (٤) .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ابتلى عبد

(١) رواه أحمد .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

(٣) رواه البخارى والترمذى .

(٤) رواه أحمد والطبراني .

بعدَ ذهابِ دينه بأشدَّ من ذهابِ بصره . ومن ابتلى ببصره فصبرَ حتى يلقى الله لَقِيَ اللهُ تبارك وتعالى ولا حسابَ عليه » (١)

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لن يُبتلى عبدٌ بشيءٍ أشدَّ عليه من الشركِ باللهِ وَلَنْ يُبتلى عبدٌ بشيءٍ بعدَ الشركِ باللهِ أشدَّ عليه من ذهابِ بصره ولن يُبتلى عبدٌ بذهابِ بصره فصبرَ إلاَّ غفرَ اللهُ له » (٢)

وقد بشر الله تعالى المريضَ ببشاراتٍ كثيرةٍ منها أنه إذا قال : ﴿ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا اله إلاَّ اللهُ ولا شريكَ له ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، له المُلْكُ وله الحمدُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ — ثم ماتَ فى ذلك اليومِ أو فى تلك اللَّيْلَةِ أو فى ذلك الشَّهْرِ غُفِرَ ذَنْبُهُ ﴾ (٣)

ومنها أنه إذا قال : « لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ إنى كنتُ من الظالمينَ ودعأها فى مرضه أربعين مرةً فمات فى مرضه ذلك أُعْطِيَ أَجْرَ شهيدٍ وإن برأ برأ وقد غُفِرَ له جميعُ ذُنُوبِهِ » (٤)

وجاء عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال : لا اله إلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ صَدَقَهُ رَبُّهُ فقال : لا إلهَ إلاَّ أنا وأنا أَكْبَرُ . وإذا قال : لا إلهَ إلاَّ هو وحده قال : يقول لا إلهَ إلاَّ أنا وحدي . وإذا قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له قال : يقول : صدقَ عبدى لا إلهَ إلاَّ أنا وحدي لا شريكَ لي ، وإذا قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له ، له المُلْكُ وله الحمدُ قال : يقول لا إلهَ إلاَّ أنا لي المُلْكُ ولي الحمدُ ، وإذا قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ . قال : لا إلهَ إلاَّ أنا ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بى ، وكان يقول : من قالها فى مرضه ثم مات لم تَطْعَمهُ النَّارُ » (٥)

(١) رواه البزار .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه النسائى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ .

(٤) رواه الحاكم عن سعد بن مالك عن مالك عن النبى ﷺ .

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم .

ومنها أنه إذا قال : « سبحانَ المَلِكِ القُدُوسِ الرَّحْمَنِ الدِّيانِ لا إلهَ إلا أنْتِ مُسْكِنِ العُرُوقِ الضَّارِبَةِ ومُنِيمِ العُيُونِ السَّاهِرَةِ — شفاهُ اللهُ تعالى » (١) .
ومنها أن دعوته مستجابة ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إذا دخلت على مريض فمره يدعوك ! فإن دُعاه كدعاء الملائكة » (٢) .
وقال : رسول الله ﷺ : « عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم فإن دعوة المريض مُستجابةٌ وذنبه مغفورٌ » (٣) .
وقال ﷺ : « لا تُردُّ دعوةَ المريضِ حتَّى يبرأ » (٤) .

فضل عيادة المرضى

ومن فضائل هذه الأمة ما جعله الله تعالى من الثواب العظيم والأجر الكريم على عيادة المريض .

قد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « من عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماء : طِبْتَ وطابَ ممسكُك وتبوات من الجنة منزلاً » (٥) .
وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في حُرْفَةِ الجنةِ حتَّى يرجع قيل : وما حُرْفَةُ الجنةِ ؟ قال : جناها »

وعن أنس رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في حُرْفَةِ الجنةِ حتَّى يرجع قيل : وما حُرْفَةُ الجنةِ ؟ قال : جناها » (٦) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه ابن ماجه ورواه ثقات .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا .

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان .

(٦) رواه أحمد ومسلم والترمذى : قوله حُرْفَةُ الجنةِ أى ما يجتنى من نخلها .

الْوُضُوءَ وَعَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مُحْتَسِبًا بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا . قُلْتُ يَا أَبَا حَمْرَةَ مَا الْخَرِيفُ ؟ قَالَ : الْعَامُّ » (١)

وعن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدُوَّةَ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمَسِّي . وَإِنْ عَادَ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ » (٢)

وروى عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرْتَهُ الرَّحْمَةُ . قَالَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ فَمَا لِلْمَرِيضِ ؟ قَالَ تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ » (٣)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا » (٤) .
ومن خصائص هذه الأمة الحميدة ومزاياها العديدة ما جعله الله تعالى من الثواب لمن مات غريبا منهم .

فمن ذلك أنه يعطى في الجنة مكانا خاصا زائدا على غيره بمقدار ما بين مولده وبين مكان موته .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مات رجل بالمدينة ممن وُلِدَ بها . فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ : « يَا لَيْتَهُ مَاتَ بغيرِ مَوْلِدِهِ قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِنْ الرَّجُلُ إِذَا مَاتَ بغيرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ بَيْنَ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ » (٥)

ومنها أن الذي يموت غريبا فإنه شهيد .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَوْتُ غُرْبَةٍ شَهَادَةٌ » (٦) .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمذي .

(٣) رواه أحمد ورواه ابن ابى الدنيا والطبراني في الصغير والأوسط .

(٤) رواه مالك بلاغا وأحمد ورواه رواة الصحيح والبخاري وابن حبان والطبراني .

(٥) رواه النسائي واللفظ له . وابن ماجه وابن حبان في صحيحه .

(٦) رواه ابن ماجه .

قال رسول الله ﷺ ذات يوم : « ما تُعدُّون الشهيد فيكم ؟ قلنا يا رسول الله . من قُتِلَ في سبيل الله قال : إن شهداء أمتي إذا قَلِيلٌ . من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ والمتردَّى شهيدٌ والثَّفَسَاءُ شهيدٌ والعَرِيْقُ شهيدٌ والسُّلُّ شهيدٌ والحريقُ شهيدٌ والغريبُ شهيدٌ » (١) .

فضل القيام بأمر الموتى وشفاعة المصلين لهم وان خيار هذه الأمة شهداء الله في الأرض

ومن الفضائل التي أخبر بها ﷺ ما جاء في فضل تغسيل الموتى وتكفينهم وحفر القبور لهم والصلاة عليهم .

فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : « من غسل ميتاً فكتَمَ عليه غَفَرَ اللهُ له أربعين كَبِيرةً . ومن حَفَرَ لِأَحِيهِ قَبْرًا حَتَّى يُجِئَهُ (أى يَدْفِنَهُ) فَكَأَنَّمَا أَسْكَنَهُ مَسْكَنًا حَتَّى يُبْعَثَ » (٢) .

وفي رواية : « من غسل ميتاً فكتَمَ عليه غَفَرَ اللهُ له أربعين مرةً ومن كَفَنَ ميتاً كَسَاهُ اللهُ من سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ في الجنة ، ومن حَفَرَ لِمَيْتٍ قَبْرًا فَأَجَنَّهُ فِيهِ أُجْرَى اللهُ لَهُ من الأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكِنٍ أَسْكَنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (٣) .

وفي رواية : « من حَفَرَ قَبْرًا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجنة . وَمَنْ غَسَلَ مَيْتًا .. خَرَجَ من ذنوبه كيومِ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ ، وَمَنْ كَفَنَ مَيْتًا كَسَاهُ اللهُ من حُللِ الجنة ، ومن عَزَى حَزِينًا أَلْبَسَهُ اللهُ التَّقْوَى وَصَلَّى على رُوحِهِ في الأَرْوَاحِ ومن عَزَى مُصَابًا كَسَاهُ اللهُ حُلَّتَيْنِ من حُللِ الجنة لا تَقُومُ لهما الدنيا ومن تَبَعَ جَنَازَةً حَتَّى يُقَضَى دَفْنُهَا كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلَاثَةَ قَرَارِيطٍ . القِرَاطُ منها أعظَمُ من جبل أُحُدٍ . ومن كَفَلَ يَتِيمًا أو أَرْمَلَةً أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّهِ وَأَدْخَلَهُ الجنة » (٤) .

وجاء في فضل تشييع الجنائز : « أَنْ مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه الطبراني في الكبير .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط .

قِيْرَاطٌ ، ومن شَهِدَهَا حتَّى تُدْفَنَ فله قِيْرَاطَان . قيل : وما القِيْرَاطَانِ ؟ قال مِثْلُ
الجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ « (١) .

وقد أكرم الله تعالى الميت من هذه الأمة بأن جعل صلاة من يصلى عليه
شفاعة له .

يقول ﷺ : « ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم
يشفعون له إلا شفعوا فيه » (٢) .

وقال ﷺ : « ما من رجل يصلى عليه مائة إلا غفر الله له » (٣) .
وعن مالك بن هبيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب — أى
استحق دخول الجنة — » (٤) .

وكان مالك إذا استقبل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث .
وروى عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من عزى مصاباً فله مثل
أجر صاحبه » (٥) .

وعن كريب « أن ابن عباس رضى الله عنهما مات له ابن بقديد أو بعسفان
فقال : يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس ؟ قال : فخرجت فإذا ناس قد
اجتمعوا فأخبرته فقال : تقول هم أربعون ؟ قال : قلت نعم قال : أخرجوه . فأتى
سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون
رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه » (٦) .

واكرم الله سبحانه وتعالى هذه الأمة أيضاً فجعل السنة الخيار منهم علامات
على الخير ودلائل على الهدى وشهادة صادقة على حسن الحال وخير المال .

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

عن أنس رضى الله عنه قال : « مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَيْتَنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَيْتَنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ . فَقَالَ عُمَرُ : فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَيْتَنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتُ : وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ . وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَتَيْتَنِي عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ وَجِبْتُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجِبْتُ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجِبْتُ لَهُ النَّارُ . أَنتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ » (١) .

وفي رواية : قال النبي ﷺ : « أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ نَفَرٍ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ : فَقُلْنَا : وَثَلَاثَةٌ ؟ فَقَالَ : وَثَلَاثَةٌ . فَقُلْنَا : وَاثْنَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَانِ . ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ » (٢) .

وفي رواية : قال النبي ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ آيَاتٍ مِنْ جِوَارِهِ الْأَدْنِيِّينَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا إِلَّا قَالَ اللَّهُ : قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ . »

تعريف الأمة المحمدية بأمر البرزخ

وما أكرم الله تعالى به هذه الأمة أنه حصل عندها العلم الكامل بما سيكون في البرزخ وما يجرى في ذلك العالم حتى صار الأمر المغيب كالمشهود المرئي .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ . وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقَالُ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ . فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصْبِيحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ » (٣) .

(١) رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى واللفظ له ومسلم .

وقد صرح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رواية أخرى بما يؤيد ما لهذه الأمة من الكرامة . إذ خصَّها بالحديث الذي لم يردَّ على لسان نبيٍّ من قبْل ، وميَّزها بما أطلَعها عليه من ذلك الغيبِ المكنون فقال بعد أن استعاذَ بالله من فتنةِ الدجال ومن فتنةِ عذابِ القبر : « أَمَا فِتْنَةُ الدَّجَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ وَسَأَحَدْتِكُمْ بِحَدِيثٍ لَمْ يُحَدِّثْهُ نَبِيٌّ أُمَّتُهُ ، إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِئْسَ يُفْتَنُونَ وَعَنِي يُسْأَلُونَ . فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْجٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْإِسْلَامِ ؟ فَيَقَالُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ فَتَفَرَّجَ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يُحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا فَيَقَالُ لَهُ : أَنْظِرْ إِلَى مَا وَقَّاكَ اللَّهُ ثُمَّ تُفَرَّجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، وَيَقَالُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مَتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءَ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرَجًا مَشْعُوفًا فَيُقَالُ لَهُ : فَمَا كُنْتَ تَقُولُ . فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا فَيُفَرَّجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا فَيَقَالُ : لَهُ أَنْظِرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ ثُمَّ يُفَرَّجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يُحِطُّ بِبَعْضِهَا بَعْضًا وَيَقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا ، عَلَى الشَّكِّ كُنْتَ وَعَلَيْهِ مَتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعَذَّبُ » (١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنْ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُؤْتُونَ مُدْبِرِينَ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصَّلَاتِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ فَيُوتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ . ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَمِينِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَسَارِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ ثُمَّ يُوتَى مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قَبْلِي مَدْخَلٌ . فَيَقَالُ لَهُ أُجْلِسْ فَيُجْلِسُ قَدْ مُتَلَّتْ لَهُ الشَّمْسُ وَقَدْ أَدْنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ مَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : دَعَوْنِي حَتَّى أَصَلِّيَ فَيَقُولُونَ

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح .

إِنَّكَ سَتَفْعَلُ . أَخْبِرْنَا عَمَا نَسْأَلُكَ عَنْهُ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ :

فيقول : مُحَمَّدٌ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَى ذَلِكَ مُتٌّ وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا . ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ يُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ عَصَيْتَهُ فَيَزِدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا . ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ وَيُعَادُ الْجَسَدُ كَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسِيمِ الطَّيِّبِ وَهِيَ طَيْرٌ تَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ . فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى ﴾ — الْآيَةُ . وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ . ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ ثُمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ . يُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ فَيَجْلِسُ مَرْغُوبًا خَائِفًا . يُقَالُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ قَبْلَكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ وَمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ فيقول : أَيُّ رَجُلٍ وَلَا يَهْتَدِي لِإِسْمِهِ . يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدٌ . فيقول : لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ . يُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِّتْ وَعَلَيْهِ مُتٌّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ . يُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُؤَبَّرُ ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ . قَالَ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ فَيَزِدَادُ حَسْرَةً وَتُؤَبَّرُ . ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ فَبِنِكَ الْمَعِيشَةُ الصَّنَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (١) .

وفي رواية للطبراني : يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَإِذَا أُتِيَ قَبْلَ رَأْسِهِ دَفَعْتَهُ تَلَاوَةً الْقُرْآنَ وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ يَدَيْهِ دَفَعْتَهُ الصَّدَقَةَ . وَإِذَا أُتِيَ مِنْ قَبْلِ رِجْلَيْهِ دَفَعَهُ مَشْيِهِ إِلَى الْمَسَاجِدِ .

(١) رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

البعث وأهوال يوم القيامة

ومما أكرم الله تعالى به الأمة المحمدية أن النبي ﷺ أخبرنا بما يجرى في البعث وفي أهوال يوم القيامة فأخبرنا عن الصور الذي يُنفخ فيه . وأنه قرنٌ مثل البوق . والنفخ فيه هو عبارة عن صيحة اسرافيل . وأخبرنا عن اسرافيل وأنه له أربعة اجنحة جناحان في الهواء وجناحٌ قد تسرّبَل به وجناحٌ على كاهله والقلم على أُذنه . فإذا نزل الوحي كُتب القلم ثم دُرست الملائكة . ومَلِك الصور جاثٍ على إحدى رُكبتيه وقد نَصَب الأخرى فَالْتَقَمَ الصورَ يَحْنِي ظَهْرَهُ وقد أمر إذا رأى اسرافيل قد ضَمَّ جناحه أن يَنْفُخَ فِي الصُّورِ « (١) .

وأخبر أن الساعة تأتي بغتةً فجأةً وأقسم على ذلك فقال : تَطَّلِعَ عَلَيْكُمْ قَبْلَ السَّاعَةِ سَحَابَةٌ سَوْدَاءُ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَا تَرَالِ تَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ وَتَنْتَشِرُ حَتَّى تَمْلَأَ السَّمَاءَ ثُمَّ ينادي منادٍ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ . قال رسول الله ﷺ : « فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الرِّجْلَيْنِ يَنْشِرَانِ الثَّوْبَ فَلَا يَطْوِيَانِهِ ، وَإِنَّ الرِّجْلَ لَيَمْدُرُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقَى مِنْهُ شَيْئاً أَبَداً ، وَالرِّجْلُ يَحْلُبُ نَاقَتَهُ فَلَا يَشْرِبُهُ أَبَداً » (٢) .

(مدر الحوض أى طينه لئلا يتسرب منه الماء) .

وأخبر عن النَّافِخِينَ . فقال : « إِنَهُمَا فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَشْرِقِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَغْرِبِ . أَوْ قَالَ : رَأْسُ أَحَدِهِمَا بِالْمَغْرِبِ وَرِجْلَاهُ بِالْمَشْرِقِ يَنْتَظِرَانِ مَتَى يُؤَمَّرَانِ أَنْ يَنْفُخَا فِي الصُّورِ فَيَنْفُخَانِ » (٣) .

وأخبر أن الناس يُحْشَرُونَ حُفَاءً عُرَاءً عُرْلًا (٤) . قد أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ وَبَلَغَ شُحُومَ الْأَذَانِ . فقالت أم سلمة وعائشة متعجبتين : يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ؟ فقال ﷺ :

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد .

(٣) رواه أحمد بأسناد جيد .

(٤) الغرل بضم العين واسكان الراء جمع اغرل وهو الاقلف . والقلفة هو الزائد الذي يقطع من الحشفة بعد الولادة فهذا يرده الله تعالى على الناس بعد البعث .

« الأمر أشدُّ من أن يَهْمَهُمْ ذلك فقد شُغِلَ كُلٌّ بنفسِهِ (لِكُلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ » (١)

وأخبر أن الكافر يُحشَر على وجهه مسحوباً مُستدلاً بقوله تعالى : ﴿ الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم ﴾ فتعجب أنس من ذلك فقال له ﷺ : « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرٌ على أن يُمشيه على وجهه ؟ قال فتادة حين بلغه : بلى وعِزَّة ربنا » (٢)

وتحدث ﷺ عن صور متعددةٍ لحشرِ الناس يومَ القيامة . فمنهم من يُحشَر راكباً طاعماً كاسياً . ومنهم من تُسحبهم الملائكة على وجوههم ويُحشَرهم النَّار . ومنهم من يمشون يسعون » (٣) . « ومنهم من يُحشَر على صورةِ الذرِّ (أى التل الصغير) يطوهم الناس بأقدامهم فيقال : ما بال هؤلاء فى صورِ الذرِّ ؟ فيقال : هؤلاء المتكبرون فى الدنيا » (٤)

وفى رواية : « يُحشَر المتكبرون يومَ القيامة أمثالَ الذرِّ فى صورِ الرجال يَعْشَاهم الذلُّ من كل مكانٍ يُساقون إلى سجنٍ فى جهنم يُقال له : بولسُ تغلوثهم نارُ الأثيار يُسقون من عُصارةِ أهلِ النار طينةَ الحبال » (٥)

« ومنهم من يُحشَر راغباً . ومنهم من يُحشَر راهباً . واثنان على بعير . وثلاثة على بعيرٍ . وأربعة على بعيرٍ ، وعشرة على بعيرٍ ويحشر بقيةَهم النارُ . ثقيلٌ معهم حيث قالوا ، وثببتُ معهم حيث باتوا ، وتُصبح معهم حيث أصبحوا . وتُمسى معهم حيث أمسوا » (٦)

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه النسائى .

(٤) رواه البزار .

(٥) رواه النسائى والترمذى ، قوله طينة الحبال : أى طينة الفساد الذى يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا كالجنون المؤثر فى العقل والفكر .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

« ومنهم من يَعْرِقُونَ يوم القيامة حتى تَذْهَبَ في الأرض عَرَقُهُمْ سبعين ذراعاً
وإنه يُلْجِمُهُمْ حتى تَبْلُغَ آذانهم » (١)

« وأخبر أن الشمسَ تدنو من الناسِ فَيَعْرِقُونَ ، فمن الناس من يَبْلُغُ عَرَقُهُ
عَقْبِيَّةَ ، ومنهم من يَبْلُغُ نَصْفَ الساقِ ، ومنهم من يَبْلُغُ إلى رُكْبَتَيْهِ ، ومنهم من يَبْلُغُ
إلى العَجْزِ ، ومنهم من يَبْلُغُ الخَاصِرَةَ ومنهم من يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ ، ومنهم من يَبْلُغُ عُنُقَهُ ،
ومنهم من يَبْلُغُ وَسَطَهُ وأشار بيده أَلْجَمَهَا فَهُ ، ورأيت رسول الله ﷺ يُشير هكذا ،
ومنهم من يُعْطِيهِ عَرَقَهُ : وضربَ بيده وأشار وأمرَ يَدَهُ فوق رأسِهِ من غير أن يُصِيبَ
الرأسَ دَوْرَ رَاحَتَيْهِ يَمِيناً وشمالاً » (٢)

« وَتَبْلُغُ الشِّدَّةُ في ذلك اليوم بالعبد مَبْلَغاً عَظِيماً حتى انه ليقول : ياربِّ
أرِحْنِي وَلَوْ إِلَى النارِ ، فإرْسَأْكَ بِنِي إلى النارِ أَهْوَنُ إِلَيَّ مما أَجِدُ — وهو يَعْلَمُ ما فيها
من شِدَّةِ العذابِ وذلك اليومُ مِقْدَارُهُ خمسون ألفَ سنةٍ ولكنه يَخْفَفُ على المؤمن حتى
يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وَيَنَادِي فُقَرَاءُ هذه الأمةِ وَمَسَاكِينُهَا فَيَقُومُونَ ،
فَيُقَالُ لَهُمْ : ماذا عَمِلْتُمْ ؟ فيقولون : رَبَّنَا ابْتَلَيْتَنَا فَصَبِّرْنَا ، وَوَلَّيْتَ الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ
غَيْرَنَا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صدَقْتُمْ ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قبل الناس وتبقى شدة
الحِسابِ على ذَوِي الْأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ . قالوا فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قال : تُوضَعُ لَهُمْ
كَرَاسِيٌّ من نُورٍ وَيُظَلَّلُ عَلَيْهِمُ الْعَمَامُ يكون ذلك اليومُ أَقْصَرَ على الْمُؤْمِنِينَ من ساعةٍ
من نَهَارٍ » (٣) .

وتختلف أحوالهم في ذلك المقام باختلاف أعمالهم .

« فمنهم مَنْ يكون نُورُهُمْ مِثْلَ الجَبَلِ العَظِيمِ يَسْعَى بين يَدَيْهِ ، ومنهم من
يُعْطَى نُورَهُ أَصْعَرَ من ذلك حتى يكون آخِرُهُمْ رُجُلًا يُعْطَى نُورَهُ على إبهامِ قَدَمِهِ
يُضِيءُ مَرَّةً وَيُظَلِّمُ مَرَّةً ، فإذا أَضَاءَ قَدَمُهُ قَدِيمَ ، وإذا أَطْفِئَ قَامَ ، قال والربُّ تباركُ
وتعالى أَمَامَهُمْ حتى يَمُرَّ بِهِمْ إلى النَّارِ فَيَنْقَى أثرُهُ كَحَدِّ السِّيفِ . قال : فيقول :

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان والحاكم .

(٣) رواه الطبرانى وابن حبان في صحيحه .

مُرُوا فَيَمْرُونَ عَلَى قَدَرِ نُورِهِمْ ، منهم مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ ، ومنهم من يَمُرُّ كالْبَرْقِ . ومنهم من يَمُرُّ كالسَّحَابِ ، ومنهم من يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ ، ومنهم من يَمُرُّ كالرَّيْحِ ، ومنهم من يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ ، ومنهم من يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي يُعْطَى نُورَهُ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيُدْبُهُ وَرِجْلَيْهِ تُجْرُ يَدٌ وَتُعَلَّقُ يَدٌ ، وَتُجْرُ رِجْلٌ وَتُعَلَّقُ رِجْلٌ وَتُصِيبُ جَوَابِنَهُ النَّارُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ فَإِذَا خَلَّصَ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا إِذْ أَنْجَانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا ، قَالَ : فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى غَدِيرٍ (أَى نَهْرٍ) عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَعْتَسِلُ فَيَعُودُ إِلَيْهِ رِيحُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْوَأْنَهُمْ فَيَرَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَيَقُولُ : رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَسْأَلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّارِ ؟ ﴾ فَيَقُولُ : رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا حَتَّى لَا أَسْمَعَ حَسِينَتَهَا (أَى صَوْتَهَا) قَالَ : فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَرَى أَوْ يُرْفَعُ لَهُ مَنْزِلٌ أَمَامَ ذَلِكَ كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ حُلْمٌ . فَيَقُولُ رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ ، فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ أُعْطِيْتَهُ تَسْأَلُ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعَزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَهُ ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ وَيَرَى أَمَامَ ذَلِكَ مَنْزِلًا كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ حُلْمٌ قَالَ : رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : ﴿ لَعَلَّكَ إِنْ أُعْطِيْتَهُ تَسْأَلُ غَيْرَهُ ؟ ﴾ فَيَقُولُ : لَا وَعَزَّتِكَ ، وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ثُمَّ يَسْكُتُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ مَالِكُ لَا تَسْأَلُ ؟ ﴾ فَيَقُولُ : رَبِّ قَدْ سَأَلْتُكَ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُكَ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : أَلَمْ تَرْضَ أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ الدُّنْيَا مِنْذُ خَلَقْتَهَا إِلَى يَوْمِ أَفْتِنَتِهَا وَعِشْرَةَ أَضْعَافِهِ ؟ فَيَقُولُ : أَنْهَزْتُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ ؟ قَالَ : فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ : لَا وَلَكِنِّي عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ ، فَيَقُولُ : أَلْحَقْنِي بِالنَّاسِ ، فَيَقُولُ : إِلْحَقْ بِالنَّاسِ قَالَ : فَيَنْطَلِقُ يَرْمُلُ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ رُفِعَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ دُرَّةٍ فَيَجْرُ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ إِرْفَعْ رَأْسَكَ مَالِكُ ؟ فَيَقُولُ : رَأَيْتُ رَبِّي أَوْ تَرَأَى لِي رَبِّي فَيُقَالُ : إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ مِنْ مَنَازِلِكَ قَالَ : ثُمَّ يَأْتِي رَجُلًا فَيَتَهَيَّأُ لِلسُّجُودِ لَهُ ، فَيُقَالُ لَهُ : مَهْ (أَى أَكْفُفْ) . فَيَقُولُ : رَأَيْتُ أَنَّكَ مَلِكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ مِنْ خِزَانِكَ وَعَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ تَحْتَ يَدِي أَلْفُ قَهْرْمَانٍ (هُوَ كَالخَازِنِ وَالوَكِيلِ وَالْحَافِظِ لِمَا تَحْتَ يَدِهِ) عَلَى

ما أنا عليه ، قال : فَيَنْطَلِقُ أَمَامَهُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ بَابُ الْقَصْرِ . قال : وهو من دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ سَقَائِفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَغْلَاقُهَا وَمَفَاتِيحُهَا مِنْهَا يَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مَبْطَنَةٌ بِحَمْرَاءَ فِيهَا سَبْعُونَ بَاباً . كُلُّ بَابٍ يُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ خَضْرَاءَ مُبْطَنَةٍ (أى لها بِطَانَةٌ) كُلُّ جَوْهَرَةٍ تُفْضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنٍ الْأُخْرَى ، فِي جَوْهَرَةٍ سُرَّرَ وَأَزْوَاجٌ وَوَصَائِفٌ أَدْنَاهُنَّ حَوْرَاءُ عَيْنَاءُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخٌّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّهَا ، كَبِدُهَا مِرْآةٌ وَكَبِدُهُ مِرْآةُهَا ، إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً أَزْدَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ لَهَا : وَاللَّهِ لَقَدْ أَزْدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا ، وَتَقُولُ لَهُ : وَأَنْتِ أَزْدَدْتِ فِي عَيْنِي سَبْعِينَ ضِعْفًا . فيقال له : أَشْرَفِ (تَقَرَّبِ وَامْلِكْهُ) فَيُشْرَفُ . فيقال له : مُلْكُكَ مَسِيرَةٌ مِائَةِ عَامٍ يَنْفَعُهُ بَصْرُكَ : قال : فقال له عُمَرُ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُنَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ يَاقُوبَ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا فَكَيْفَ أَعْلَاهُمْ ؟ قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ » (١) . الْحَدِيثُ

تعريف الأمة المحمدية بأمر الحشر والنشر

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أيضا أن أطلعها على أمور الحساب وما يجرى في هذا الباب .

« فقد أخبر أن كلَّ عبدٍ لا بُدَّ أن يُسألَ عن أربعٍ لا مَحَالَةَ ، عن عُمْرِهِ فيما أَفْنَاهُ . وعن عِلْمِهِ ماذا عَمِلَ بِهِ . وعن مَالِهِ من أينَ أَكْتَسَبَهُ وفيما أَنْفَقَهُ . وعن جِسْمِهِ فيما أَبْلَاهُ » (٢) .

« وَيُخْرَجُ لابنِ أَدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ دِيَّوَانِينَ : دِيَّوَانٌ فِيهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ . وَدِيَّوَانٌ فِيهِ ذُنُوبُهُ ، وَدِيَّوَانٌ فِيهِ النَّعْمُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ فيقولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَصْغَرِ نِعْمَةٍ أَحْسِبُهُ قال : فِي دِيَّوَانِ النَّعْمِ : تُحْذَى ثَمَنُكَ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ . فَتَسْتَوْعِبُ عَمَلَهُ الصَّالِحِ ثُمَّ تَنْحَى (أى تنصرف) وتقول : وَعِزَّتْكَ مَا اسْتَوْفَيْتُ وَتَبَقِيَ الذُّنُوبُ وَالنَّعْمُ ، وَقَدْ ذَهَبَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَ عَبْدًا قال : يَا عَبْدِي قَدْ ضَاعَفْتُ لَكَ حَسَنَاتِكَ وَتَجَاوَزْتُ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، أَحْسِبُهُ قال : وَوَهَبْتُ لَكَ نِعْمِي » (٣) .

(١) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى واللفظ له والحاكم .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البزار .

وقد بين صلى الله عليه وسلم مقام نعيم الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعمل العبد وأنَّ عمل العبد لا يساوي شيئاً في مقابلة أقل نعمة من النعم الإلهية .

فمن ابن عمر رضی الله عنهما : « أن رجلاً من الحبشة أتى النبي » فقال : يارسول الله . فضلتم علينا بالألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنتُ بمثل ما آمنتَ به ، وعملتُ بمثل ما عملتُ به إني لكائنٌ معك في الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله إلا الله كان له بها عهدٌ (اى ميثاقٌ توحيدِهِ) عند الله ، ومن قال : سبحان الله كتبتُ له مائة ألف حسنةٍ فقال رجلٌ : يارسول الله كيف تهلكُ بعدَ هذا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده إنَّ الرجلَ ليحْيى يومَ القيامةِ بعملٍ لو وضعَ على جبلٍ لأثقله فتقومُ التعمُّة من نعيمِ الله فتكادُ تستنفدُ (اى ترجحُ كفة النعمة) ذلك كله لولا ما يفضّلُ الله من رحمته ، ثم نزلتُ : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهرِ لم يكنُ شيئاً مذكوراً ﴾ إلى قوله : ﴿ وإذا رأيتَ ثمَّ رأيتَ نعيماً ومُلْكاً كبيراً ﴾ . فقال الحبشيُّ : يارسول الله وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم ، فبكى الحبشيُّ حتى فاضتْ نفسه (اى خرجتْ رُوحه) قال ابن عمر : فأنا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُدليه في حُفْرته « (١) . (اى يُدخله في قبره) .

قصة العابد المغتر بعبادته

« عن جابر رضی الله عنه قال : خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : قال جبيلٌ : يا محمَّدُ والذي بعثك بالحقِّ إنَّ لله عبداً من عباده عبدَ الله خمسمايةً سنةً على رأس جبلٍ في البحرِ عرضُهُ وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً والبحرُ محيطٌ به أربعة آلاف فرسخٍ من كلِّ ناحيةٍ وأخرج له عيناً عذبةً بعرض الأصبع تفيضُ بماءٍ عذبٍ فيستنقع (اى يجتمع) في أسفلِ الجبلِ وشجرةُ رمانٍ تُخرج له في كلِّ ليلةٍ رمانةً يومه . فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام

(١) رواه الطبراني .

لِصَلَاتِهِ . فَسَأَلَ رَبَّهُ عِنْدَ وَقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا وَإِنْ لَا يَجْعَلُ لِلأَرْضِ
وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ وَهُوَ سَاجِدٌ . قَالَ : فَفَعَلَ فَنَحْنُ نَمُرُّ
عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا وَإِذَا عَرَجْنَا فَتَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ
اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَيَقُولُ : رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي .
فَيَقُولُ : أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي فَيَقُولُ : رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي . فَيَقُولُ اللَّهُ : قَائِسُوا
عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ فَتُوجَدُ نِعْمَةُ الْبَصَرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ،
وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ : أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ فَيُجْرَى إِلَى النَّارِ .
فَيُنَادِي : رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ . فَيَقُولُ : رُدُّوهُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَيَقُولُ : يَا عَبْدِي مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : مَنْ
قَوَّامٌ لِعِبَادَةِ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : مَنْ أُنزِلَكَ فِي جَبَلٍ
وَسَطِ اللَّجْجَةِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَاءِ الْمَالِحِ ، وَأَخْرَجَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُمَانَةً
وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مَرَّةً فِي السَّنَةِ ، وَسَأَلْتَهُ أَنْ يَقْبِضَكَ سَاجِدًا فَفَعَلَ ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ
يَا رَبِّ . قَالَ : فَذَلِكَ بِرَحْمَتِي وَبِرَحْمَتِي أَدْخِلُكَ الْجَنَّةَ . أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ .
فَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ يَا عَبْدِي . فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . قَالَ جَبْرِيلُ : إِنَّمَا الْأَنْبِيَاءُ بِرَحْمَةِ
اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ « (١) .

« وَأَخْبَرَ أَنَّهُ اقْتَصَرَ لِلخَلْقِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصِرُ لِلشَّاةِ الَّتِي
لَا قَرْنَ لَهَا مِنَ النَّارِ إِذَا تَطَحَّتْهَا فِي الدُّنْيَا . وَحَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ ، وَلِلْعَبْدِ
مِنْ مَمْلُوكِهِ ثُمَّ يُنَادِيهِمُ الْحَقُّ سُبْحَانَهِ وَتَعَالَى بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ
قَرَّبَ : أَنَا الدَّيَّانُ . أَنَا الْمَلِكُ . لَا يَنْبَغِي مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ
وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ » .

ويجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة
لقيه المظلوم فعرّفه وعرف ما ظلمه به فما يريح الذين ظلّموا يُقصّون من الذين ظلّموا

(١) رواه الحاكم .

حتى يَنْزِعُوا ما في أَيْدِيهِم من الْحَسَنَات ، فَإِنْ لم يَكُنْ لَهُم حَسَنَات رُدَّ عَلَيْهِم من سَيِّئَاتِهِمْ حَتَّى يُورَدَ الدَّرَكُ الْأَسْفَلُ مِنَ النَّارِ » .

ويأتى رَجُلٌ في ذلك اليوم بِصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَلَكِنَّهُ قد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا من حَسَنَاتِهِ وَهَذَا من حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ أُخِذَ من خَطَايَاهُمْ وَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثم طُرِحَ في النَّارِ . وَذَلِكَ هو الْمُفْلِسُ .

ومن صُورِ الحِسابِ الواقِعَةِ في ذلك اليَوْمِ « أَنْ يَلْقَى العَبْدُ رَبَّهُ فيقول : أَيْ قُلْ (أَيْ يافلان) أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأُزَوِّجَكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الحَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذْرِكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِعُ ؟ (أَيْ يأخذ ما يأخذه رَئيس الجِيش لِنَفْسِهِ وهو رِيع المِغانِمِ) . فيقول : بلى يارب فيقول : أَظَنَنْتَ أَنْك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فَإِنِّي أَنَسَاكَ كما نَسَيْتَنِي ، ثم يَلْقَى الثاني فيقول أَيْ قُلْ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأُزَوِّجَكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الحَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذْرِكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِعُ ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أَظَنَنْتَ أَنْك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : لا . فيقول : إِنِّي أَنَسَاكَ كما نَسَيْتَنِي . ثم يَلْقَى الثالثُ فيقول : أَيْ قُلْ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأُزَوِّجَكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الحَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذْرِكَ تَرَأْسَ وَتَرْبِعُ ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أَظَنَنْتَ أَنْك مُلَاقِيٌّ ؟ فيقول : أَيْ رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكَتابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبُنَيْتُ بِخَيْرٍ ما اسْتَطَاعَ . فيقول : هُنَا إِذَا . ثم يقول : الآن تَبَعْتُ شَاهِدًا عَلَيْكَ . فَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيَّ فِيهِ وَيُقَالُ لَفَخِذِهِ : إِنْطَقِي ، فَيَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَدَّرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَذَلِكَ المِناقِفُ ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ » (١) .

« ثم يُقامُ الصِّراطُ على جَهَنَّمَ فيكونُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو أَوَّلُ من يَجُوزُ ولا يَتَكَلَّمُ يومئذٍ أَحَدٌ إلا الرُّسُلُ ، وَكَلَامُهُمُ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ العَيْنِ

(١) رواه مسلم .

وَالْبَرْقِ وَالرَّيْحِ وَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ (أَى الْحُصْنِ الْمُسْرِعَةِ) وَالرِّكَابِ ، فَنَاجِ مُسَلِّمٌ . وَمَخْدُوشٌ (مَخْمُوشٌ مَمْرُقٌ) مَرْسَلٌ ، وَمَكْدُوشٌ (أَى مَصْرُوعٌ) فِى نَارِ جَهَنَّمَ .

« ثُمَّ يُؤَدِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ النَّاجِينَ أَنْ يَشْفَعُوا فِى إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِى جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحُجُّونَ ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ ، فَتَحَرَّمَ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِهِ وَإِلَى رُكْبَتِهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا مِنْ أَمْرَتِنَا بِهِ . فَيَقَالُ : إِرْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِنْ أَمْرَتِنَا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِنْ أَمْرَتِنَا أَحَدًا .

ثُمَّ يَقُولُ : إِرْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا . ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا مِنَ النَّارِ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِى نَهْرٍ فِى أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ الْحَيَاةِ فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِى حَمِيلِ السَّبِيلِ . أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصْبَغُ وَأُخْبِضُ (أَى تَمِيلُ إِلَى لَوْنِ الْحَجَرِ فِى الصُّفْرَةِ وَاللَّمْعَانِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ فِى الْخَضْرَاءِ) ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَيْضًا فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ . كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ . قَالَ : فَيُخْرِجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِى رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمَ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ . هُوَءَاءُ عُنُقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ : أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ . فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ : لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا . فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَى شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : رِضَايَ فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا »

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراف مما لم يُفصل لأمة سابقة .

الحوض والميزان والصراف

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراف مما لم يفصل لأمة سابقة .
وأما الحوض فهو طويل جداً مسافة طوله نحو سير شهر بمركب مسرع ، ونواحيه واسعة متساوية . أطيب ريحا من المسك ، وأحلى من العسل وأبيض من اللبن ، وأبرد من الثلج من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، ولم يسود وجهه ، يجري فيه ميزابان يمدانه من الجنة ، أحدهما من ذهب والآخر من ورق ، وأكوابه كعدد نجوم السماء ، وأهله من تمسك بشريعة سيدنا محمد ﷺ ولم يبدلوا ولم يغيروا ومن لم يتخذ عقيدة غير ما عليه النبي ﷺ وأصحابه . أما من غير أو بدل فإنه يطرد عنه كالمرتد والمخالف لجماعة من المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة والظلمة الجائرين ، والمعلن بالكبائر المستخف بالمعاصي ، وأهل الزيغ والبدع والكفار .
وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، ورسول الله ﷺ على الحوض ينتظر من يرد عليه من الأمة .

« وأما الميزان فهو خلق عظيم من خلق الله لو وُزِنَتْ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسَّعَتْ ، به ملك موكل فإذا جرى بابن آدم وقف بين كفتي الميزان فإن ثقل ميزانه نادى ذلك الملك بصوت يُسمع الخلائق : سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا ، وإن خف ميزانه نادى ذلك الملك بصوت يُسمع الخلائق : شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا » .

وأما الصراف : فهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ (أى مزلقة) عليه كلاليب (أى خطاطيف من حديد) من نار يخطف بها ، فَمُمَسَّكٌ يهوى فيها ومصروع ، ومنهم من يمر كالبرق فلا يَنْشَبُ (أى يقع فيما لا مخلص له منه ولم يلبث) ذلك أن ينجو . ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ، ثم كرمل الرّجل . ثم كمشى الرّجل .

« وقد ذكرت السيدة عائشة رضی الله عنها النارَ فبكت . فقال رسول الله ﷺ : مَا يَكْبِكُ ؟ فقالت : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ

القيامة ؟ فقال : أمّا في ثلاثة مَواطنَ فلا يَذُكرُ أحَدٌ أحداً . عند الميزان حتى يَعْلَمَ أيخفُ ميزانُه أم يثقلُ ؟ وعند تطايرِ الصُّحفِ حتى يَعْلَمَ أين يَقَعُ كتابُه في يَمِينِه أم وراءَ ظَهْرِه ؟ وعند الصراطِ إذا وُضِعَ بين ظَهْرِي جَهَنَّمَ حتى يَجُوزَ »

وقد سأل أنس رسول الله ﷺ أن يَشْفَعَ لَهُ فقال ﷺ : أنا فاعِلٌ إن شاء الله يقول أنسُ : قلتُ : فأينَ أطلبُكَ ؟ قال رسولُ الله ﷺ : أوَّلُ ما تَطْلُبُنِي على الصِّراطِ . قال أنسُ : قلتُ : فإن لَمَ ألقَكَ على الصِّراطِ ؟ قال : فاطلُبْنِي عندَ المِيزانِ . قال : قلتُ : فإن لَمَ ألقَكَ عندَ المِيزانِ ؟ قال : فاطلُبْنِي عندَ الحَوْضِ فإنِّي لا أُحْطِيُهُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مَواطنَ .

اختصاص نبينا محمد ﷺ بالشفاعة العظمى

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن جعل نبينا محمداً ﷺ هو شافع ذلك الموقف .

« كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ في دَعْوَةٍ ، فَرُفِعَ إليه الدِّرَاعُ ، وكانت تُعْجِبُهُ فَنهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وقال : أنا سيِّدُ الناسِ يَوْمَ القِيامَةِ ، هل تَدْرُونَ مِمَّ ذاك ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأوَّلِينَ والأخِرِينَ في صَعِيدٍ واحدٍ فيُصِرُّهُمْ التَّائِطِرُ وَيَسْمَعُهُم الدَّاعِي وتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ فيبْلُغُ الناسَ مِنَ العَمِّ والكَرْبِ ما لا يَطِيقُونَ ولا يَحْتَمِلُونَ . فيقول الناسُ : ألا تَرَوْنَ إلى ما أَنتُمْ فِيهِ ، وإلى ما بَلَغَكُمْ ألا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ ؟ فيقول بَعْضُ الناسِ إلى بَعْضٍ ، أبوكُم آدَمُ . فيأْتُونَهُ فيقولون : يا آدَمُ أنتَ أبو البَشَرِ ، خلَقَكَ اللهُ بيده . وتَفَخَّ فيكَ مِنْ رُوحِهِ وأمر الملائكةَ فسَجَدُوا لكَ ، وأَسْكَنْكَ الجنَّةَ . ألا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ . ألا تَرَى ما نَحْنُ فِيهِ وما بَلَغَنَا . فقال : إن ربي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لم يَعْضَبَ قَبْلَهُ مثْلَهُ ، ولا يَعْضَبُ بَعْدَهُ مثْلَهُ ، وإِنَّ نَهانِي عن الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . إذْهَبُوا إلى غَيْرِي . اذْهَبُوا إلى نوحٍ . فيأْتُونَ نُوحاً فيقولون : يا نُوحُ أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهلِ الأَرْضِ ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عبداً شَكُوراً . ألا تَرَى

إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوتها على قومي . نفسي نفسي نفسي . إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض إشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها . نفسي نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري . إذهبوا إلى موسى . فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس . إشفع لنا إلى ربك أما ترى إلى ما نحن فيه . فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها . نفسي نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري . إذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهدي . إشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً . نفسي نفسي نفسي إذهبوا إلى غيري . إذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون : يا محمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . إشفع لنا إلى ربك . ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فأتى تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح عليه أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي . فأقول : أمتي يارب أمتي يارب أمتي يارب . فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر . أو كما بين مكة وبصرى ^(١) .

(١) رواه البخاري ومسلم .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوضَعُ
للأنبياءِ منابرٌ من نورٍ يجلسون عليها ويُنْفَى مِنْبَرِي لا أجلسُ عليه . أو قال :
لا أقعدُ عليه ، قائما بين يدي ربي مخافة أن يُبعثَ بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدى
فاقول : ياربِّ أمتي أمتي . فيقولُ اللهُ عزَّ وجل : يا مُحَمَّدُ ما تُريدُ أن أصنعَ بأمتك ؟
فاقول : ياربِّ عَجِّلْ حسابَهُمْ . فيدعى بهم فيحاسبون . فمنهم من يدخلُ الجنةَ
برحمته ، ومنهم من يدخلُ الجنةَ بشفاعتي . فما أزالُ أشفعُ حتى أعطى صيكاكا
برجالٍ قد بُعثَ بهم إلى النارِ حتى إن مالكا خازنَ النارِ ليقولُ : يا مُحَمَّدُ ما تركتَ
لعَضْبِ رَبِّكَ في أمتك من نِقْمَةٍ » (١) .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أشفعُ
لأمتي حتى يُناديني ربي تبارك وتعالى فيقولُ : أقد رضيتَ يا مُحَمَّدُ ؟ فاقولُ : أيُّ
ربِّ قد رضيتُ » (٢) .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « حُيرتُ بينَ
الشفاعةِ أو يدخلُ نصفُ أمتي الجنةَ فاخترتُ الشفاعةَ لأنها أعمُّ وأكفى ، أما إنها
ليستَ للمؤمنينَ والمُتقدِّمينَ (أى السلف الصالح) . ولكنها للمُذنبينَ الحُطَّائينَ
المُتلوِّثينَ » .

النار وأحوال أهلها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن وفرَّ حظها من العلم التفصيلي
بالنار وأحوال أهلها ، وذلك بلسان النبوة الصادقة .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « جاء جبريل إلى النبي
ﷺ في حينٍ غيرِ حينِهِ الذى كان يأتيه فيه فقامَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ فقال :

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي في البعث .

ومعنى . الصكاك . الكتاب .

(٢) رواه البزار والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

يَا جِبْرِيلُ مَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ اللَّوْنِ ؟ فَقَالَ : مَا جِئْتُكَ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنَافِخِ النَّارِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا جِبْرِيلُ صِفْ لِي النَّارَ وَإِنَعْتَ لِي جَهَنَّمَ فَقَالَ جِبْرِيلُ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِجَهَنَّمَ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أَمَرَ فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ . فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلَمَةٌ لَا يُضِيءُ شَرُّهَا وَلَا يُطْفِئُ لَهْبُهَا ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ قَدْرَ ثِقَابِ إِبْرَةِ فُتِحَ مِنْ جَهَنَّمَ لَمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهِمْ جَمِيعاً مِنْ حَرِّهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ خَازِناً مِنْ خَزَائِنِ جَهَنَّمَ بَرَزَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا لَمَاتَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلِّهِمْ مِنْ قُبْحِ وَجْهِهِ وَمِنْ نَتْنِ رِيحِهِ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ حَلَقَةً مِنْ حَلَقَةِ سِلْسِلَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّتِي نَعَتَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضِعْتَ عَلَى جِبَالِ الدُّنْيَا لَأَرْفَضَتْ (تَذَكَّدَتْ) وَمَا تَقَارَّرَتْ (أَيْ لَمْ يَوْجَدْ لَهَا قَرَارٌ) حَتَّى يُتْتَهَى إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : حَسْبِيَ يَا جِبْرِيلُ لَا يَنْصَدِغُ قَلْبِي فَأَمُوتُ . قَالَ : فَظَنَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ وَهُوَ يَبْكِي . فَقَالَ : تَبَكَى يَا جِبْرِيلَ وَأَنْتَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتَ بِهِ ؟ فَقَالَ : وَمَا لِي لَا أَبْكِي ؟ أَنَا أَحَقُّ بِالْبُكَاءِ لَعَلِّي أَكُونُ فِي عِلْمِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا وَمَا أَدْرِي لَعَلِّي أَبْتَلَى بِمَا ابْتُلَى بِهِ إِبْلِيسُ . فَقَدْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمَا أَدْرِي لَعَلِّي أَبْتَلَى بِمَا ابْتُلَى بِهِ هَارُوتُ وَمَارُوتُ . قَالَ : فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَبَكَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا زَالَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نَوَدِيَا أَنَّ يَا جِبْرِيلَ وَيَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَمَّنَّكُمْ أَنْ تَعْصِيَاهُ . فَارْتَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَضْحَكُونَ وَيَلْعَبُونَ فَقَالَ : أَنْتُمْ ضَحَكُونَ وَوَرَاءَكُمْ جَهَنَّمَ فَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمُمْ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلِبَكَيْتُمْ كَثِيراً وَلَمَا أَسَعْتُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالخُرْجَتُمْ إِلَى الصَّعَدَاتِ (أَيْ الطُّرُقِ) تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ (أَيْ تَلْجُونَ إِلَيْهِ وَتَتَضَرَّعُونَ بِإِزَالَةِ كَرْبِهِ) (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى بِالنَّارِ يَوْمَ

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

القيامة لها سبعون ألف زمام (أى ناحية أو جهة أو ثغرة مفتوحة فيها) مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » (١) .

« أما شدة حرها فقد قال ﷺ : نازكم هذه ما يوقد بنو آدم جزءاً واحداً من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية . قال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » (٢) .

وفي رواية : « وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » (٣) .

وفي رواية : « أن رسول الله ﷺ قال : تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ؟ هي أشد سواداً من القار ، هي جزء من بضعة وستين جزءاً منها أو نيف وأربعين » (٤) .

وقال ﷺ : « ولو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه » (٥) :

وفي جهنم وادٍ من قيح ودم يُسمى (مويقة) وهو الذى ذكره المولى بقوله (وجعلنا بينهم مويقاً) .

وفي جهنم وادٍ تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرأئين يُسمى (جب الحزن) .

وفي جهنم قصرٌ يقال له : هوى . يُرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، وهو المُشارُ إليه بقوله تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾ أى تردى وهلك .

(١) رواه مسلم والترمذى .

(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى .

(٣) رواها أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٤) رواها البيهقى .

(٥) رواه أبو يعلى .

وفي جهنم واد يُدعى (أَسَامَا) فيه حَيَاتٌ وَعَقَارُبٌ إِحْدَاهُنْ مَقْدَارُ سَبْعِينَ قَلَّةً سُمٌّ ، وَالْعَقْرُبُ مِنْهُنَّ مِثْلُ الْبَعْلَةِ الْمَوْكَمَةِ (أَى الضَّحْمَةِ السَّمِينَةِ) تَلْدَغُ الرَّجُلَ ، وَلَا يُلْهِمِيهِ مَا يَجِدُ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ عَنْ حَمَوَةٍ لَدَغَتْهَا (أَى مَادَّةٍ سُمِّهَا) فَهُوَ لِمَنْ نُحْلِقُ لَهُ .

وفي جهنم سبعون داءً كُلُّ دَاءٍ مِثْلُ جِزءٍ مِنْ أَجْزَاءِ جَهَنَّمَ وَفِي جَهَنَّمَ سَبْعُونَ أَلْفَ وَادٍ وَفِي كُلِّ وَادٍ سَبْعُونَ أَلْفَ شَعْبٍ فِي كُلِّ شَعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ جُحْرٍ وَفِي كُلِّ جُحْرٍ حَيَّةٌ تَأْكُلُ وَجُوهُ أَهْلِ النَّارِ .

وفي رواية : فِي كُلِّ شَعْبٍ سَبْعُونَ أَلْفَ دَارٍ . فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْتٍ . فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ أَلْفَ بَيْرٍ . فِي كُلِّ بَيْرٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ثُعْبَانٍ . فِي شِدْقِ كُلِّ ثُعْبَانٍ سَبْعُونَ أَلْفَ عَقْرَبٍ لَا يَنْتَهِي الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ حَتَّى يُوَاقِعَ ذَلِكَ كَلَّهُ .

وإِنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُحْتِ (الْإِبِلِ) تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ لَسْعَةً فَيَجِدُ حَرَّهَا سَبْعِينَ حَرِيفاً .

وإنَّ لَجَهَنَّمَ لَجِبَاباً (أَى أَبَاراً) فِي كُلِّ جُوبٍ سَاحِلًا كَسَاحِلِ الْبَحْرِ فِيهِ هَوَامٌ (أَى حَشْرَاتٌ) وَحَيَاتٌ كَالْبُخَاتِي وَعَقَارُبُ الْبَعَالِ الذُّلِّ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّ غَرْباً مِنْ جَهَنَّمَ جُعِلَ فِي وَسْطِ الْأَرْضِ لَأَدَّى نَتْنُ رِيحِهِ وَشِدَّةُ حَرِّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَوْ أَنَّ شَرَّةً مِنْ شَرِّ جَهَنَّمَ بِالْمَشْرِقِ لَوُجِدَ حَرُّهَا مِنَ الْمَغْرِبِ » (١) . وَالْمَغْرِبُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ وَاسْكَانِ الرَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مَوْحِدَةٌ هِيَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ .

وعن أُمِّي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبْرِيلاً إِلَى الْجَنَّةِ . فَقَالَ : أَنْظِرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ : فَجَاءَ فَنظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ : وَعِزَّتِكَ

(١) رواه الطبراني .

لا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . فَأَمِرَ بها فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ . فقال : ارجع إليها وانظرُ إلى ما أعددتُ لأهلِها فيها . قال : فرجع إليها . فإذا هي قد حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فرجع إليه فقال : وعزَّتِكَ لقد خِفْتُ أن لا يدخُلَهَا أَحَدٌ . وقال : اذهب إلى النار فانظرُ إليها وإلى ما أعددتُ لأهلِها فيها . قال : فنظرُ إليها فإذا هي يركبُ بعضها بعضاً . فرجع إليه فقال : وعزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بها أَحَدٌ فيدخُلَهَا . فَأَمِرَ بها فَحُفَّتْ بالشَّهَوَاتِ . فقال ارجع إليها . فرجع إليها فقال : وعزَّتِكَ لقد خَشِيتُ أن لا ينجو منها أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا . » .

وفي جهنم واد يسمى (ويل) يهوى الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وفيها جبل من نار وهو الذى أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله (سأرهقه صعوداً) يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ويهوى به كذلك أبداً .

وفي جهنم واد يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات يسمى (غيا) وهو الذى أشار إليه المولى جل شأنه بقوله : ﴿ فسوف يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وقلوبهم وما شاء الله من ذلك فتكشيطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران ويُسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحكُّ جلده حتى يبدو العظمُ فيقال : يافلان هل يؤذيك هذا ؟ فيقول : نعم فيقال له : ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين .

أما شرايبهم فالحميم . كما قال تعالى : ﴿ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ وإنه ليُصبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهْر ثم يعاد كما كان يسقون من ماء صديد . كما قال تعالى : ﴿ ويُسْقَى من ماءٍ صديدٍ يتجرَّعُهُ ﴾ يُقَرَّبُ إلى فيه فيكرهه فإذا أذنى منه شوى وجَّهه ووقعت فروة رأسه . فإذا شربه قطع أمعاءهم حتى يخرج من دبره كما قال تعالى ﴿ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ وقال : ﴿ وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْل يشوى الوجوه بفس الشراب ﴾ ولو أن دلوا من غساق يُهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا والحميم والغساق : هو ما يسيل من جلود أهل النار .

أما طعامهم فالزقوم : ولو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معائشهم فكيف بمن يكون طعامه .

ومن طعامهم شوك يأخذ بالخلق لا يدخل ولا يخرج وهو ما ذكره تعالى بقوله : **وَطَعَامًا ذَاغَصَّةٍ** .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَسْتَعِيثُونَ فَيُعَاتُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ فَيَسْتَعِيثُونَ فَيُعَاتُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ فَيَذَكَّرُونَ أَنَّهُمْ يُجِيزُونَ الْعُصَصَ فِي الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ فَيَسْتَعِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُدْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ بِكَالِإِبِ الْحَدِيدِ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوْتٌ وَجُوهِهِمْ .** فإذا دخلت بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون : **أَدْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ فَيَقُولُونَ : «أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ . قَالُوا بلى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** قال : فيقولون : **أَدْعُوا مَا لِكَا فَيَقُولُونَ : (يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ)** قال : **فِيَجِيبُهُمْ : إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ .**

قال الأعمش : **« بُنِيتُ أَنْ بَيْنَ دَعَائِهِمْ وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَا لِكُ إِيَّاهُمْ أَلْفَ عَامٍ —** قال : **فَيَقُولُونَ : أَدْعُوا رَبِّكُمْ فَلَا أَحَدَ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَيَقُولُونَ : (رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)** قال : **فِيَجِيبُهُمْ : (اخْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)** قال : فعند ذلك **يَسُوسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ،** وعند ذلك **يَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ** «^(١) .

ويتفاوت أهل النار في العذاب فأهونهم عذاباً رجلٌ منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى كعبه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد اغتمر (أى عم جميع جسمه) .

(١) رواه البيهقي والترمذى .

الزفير : تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ، والحسرة : تقطع الانفاس وزيادة الملل والضجر .

ويقول ﷺ في الحديث : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ابْكُوا فَإِن لَّمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا . فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَبْكُونَ فِي النَّارِ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُمْ فِي خُدُودِهِمْ كَأَنَّهَا جِدَاوِلُ (أَى أَنْهَارٌ) حَتَّى تَنْقَطَعَ الدَّمُوعُ فَيَسِيلَ بِعَنِ الدَّمِ فَيُقْرِحَ الْعُيُونَ .

تعريف الأمة المحمدية بالجنة وأحوالها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن وفّر حظّها من العلم المُفصّل عن الجنة وصفتها بلسان النبوة المطهرة . إذ أخبر ﷺ أن أبواب الجنة ثمانية ولكل أهل عملي باب من أبواب الجنة . يُدْعُونَ منه بذلك العمل فللصائمين باب خاص يسمى باب الريان . يَدْخُلُ منه الصائمون يوم القيامة لا يَدْخُلُ معهم غيرهم . يقال : أين الصائمون . فيدخلون منه . فإذا دخل آخِرُهُمْ أُعْلِقَ فلم يَدْخُلْ منه أحدٌ .

وهناك باب يقال له الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا يُدِيمُونَ على صلاة الضحى ؟ هذا بابكم فادخلوا برحمة الله .

وهناك باب خاص لا يَدْخُلُ منه إلا من أْطَعَمَ مؤمناً حتى يُشْبِعَهُ لا يَدْخُلُ معه إلا مَنْ كان مثله .

وهناك باب الصلاة . فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة ، ومن أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة .

وهذه الأبواب تفتح كلها لبعض أرباب الأعمال في الدنيا فمن تَوْضَأَ وَأَسْبَغَ الوضوءَ ثم قال : أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الخ ... فتحت له أبواب الجنة الثانية يدخل من أيها شاء .

وفي رواية بزيادة : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق .

ومن مات له ثلاثة من الولد دون البلوغ تتلقاه أولاده من أبواب الجنة الثانية يدخل من أيها شاء .

والمرأة إذا صلت خمستها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي من أي أبواب الجنة شئت .

ومن كان له ابنتان أو أختان أو عمتان أو خالتان وعاهن فتحت له ثمانية أبواب الجنة .

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال : ذُكِرَ لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنةً وليأتينَّ عليه يومٌ وهو كَطِيطٍ من الزحام .

وفي رواية يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده إنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر . أو كما بين مكة وبُصْرَى . »

يقول قتادة رضى الله عنه : هي أبواب يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، تتكلم وتكلم وتفهم ما يقال لها : انفتحي انغلقى .

وقد أخبرنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما تلاه علينا من القرآن الكريم في كثير من آياته — عن الجنة وأوصافها العامة . فأخبرنا أنه جنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ، وفيها الروح والريحان والنعيم المقيم ، وأن عرضها السموات والأرض وهي معدة مهياً للمتقين مفتحة لهم الأبواب .

وكذلك تحدث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الجنة وأوصافها العامة في كثير من الأحاديث النبوية والقدسية وأقسم برب الكعبة أنها نُورٌ يَتَلَأَلُ وَيُنْحَانُ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ وَنَهْرٌ مَطْرَدٌ وَثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسَنَاءُ جَمِيلَةٌ وَحُلٌّ كَثِيرٌ وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ وَفَاكِهَةٌ وَخَضِرَةٌ وَحَبْرَةٌ وَنِعْمَةٌ فِي مَحَلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ لَا تَقَاسُ بِالدُّنْيَا بِمَا فِيهَا . فَأَقْلَ شَيْءٍ فِي الْجَنَّةِ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ أَعْظَمِ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا . بَلْ إِنْ مَوْضِعَ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

وإن قاب قوس واحد من أهل الجنة فيها خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ولو أن رجلا من أهل الجنة طلع فبدت زينتته وحليته وأساوره لطمس ذلك ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ولا يستطيع العقل البشري مهما اتسعت مداركه وآفاقه العلمية أن يتصور حقيقة ما في تلك الدار من أنواع النعم وموائد الكرم ولذة النعيم ومتعة النظر إلى الوجه الكريم ولطائف الأنس في حظيرة القدس ، لأن الله تعالى نفى وجود العلم الكامل التام بحقيقة ما في ذلك المقام ، فقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ . وهذا هو الذي أشار إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن رب العزة جل جلاله : ﴿ أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴾ .

ولذلك فإن الانسان إذا رأى ذلك النعيم وانغمس فيما أعده الله له من خير ومقام وانصبغ في الجنة صبغة يمتلئ قلبه ونفسه بالبهجة والحبور والفرح والسرور وينسى ما كان فيه في الدنيا من بؤس وشدة وتعب وضنك حتى انه ليقال له : يا ابن آدم هل رأيت بُؤساً ؟ هل مرَّ بك شِدَّةٌ ؟ فيقول : لا والله ياربِّي ما مرَّ بي بُؤسٌ قط ولا رأيتُ شِدَّةً قط .

ففى هذا السبيل تبذل المهج وتباع الأنفس ويتسابق المجدون ولأجل هذه السلعة الغالية يسارع المؤمنون معتقدين أن من خاف أدبج ، ومن أدبج بلغ المنزل ،

وإن المنزل هو سلعة الله الغالية ، وإن سلعة الله هي الجنة فلا يصل إلا الموفق المحفوظ
والمؤيد الملحوظ الذى لا تغره الشهوات المحيطة بالنار ولا تضره المكاره التى حفت
بالجنة .

لأن الله تعالى لما خلق الجنة قال لجبريل : اذْهَبْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا
فَقَالَ : أَي رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ . ثُمَّ قَالَ :
يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَي رَبِّ لَقَدْ حَشِيتُ أَنْ
لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ
إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : أَي رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ
ثُمَّ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَي رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ
حَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا .

وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا نَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ
لَهَا : تَكَلَّمِي فَقَالَتْ : طُوبَى لِمَنْ رَضِيَتْ عَلَيْهِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ فَقَالَ : وَعِزَّتِي
وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكَ بِخَيْلٍ ، فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا بِسَلَامٍ وَأَمَانَ إِلَّا الْمُفْلِحُونَ وَلَا يُفْلِحُ
إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ .

ولما كان الانعام والإكرام الأخرى في الجنة متفاوتا لاختلاف أعمال الناس
اقتضى ذلك أن تكون منازلهم في الجنة أيضا على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة
ليظهر فضل الفاضل وسبق الكامل وجهد العامل .

وأعلى هذه الدرجات وأعظمها هي الفردوس .

فالفردوس أعلاها درجة وفوقه عرش الرحمن ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة .
ولذا فقد أمرنا رسول الله ﷺ إذا سألنا الجنة أن نسأل الله الفردوس ، وبين

لنا سبيل إدراك أعلى هذه الدرجات وطريق الوصول إلى أشرفها وأبواب الإرتقاء فيها وهي :

إسباغ الوضوء على المكروه وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة .

ومن تلك الأبواب — الجهاد في سبيل الله وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته وإسباغ الوضوء على المكروه وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وإكثار من ذكر الله وكلمة طيبة ترضى الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يلقي لها بالا ، وصبر جميل على بلاء مكروه عظيم وشفاعة حسنة عند ذى سلطان في دفع مكروه أو مبلغ بر وعفو عن ظلم وإعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع ، وقد اختص الله سبحانه وتعالى بعض الناس بدرجات معينة لا ينالها غيرهم ولا يدركها إلا من عمل بعملهم ، فهناك درجات مخصوصة لا ينالها إلا أرباب المهوم والتفكير في السعى على العيال بالحلل .

وان العبد ليرفع بصره وهو في الجنة فيلمع له برق فيتعجب الناظر ويأخذه الفرع من ذلك اللامع الذى كاد يخطف بصره ويقول ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك فلان ، فيرى نوره أعظم من نوره ودرجته أعلى من درجته فيقول : أحمى فلان كنا نعمل في الدنيا جميعا فكيف قد فضل علي هكذا ؟ فيقال له : إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى .

وإن الرجل وعبد يدخلان الجنة فيكون عبده أرفع درجة منه فيقول : يارب هذا كان عبدي في الدنيا فيقال : إنه كان أكثر ذكراً لله منك .

ولهذه الأمة باب مختص يدخلون منه دون سائر الأمم يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ، ثم قرأ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحدهما فلا تترك في بطونهم قذى ولا أذى إلا رمته ، ويغتسلون من الأخرى فتجرى عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تتغير أبشارهم بعد هذا أبدا ، ثم

قرأ ﴿ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ، ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة ، فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتقول : أنت رأيته ؟ فتقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكىء إلى سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ، ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر . ثم يرفع رأسه إلى سمك بيته ، فلولا أنه خلق له لأتَمَعَ بصره . فيقول ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ مُتَكِّينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ معنى بديع ورائع ، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي .

وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها . كما قال الله تعالى : ﴿ إنها عليهم مُؤَصَّدَةٌ ﴾ أى مطبقة مغلقة ومنه سمي الباب وصيداً ، وهى مؤصدة ﴿ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ قد جعلت العمدة ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب .

قال مقاتل : يعنى أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد .

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب له إشارة إلى تصريفهم وذهابهم وإياهم وتبؤهم من الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم في كل وقت بالتحف والألطف ودخول ما يسرهم عليهم في كل وقت .

وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا . قال فيه : ولما كانت درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التي تحتها ، وكلما علت الجنة اتسعت فعاليتها أوسع مما دونه ، وسعة الباب بحسب وسع الجنة .

ولعل هذا وجه الخلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعى الباب . فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

وقد تحدث صلى الله عليه عن صفة دخول أهل الجنة الجنة فقال : « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوقٍ بيضٍ لها أجنحةٌ عليها رحال الذهب ، شركٌ نعالهم نورٌ يتلألأُ كلُّ خطوةٍ منها مثل مدِّ البصر ، ويتنهون إلى باب الجنة فإذا حلقةٌ من ياقوتةٍ حمراء على صفائح الذهب ، وإذا شجرةٌ على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من أحدهما جرث في وجوههم بنصرة النعيم وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً فيضربون الحلقة بالصيحة (فلو سمعت طنين الحلقة يا علي) فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها (أى خادمها والقائم بأمرها) فيفتح له الباب ، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه لخرله ساجداً مما يرى من الثور والبهاء . فيقول : أنا قيمك الذى وكلت بأمرك فيتبعه فيقفو أثره فيأتى زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعائقه وتقول : أنت حبي وأنا حبيك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً . وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً ، وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً فدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبنى على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمراء ، وطرائق حضرة ، وطرائق صفر . ما منها طريقةٌ تشاكل صاحبيتها فيأتى الأريكة (ما يتكأ عليه من فراش وثير) فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً . على كل فراش سبعون زوجة . على كل زوجة سبعون حلة . يرى مخ ساقها من باطن الحليل . يمضى جماعهن في مقدار ليلة تجرى من تحتهم أنهار مطردة . أنهار من ماء غير آسن (أى لم يتغير طعمه وريحه) صاف ليس فيه كدر ، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل وأنهار من حمرة لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية . فإذا اشتهوا الطعام جاءهم طيرٌ بيض فرقع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أى الألوان شاءوا ثم تطير فتذهب ، وفيها ثمارٌ متدلّية إذا اشتهوها انبعث الثمن إليهم فيأكلون من أى الثمار شاءوا إن شاء قائماً وإن شاء متكماً ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّاتٍ دَانٍ ﴾ وبين أيديهم خدّم كاللؤلؤ »

وَيَدْخُلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مَكْحَلِينَ بَنَى ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ لَا يُفَنَى شَبَابُهُمْ

وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ لَا يَبْرُقُونَ فِيهَا وَلَا يَبْلُغُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ وَلَا يَتَعَوِّطُونَ آيَاتِهِمْ
الذَّهَبَ ، وَرَشَّحُهُم الْمِسْكَ ، وَمَجَامِرَهُم الْأَلْوَةَ .

« أَمَا أَدْنَاهُمْ مَنْزَلَةً فِيهَا فَرَجُلٌ كَانَ مُخَلِّطًا فِي الدُّنْيَا يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ يَجْبُو
عَلَى وَجْهِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ تَخْرُ يَدٌ (أَي تَسْقُطُ) وَتُعَلِّقُ يَدٌ وَتَخْرُ رِجْلٌ وَتُعَلِّقُ رِجْلٌ
وَتُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ . فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ . فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَّ عَلَيْهَا
فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا إِذْ نَجَّيْتَنِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتَهَا . قَالَ
فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى غَدِيرِ (أَي نَهْرٍ) عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ فَيَعْتَسِلُ ، فَيُعُودُ إِلَيْهِ رِيحُ أَهْلِ الْجَنَّةِ
وَأَلْوَانُهُمْ فَيَرَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ . فَيَقُولُ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ فَيَقُولُ : لَهُ
أَسْأَلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَجَّيْتِكَ مِنَ النَّارِ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَهَا حِجَابًا لَا أَسْمَعُ
حَسِيْسَهَا . قَالَ : فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَرَى أَوْ يُرْفَعُ لَهُ مَنْزِلٌ أَمَامَ ذَلِكَ كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ إِلَيْهِ
حُلْمٌ (أَي رُؤْيَا فِي النَّوْمِ) فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ الْمَنْزِلَ . فَيَقُولُ : لَعَلَّكَ إِنْ
أَعْطَيْتَكَ تَسْأَلُ غَيْرَهُ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ ؟
فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ، وَيَرَى أَمَامَ ذَلِكَ مَنْزِلًا كَأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ حُلْمٌ قَالَ : رَبِّ أَعْطِنِي ذَلِكَ
الْمَنْزِلَ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : فَلَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَكَ تَسْأَلُ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ :
لَا وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ . وَأَيُّ مَنْزِلٍ أَحْسَنُ مِنْهُ ؟ فَيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ثُمَّ يَسْكُتُ فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ
ذِكْرُهُ : مَا لَكَ لَا تَسْأَلُ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّ قَدْ سَأَلْتُكَ حَتَّى اسْتَحْيَيْتَكَ وَأَقْسَمْتُ حَتَّى
اسْتَحْيَيْتَكَ . فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : أَلَمْ تَرْضَ أَنْ أُعْطِيكَ مِثْلَ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقْتُهَا إِلَى
يَوْمِ أَفْنَيْتَهَا وَعِشْرَةَ أَضْعَافِهِ ؟ فَيَقُولُ : أَنْهَزْتُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ ؟ فَيَضْحَكُ الرَّبُّ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ قَوْلِهِ قَالَ : فَرَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ إِذَا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ هَذَا
الْحَدِيثِ ضَحِكَ حَتَّى تَبَدَّوْا أَضْرَاسُهُ ، قَالَ : فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ : لَا وَلَكِنِّي
عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ . سَلِّ . فَيَقُولُ : أَلْحِقْنِي بِالنَّاسِ . فَيَقُولُ الْحَقُّ بِالنَّاسِ . فَيَنْطَلِقُ
يَرْمُلُ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ النَّاسِ رَفَعَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ دَرَّةٍ فَيَخْرُ سَاجِدًا فَيَقَالُ لَهُ :
ارْفَعْ رَأْسَكَ . مَا لَكَ ؟ فَيَقُولُ : رَأَيْتُ رِيَّ أَوْ تَرَأَى لِي رَبِّي فَيَقَالُ : إِنَّمَا هُوَ مَنْزِلٌ
مِنْ مَنَازِلِكَ . قَالَ : ثُمَّ يَلْقَى رَجُلًا فَيَتَهَيَّأُ لِلسُّجُودِ لَهُ فَيَقَالُ لَهُ : مَهْ . فَيَقُولُ : رَأَيْتُ
أَنَّكَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَيَقُولُ : إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ مِنْ خُزَّانِكَ وَعَبْدٌ مِنْ عِبِيدِكَ تَحْتَ

يَدِيَّ أَلْفَ قَهْرَمَانٍ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ قَالَ فَيَنْطَلِقُ أَمَامَهُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ الْقَصْرُ قَالَ : وَهُوَ مِنْ دُرَّةٍ مَجُوفَةٍ سَقَاتُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَغْلَاقُهَا وَمَفَاتِيحُهَا مِنْهَا تَسْتَقْبِلُهُ جَوْهَرَةٌ خَضْرَاءُ مُبَطَّنَةٌ بِحَمْرَاءَ فِيهَا سَبْعُونَ بَاباً . كُلُّ بَابٍ يُفِضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ خَضْرَاءَ مُبَطَّنَةٍ . كُلُّ جَوْهَرَةٍ تُفِضِي إِلَى جَوْهَرَةٍ عَلَى غَيْرِ لَوْنٍ الْأُخْرَى فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ سُرْرٌ وَأَزْوَاجٌ وَوَصَائِفٌ (أَى إِمَاءٌ) أَدْنَاهُنَّ حَوْرَاءُ عَيْنَاءُ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخٌّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ حُلِّهَا كَبِدُهَا مِرْآئُهُ وَكَبِدُهُ مِرْآئُهَا إِذَا أَعْرَضَ عَنْهَا إِعْرَاضَةً زَادَتْ فِي عَيْنِهِ سَبْعِينَ ضِعْفًا . فَيَقَالُ لَهُ أَشْرَفٌ . فَيُشْرَفُ فَيَقَالُ لَهُ : مُلْكُكَ مَسِيرَةٌ مَائَةٌ عَامٍ يَنْفَعُهُ بَصْرُكَ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : أَلَا تَسْمَعُ مَا يُحَدِّثُنَا ابْنُ أُمِّ عَبْدِ يَاقَعِبٍ عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا فَكَيْفَ أَعْلَاهُمْ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . مَا لَاعَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ . إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ خَلَقَ ذَرًّا جَعَلَ فِيهَا مَا شَاءَ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالثَّمَرَاتِ وَالْأَشْرِيَةِ ثُمَّ أَطْبَقَهَا فَلَمْ يَرَهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ لَا جَبْرِيْلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ثُمَّ قَرَأَ كَعْبٌ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قَالَ : وَخَلَقَ دُونَ ذَلِكَ جَنَّتَيْنِ وَزَيْنَهُمَا بِمَا شَاءَ وَأَرَاهُمَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ ثُمَّ قَالَ : مَنْ كَانَ كِتَابُهُ فِي عِلِّيِّينَ نَزَلَ فِي تِلْكَ الدَّارِ الَّتِي لَمْ يَرَهَا أَحَدٌ حَتَّى إِنْ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيَخْرُجُ فَيَسِيرُ فِي مُلْكِهِ فَلَا تَبْقَى نَخِيمَةٌ مِنْ نَخِيمِ الْجَنَّةِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ ضَوْءٍ وَجْهَهُ فَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِيحِهِ . فَيَقُولُونَ : وَاهَاً (أَى عَجْبًا) لِهَذَا الرِّيحِ . هَذَا رِيحُ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ قَدْ خَرَجَ يَسِيرُ فِي مُلْكِهِ قَالَ : وَيَحْكُ يَاقَعِبُ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ قَدْ اسْتَرْسَلَتْ فَاقْبِضْهَا . فَقَالَ كَعْبٌ : إِنَّ لَجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزَفْرَةً (أَى نَفْسًا) مِمَّنْ مَلِكٌ مَقْرَبٌ وَلَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ إِلَّا خَرَّ لِرُكْبَتَيْهِ . حَتَّى إِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ لَيَقُولُ : رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي . حَتَّى لَوْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا إِلَى عَمَلِكَ لَظَنَنْتَ أَنْ لَا تَنْجُو ﴿ (١) .

وأما غناء حور العين فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضی الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أزواج أهل الجنة ليعنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط . إن مما يعنين به (نحن الخيرات الحسان .. أزواج قوم

(١) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى والحاكم .

كِرَامٍ .. يَنْظُرُونَ بُقْرَةَ أَعْيَانٍ) . وَإِنَّ مِمَّا يَغْتَنِبْنَ بِهِ : (نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نُمْتَنُّهُ .. نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلَا نَحْفَنُهُ .. نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَطْعَنُهُ) « (١) .

سوق الجنة

عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة :
 أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة . قال سعيد : أو فيها سوق ؟
 قال : نعم . أخبرنى رسول الله ﷺ قال : « إن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا
 فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله
 ويبرز لهم عرشه ويتبدى له فى روضة من رياض الجنة . فتوضع لهم منابر من نور
 ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ومنابر
 من فضة ، ويجلس أديانهم وما فيهم دنيء على كئبان المسك والكافور (أى على
 القِطْعِ المِجْتَمِعة الكبيرة مثل كتّيب الرمل) ما يرون أن أصحاب الكراسي
 أفضل منهم مجلساً . قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله هل نرى ربنا ؟ قال : نعم
 هل تتمازون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك
 لا تتمازون فى رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله
 (كلمه) محاضرة . حتى إنه ليقول للرجل منكم : ألا تذكر يافلان يوم عملت كذا
 وكذا ؟ يذكره بعض غدراته فى الدنيا (أى هفواته وعصيانه) . فيقول : يارب أفلم
 تغفر لى ؟ فيقول : بلى فيسعة مغفرى بلغت منزلتك هذه . فبينما هم كذلك
 غشيتهم سحابة من قوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريجه شيئاً قط . ثم
 يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم
 قال : فنأتى سوقاً قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ، ولم تسمع
 الآذان ، ولم يحط على القلوب قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء
 ولا يشتري ، وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً قال : فيقبل الرجل
 ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه وما فيهم دنيء فيروعه (أى يزوجه) ما يرى عليه

(١) رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

من اللباس فما يَقْضَى آخِرَ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتِمَّتْ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَجْزَنَ فِيهَا . قَالَ : ثُمَّ نُنْصِرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا فَتَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا فَيَقُلْنَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا لَقَدْ جِئْتُمْ ، وَإِنَّ بَكَّ مِنَ الْجَمَالِ وَالطَّيِّبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ . فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِحَقْنَا أَنْ تُثْقَلَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا « (١) .

وَمِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا وَالنَّجَبِ (أَى الْجَمَالِ الطَّوَالِ الْأَعْنَاقِ) وَانَّهُمْ يُؤْتَوْنَ فِي الْجَنَّةِ بِخَيْلٍ مُسْرَجَةٍ مَلْجَمَةٍ لَا تَرُوثُ وَلَا تَبُولُ فَيَرْكَبُونَهَا حَتَّى يَنْتَهَوْا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ فَيَسْتَأْذِنُ الْإِخْوَانَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَسِيرُ سَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا وَسَرِيرٌ هَذَا إِلَى سَرِيرٍ هَذَا حَتَّى يَجْتَمِعَ فَيَتَكَيُّ هَذَا وَيَتَكَيُّ هَذَا فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَتَعْلَمُ مَتَى غَفَرَ اللَّهُ لَنَا ؟ فَيَقُولُ صَاحِبُهُ : نَعَمْ يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا فَدَعَوْنَا اللَّهَ فَغَفَرَ لَنَا » (٢) .

« وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَحَبَّ الْخَيْلِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ فِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ ، فَقَالَ . إِنَّ أَدْخَلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ لَكَ فِيهَا فَرَسٌ مِنْ يَاقُوتٍ لَهُ جَنَاحَانِ تُطِيرُهُ حَيْثُ شِئْتَ » (٣) .

رؤية رب العالمين

وَمِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَتَشَرَّفُونَ بِزِيَارَةِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَتْيِهِمْ مَلِكٌ فَيُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَزُورُوهُ ، فَيَجْتَمِعُونَ . فَيَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ ثُمَّ تُوضَعُ مَائِدَةُ الْخُلْدِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا مَائِدَةُ الْخُلْدِ ؟ قَالَ : زَاوِيَةٌ مِنْ زَوَايَاهَا أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ

(١) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٢) رواه ابن الدنيا والبيزار .

(٣) رواه الطبرانى ورواه ثقات .

فِيُطَعَّمُونَ ثُمَّ يُسَقَّونَ ثُمَّ يُكَسَّونَ فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل ،
فيتجلى لهم فيخرون سجداً فقال لستم في دار عمل ، إنما أنتم في دار جزاء» (١) .

فلما تجلى لهم الحق تعالى في عظمته العظيمة قالوا : ربنا أنت السلام ومنك
السلام ولك حق الجلال والإكرام . فقال لهم ربهم : إني أنا السلام ومنى السلام
ولي حق الجلال والإكرام فمرحبا بعبادى الذين حفظوا وصيتى ورعوا عهدي
وخافوني بالغيب وكأثوا مني على كل حالٍ مُشْفِقِينَ . قالوا : أما وعزتك وجلالك
وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود
لك ؟ فقال لهم ربهم تبارك وتعالى : إني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم
أبدانكم فطالما أنصبتهم (أتعبتم) الأبدان وأعنتهم الوجوه فالآن أفضيتهم إلى رُوحِي
ورحمتي وكرامتي . فسألوني ماشئتم وتمنوا عليّ أعطكم أمانيتكم . فإني لن أجزيكم
اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتي وكرامتي وطولِي وجلالِي وعلوِ مكاني وعظمةِ
شأنِي . فما يزالون في الأمانِي والمواهب والعطايا . حتى إن المُقَصَّرَ منهم ليمتنى
مثل جميع الدنيا منذ يوم خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها . قال ربهم : لقد قصرتم
في أمانيتكم ورضيتهم بدون ما يحق لكم . فقد أوجبت لكم ما سألتهم وتمنيتهم
وزدتكم على ما قصرتم عنه أمانيتكم فانظروا إلى مواهب ربكم الذي وهب لكم .
فإذا بقباب في الرفيع الأعلى وعرف مبنية من الدر والمرجان أبوابها من ذهبٍ
وسررها من ياقوتٍ وفرشها من سندسٍ وإستبرقٍ ومنابرها من نورٍ . يُثور (ينتشر)
من أبوابها وأعراضها نورٌ كشعاع الشمس مثل الكوكب الدرّي في النهار المضيء
وإذا قُصُورٌ شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهر نورها فلولا أنه سحر لا لتمع
الأبصار فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحير الأبيض ، وما كان
منها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالبعقري الأحمر ، وما كان منها من الياقوت الأخضر
فهو مفروش بالسندس الأخضر ، وما كان منها من الياقوت الأصفر مفروش بالأرجوان

(١) رواه أبو نعيم في صفة الجنة .

الأصفر مُمَوَّةَ بِالزُّمُرْدِ الأخضر والذهب الأحمرِ والفضةُ البَيضاءُ . قواعدها وأركانها من الباقوت وشرفها (أى أعاليها) قِبابُ اللؤلؤِ . وُبروجها عُرفُ المرجانِ (أى أماكنها ومأواها) . فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قُرِبَتْ لهم بَرادِينُ (خَيْلٌ مطهَّمةٌ) من الباقوتِ الأبيضِ منفوخٍ فيها الرُّوحُ يَجْنُبُهَا (يقودها) الْوِلْدَانُ الْمُحَلِّدُونَ ويبد كل وليدٍ منهم حَكَمَةً بَرَدُونِ ، وَلَجُمُهَا وَأَعْتَبُهَا مِنْ فِضَّةٍ بِيضاءٍ مُتَطَوِّقَةٍ (أى مُحاطة) بِالذَّرِّ والباقوتِ وسُرْجُهَا سُرْرٌ مَوْضُونَةٌ مَفْرُوشَةٌ بالسُّنْدُسِ وَالإِسْتَبْرَقِ فانطَلَقَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْبَرادِينِ تَرْفُ بِهِمْ وَتَنْظُرُ رِياضَ الْجَنَّةِ فلما انتهوا إلى منازلهم وَجَدُوا فِيهَا جَمِيعَ ما تَطَوَّلَ بِهِ (أى تفضل به) رَبُّهُمْ عَلَيْهِمْ ما سألوه وَتَمَنَّوْا ، وَإِذَا عَلَى بَابِ كُلِّ قَصْرِ مِنْ تِلْكَ الْقُصُورِ أَرْبَعُ جِنانٍ . جَنَّتَانِ ذَوَاتَا أَفْئانٍ ، وَجَنَّتَانِ مُدْهَامَتَانِ (أى خضروان) وفيها عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ (فَوَارَتَانِ) وفيهما مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (صِنْفَانِ) وَحُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فلما تَبَوَّعُوا مَنازِلَهُمْ واستَقَرَّ بِهِمْ قَرَارَهُمْ قال لهم رَبُّهُمْ : هل وَجَدْتُمْ ما وَعَدْتُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قالوا : نَعَمْ . رَضِينَا فَارَضَ عَنَّا قال : بِرِضايِ عَنكُمْ حَلَلْتُمْ داري وَنَظَرْتُمْ إِلَيَّ وَجْهِي وَصافَحْتُمْ مِلائِكِي فَهِنِيناً هِنِيناً عَطَاءً غيرَ مَجْدُودٍ لَيْسَ فِيهِ تَنْغِيصٌ ولا تَصْرِيْدٌ فعند ذلك قالوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ (أى تعب) ولا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ (مَلَلٌ) إِنْ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ » (١) .

ومن نعيم أهل الجنة انهم يتشرفون بالنظر إلى المولى جل شأنه قال رسول الله ﷺ : إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ ؟ فيقولون أَمْ تُبَيِّضُ وَجُوهَنَا . أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قال : فَيُكشَفُ الْحِجَابُ فما أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادَةٌ ﴾ (٢) .

وقد قال العلماء إن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى الحق سبحانه وتعالى .
فنسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة ويجعلنا من أهل الحسنى والزيادة .

(١) رواه ابن أبى الدنيا وأبو نعيم .

(٢) رواه مسلم والترمذى والنسائى .

انتهى بحمد الله ما تيسر لنا من الجمع في هذا الموضوع . ولم نلتزم فيه بالأحاديث الصحيحة بل إننا توسعنا فيه بالنقل اعتمادا على قبول الضعيف في فضائل الأعمال . وقد نص على ذلك الإمام النووي في التقريب ، والعراق في شرحه على الفيته وابن حجر العسقلاني في شرح النخبة والشيخ زكريا الأنصاري في شرح الفية العراق والحافظ السيوطي في التدريب وابن حجر المكي في شرحه على الأربعين . وللعلامة اللكنوي رسالة تسمى الأجوبة الفاضلة له فيها بحث مستفيض في ذلك ولسيدي الإمام الوالد السيد علوي المالكي رحمه الله رسالة خاصة في أحكام الحديث الضعيف وعلى هذه القاعدة جرينا في كتابنا هذا .

نفع الله تعالى به وجعله خالصا لوجهه الكريم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه

محمد بن علوي المالكي الحسني
خادم العلم بالحرمين الشريفين

مكة المكرمة

١٧ رمضان ١٤٠٤ هـ



محتويات الكتاب

صفحة

٥	مقدمة الكتاب في رصيد الأمة المحمدية من الإيمان	١
٧	كأل يقين هذه الأمة	٢
٧	خصائص عامة للأمة المحمدية	٣
٧	أولاً : رفع الاصر	٤
١٣	ثانياً : الإكرام بالرحمة الخاصة	٥
١٤	ثالثاً : جعلهم أمة وسطا	٦
١٦	رابعاً : يسر الشريعة المحمدية	٧
١٧	خامساً : كأل الشريعة المحمدية	٨
١٨	سادساً : نورهم يسعى بين أيديهم	٩
١٨	سابعاً : كونهم خير أمة	١٠
٢١	ثامناً : كون المسيح عيسى من أفراد هذه الأمة	١١
٢٢	تاسعاً : ثبوت البشارة بالجنة لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها	١٢
٢٢	عاشراً : ثبوت الفضل لآخر هذه الأمة كما ثبت لأولها	١٣
٢٣	الحادى عشر : وجود قبر نبينا ﷺ بالتعيين	١٤
٢٤	الثانى عشر : ذكر الأمة المحمدية فى الكتب السابقة	١٥
٢٦	الثالث عشر : إن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة	١٦
٢٧	الرابع عشر : إن الله لا يهلك هذه الأمة بجوع ولا غرق	١٧
٢٨	شرف الوضوء وفضله	١٨
٢٩	فضل الأذان وشرف المؤذنين	١٩
٣٤	فضل إجابة المؤذن	٢٠
٣٧	فضل بناء المساجد والمشى إليها والجلوس فيها	٢١
٤١	فضائل الصلاة	٢٢
٥٢	مرافقة النبى فى الجنة	٢٣
٥٣	تحية رب العالمين	٢٤

صفحة

٥٤ اشتغال الصلاة على الصلاة على النبي ﷺ	٢٥
٥٥ شرف صلاة الجماعة	٢٦
٦١ فضل الصف الأول وما يتعلق بالصفوف	٢٧
٦٤ فضل الإمامة	٢٨
٦٨ فضائل صلاة الجمعة	٢٩
٧٦ شرف القائمين بالليل وفضلهم	٣٠
٨٢ فضل المحافظة على ثنتي عشرة ركعة من السنن والرواتب	٣١
٨٨ فضائل صلاة النافلة في البيت	٣٢
٩٠ فضل الجلوس في المصلى بعد صلاة الصبح والعصر	٣٣
٩٤ صلوات مخصوصة — فضل صلاة الضحى	٣٤
٩٦ صلاة الاستخارة ودعاؤها	٣٥
٩٩ صلاة الحاجة ودعاؤها	٣٦
٩٩ صلاة ركعتي الوضوء	٣٧
١٠٠ صلاة التسبيح	٣٨
١٠٢ صلاة تقوية الحفظ	٣٩
١٠٤ فضل أداء الزكاة	٤٠
١٠٨ فضل العمل على الصدقة بالتقوى	٤١
١٠٩ شرف الصدقة وفضل المتصدقين	٤٢
١١٠ والصدقة حجاب من النار اتقوا النار ولو بشق تمرة	٤٣
١١١ والصدقة تكفر الذنوب مهما عظمت	٤٤
١١٢ والصدقة خير أبواب البر	٤٥
١١٥ والصدقة تطفئ ^٤ عن صاحبها حر القبر	٤٦
١١٧ واطعام الطعام خير خصال الإسلام	٤٧
١٢٣ فضل القرض وانظار المعسر	٤٨
١٢٦ فضل العفة وشرف الاستغناء عن الناس	٤٩
١٣٠ شرف الأمانة والوفاء بالوعد	٥٠
١٣١ فضل اصطناع المعروف إلى المسلمين وقضاء حوائج الملهوفين	٥١
١٣٦ مكافأة صاحب المعروف والاحسان	٥٢
١٣٧ شرف الصائمين من هذه الأمة	٥٣
١٤١ فضائل الصوم مطلقا كثيرة	٥٤

صفحة

١٤٤	شرف الحجاج من هذه الأمة	٥٥
١٤٩	فضل تلاوة القرآن وشرف القراء من هذه الأمة	٥٦
١٦٠	شرف الذاكرين من هذه الأمة	٥٧
١٨٥	فضائل الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة والسلام	٥٨
١٩٠	فضل الحب في الله والبغض في الله	٥٩
١٩٣	الحصائل المكفرة للذنوب	٦٠
١٩٧	سعة رحمة الله لهذه الامة بفتح أبواب التوبة	٦١
٢٠١	فضل البكاء من خشية الله	٦٢
٢٠٢	فضل حسن الظن بالله وعظيم الرجاء فيه	٦٣
٢٠٤	مضاعفة ثواب العاملين في زمن الفتنة	٦٤
٢٠٤	فضل الغنى الشاكر والفقير الصابر	٦٥
٢٠٧	فضل الزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة	٦٦
٢٠٩	فضل الصبر على البلياء	٦٧
٢١٥	فضل عيادة المرضى	٦٨
	فضل القيام بأمر الموتى وشفاعة المصلين لهم وان خيار هذه الامة شهداء	٦٩
٢١٧	الله في الأرض	
٢١٩	تعريف الامة المحمدية بأمر البرزخ	٧٠
٢٢٢	البعث وأحوال يوم القيامة	٧١
٢٢٦	تعريف الامة المحمدية بأمر الحشر والنشر	٧٢
٢٢٧	قصة العابد المغتر بعبادته	٧٣
٢٣١	الحوض والميزان والصراط	٧٤
٢٣٢	اختصاص نبينا محمد ﷺ بالشفاعة العظمى	٧٥
٢٣٤	النار واحوال أهلها	٧٦
٢٤٠	تعريف الأمة المحمدية بالجنة واحوالها	٧٧
٢٤٩	سوق الجنة	٧٨
٢٥٠	رؤية رب العالمين	٧٩

SAHAR PRINTING PRESS
Tel. 6370073 - 6370081 - 6373653



مطابع الصحراء

تلفون : ٦٣٧٠٠٧٣ - ٦٣٧٠٠٨١ - ٦٣٧٣٦٥٣



الناشر
دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع
محمد أحمد بكرى وأخوانه

المدينة المنورة — باب الكومة — ص.ب ١٩٣
تلفون ٨٢٥٣٣٨٠ — تلكس ٤٧٠٠٢٦ هشام إس جى

طبع بترخيص من وزارة الاعلام رقم ٩٢٧/م/ج

بتاريخ ١٠/٧/١٤٠٤ هـ